خديجة بقطاش

Biqtash, Khadijah

al-Harakah al-tabshiriyah...

الحركة التبشيرية الفرنسية

في الجزائر

1871 – 1830

مقدمة

لا ريب أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلا الى استعباد أتباعها . ان المعركة بين المبشرين والأديان غير النصرانية ، ليست معركة دين ، بل هي معكرة في سبيل السيطرة السياسية والإقتصادية[1] .

انطلاقا من هذا ، رأيت أن أبحث في هذا الموضوع ، وقد أخترته للأسباب التي أحصرها فيما يلي :

1 ـ الرغبة في المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر ، ومحاولة مني في تصحيح ما شوهه المستعمرون في بعض كتاباتهم لهذا الموضوع .

2 ـ الأهمية السياسية التي يكتسيها هذا الموضوع ، فالتبشير له علاقة وثيقة بالاستعمار في الجزائر ، بحيث أستخدم كوسيلة من الوسائل الهامة لتدعيم النفوذ الفرنسي في بلادنا .

3 ـ قلة الأبحاث التي تناولت هذا الجانب الهام في تاريخ الجزائر الحديث .

حددت بداية هذا البحث بعام 1830 ونهايته بسنة 1871 . ويبدو لي أن هذه الفترة قد عرفت جهودا ومحاولات تبشيرية حثيثة قام بها رجال الدين ، وعدد من المسؤولين الفرنسيين عند بداية الإحتلال ، لبث نفوذهم السياسي في الجزائر .

فالحركة التبشيرية التي توقفت في القرن الثامن عشر في فرنسا بسبب أحداث الثورة الفرنسية ، وما تلاها من نتائج قد عادت لتظهر من جديد في القرن التاسع عشر بعد أن عرفت الكنسية نشاطا كبيرا لتلعب دورها في احتلال الجزائر والتوسع الإستعماري .

وقد رأيت أن تكون نهاية البحث هي سنة 1871 وهي بدورها سنة هامة جدا لأنها عرفت حدثين هامين لهما علاقة بالتبشير في الجزائر وهما :

1 ـ ثورة الطريقة الرحمانية ، التي كانت من بين أسباب اندلاعها الجهود التبشيرية في بلاد القبائل وبعض المناطق الأخرى .

2 ـ زوال الحكم العسكري ، وحلول الحكم المدني الذي يعتبر انتصارا للكاردينال لافيجري ، وذروة التبشير في الجزائر . فإبتداء من هذه السنة انطلقت الجهود التبشيرية في بلاد القبائل خاصة والجزائر عامة .

3 ـ تأسيس فرقة الآباء البيض عام 1868 وهذه لم تجد ذاتيتها ولا رواجها إلا إبتداء من هذه السنة ، ويعتبر نشاطها منعرجا هاما في تاريخ الحركة التبشيرية في شمال افريقيا ووسطها .

قسمت البحث الي خمسة فصول هي :

الأول : حول الوضع الديني في فرنسا ، وتناولت فيه عودة الكنسية الى نشاطها السياسي ، وانتعاش الفرق الدينية المبشرة ، وانعكاس هذا الوضع على الحملة الفرنسية ضد الجزائر عام 1830 التي امتازت بروح صليبية . كما تناولت في هذا الفصل حدثا هاما أعتبره مظهرا من مظاهر التبشير ، وهو عدم إحترام السلطة الفرنسية لاتفاقية 5 جويلية 1830 ، ولا سيما البند الخامس منها الذي يقضي باحترام الديانة الإسلامية وممتلكاتها ، وذلك بإصدار قرار 7 ديسمبر 1830 الذي استهدف الإستيلاء على المؤسسات الدينية دون احترام الشعور الديني للسكان ، وقد أعتبرت هذا القرار مسا بالشؤون الدينية ، وخطوة أولى لمحو التراث الإسلامي بالجزائر .

الثاني : تناولت فيه بعض المحاولات التبشيرية الفردية الأولى ، وقد لقيت تشجيعا من بعض المسؤولين الفرنسيين في بداية الإحتلال ، ورأيت أن أتحدث أيضا عن تأسيس أسقفية الجزائر عام 1838 . وكان هذا عند لويس فليب الذي أعتمد على الدين اعتمادا كبيرا في أعماله .
وتطرقت الى النشاط التبشيري للاسقفين ديبيش وبافي . وقد استعملا في ذلك الخدمات الخيرية معتقدين أن لا نفوذ في الجزائر دون تنصير سكانها . وقد امتاز موقف السلطة الفرنسية بباريس من هذا النشاط بالتناقض ، ففي الوقت الذي كانت تعارض التبشير مخافة انتفاضة السكان ، فإن بعض مسؤوليها بالجزائر كثيرا ما كانوا يسكتون عن التصرفات التبشيرية التي كان يقوم بها رجال الدين ، بل كانوا كثيرا ما يشجعونها في كثير من المناسبات والمواقف .

الثالث : وتعرضت فيه الى جانب هـام من جوانب التبشير ، ألا وهو العلاقة بين مـا عرف بـالإستعمار الـديني الفلاحي والتبشير الـذي حـاول رجـال الـدين ـ بإعـانـة من الحكـومـة ـ إستغـلالـه لأهـداف إستعمارية تبشيريـة ، وقـد أخـذت على سبيل المثـال محـاولات فرقـة الترابيست ، والأب لندمان في تأسيسه المستعمرات الفلاحية الدينية ، وأخيرا المحاولات التي قـام بهـا عـدد من المسؤولين الفرنسيين في جلب الموارنة من لبنان للقيـام بـالأعمـال الفلاحيـة التبشيريـة ، وكل هـذه المساعي فشلت بدورها .

الرابع : خصصت هذا الفصل للحديث عن المجاعة التي حـدثت بـالجزائر في عـامي 1867 ـ 1868 والتي كان من نتـائجهـا أن أستغـل الكاردينـال لافيجري الأوضـاع الصعبـة لفتـح بـاب التبشير على مصراعيـه ، وذلـك بتبنيـه لعـدد كبير من الأطفـال المرضى والمشردين وتنصيرهم ، وإنشائه القرى العربيـة المسيحيـة بسهل العطـاف ، الأمر الذي أدى الى نشوب صراع بينـه وبين الجنرال مـاكمهون ، الـذي كان يخشى عـواقب التبشير ، وقـد استطـاع لافيجري أن يفرض نفـوذه ، وانتهى الصراع بإنتصار لافيجري على خصمه ، وذلك بتأييـد السلطـة الفرنسية بباريس للتبشير بالجزائر .

الخـامس : ركزت في هـذا الفصل على التبشير في بـلاد القبـائـل بالخصوص وتحدثت في بدايته عن خرافة القبائل المسيحية التي خلقهـا دعاة التبشير من عسكريين ورجال دين وسياسيين . وقد كانت هـذه

الخرافة بمثابة تمهيد للكاردينال لافيجري الذي ركز جهوده على هذه المنطقة بعد تأسيس فرقة الآباء البيض التبشيرية بالجزائر . وبعد أن حظي بتأييد الأميرال دوغيدون وغيره من المسؤولين بالجزائر ، غير أن هذه الجهود فشلت فشلا ذريعا لتمسك السكان بالدين الإسلامي .

كان المنهج الذي أتبعته في دراستي ، هو الإستشهاد بالنصوص القديمة مثل كتابات رجال الدين ، وبعض الوثقائق الرسمية ، مثل الرسائل وغيرها . هذا بالإضافة الى الإستنارة بما كتبه بعض المؤرخين المحدثين وإستنتاجاتهم . ولا أخفي مدى الصعوبات والمشاكل التي أعترضتني أثناء البحث والتي تتمثل في قلة المصادر والمراجع بالجزائر .

وقد بدأت البحث عن المصادر بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، والمكتبة الجامعية وبعض المكتبات الأخرى . ثم رأيت ضرورة الإتصال بفرقة الآباء البيض لأستعين بما كتبه رجالها ، لكنني لم أجد مساعدة منها ، وكدت أفشل لولا صبري وعزيمتي على مواصلة البحث . وانتقلت بعد ذلك الى مدينة تيزي وزو عدة مرات بإعتبارها إحدى المراكز الهامة التي تمركز بها المبشرون . ثم قررت السفر الى باريس للبحث في أرشيفها الوطني ، وترددت كثيرا على المكتبة الوطنية الفرنسية لأبحث عن بعض الكتب المفقودة بالجزائر . وقد كان الأستاذ المشرف يلفت إنتباهي الى ما كنت أجهله أو أغفله عن الموضوع . ويمكن أن أقول أني تمكنت من جمع ما أحتجته من معلومات حول البحث بعد هذه الجهود .

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل الى الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي لم يبخل بوقته لمساعدتي ، وتتبع الرسالة من أولها الى آخرها .

وأشكر رؤساء المكتبات والمحفوظات المذكورة الذين سهلوا لي مهمة الاطلاع على المراجع والمصادر المتعلقة ببحثي ، ولا يفوتني أخيرا أن أتوجه بالشكر لكل الزملاء الذين شجعوني على مواصلة عملي .

خديجة بقطاش

الجزائر 5 سبتمبر 1977

(1) خالدي مصطفى وفروخ عمر : التبشير والإستعمار في البلاد العربية بيروت ، 1954 ، ص 45 .

التبشير وعلاقته بالإستعمار

المدخل :

لعب التبشير دوراً هاماً في التوسع الأروبي ، ولا سيما بعد الاكتشافات الجغرافية . فقد ساهم عدد كبير من الفرق الدينية المبشرة من القارة الأروبية ، وعمل على بث النفوذ الديني والإقتصادي والسياسي خارج هذه القارة .

وقد وجدت هذه الفرق الدينية الميادين فسيحة لنشاطها التبشيري بالإعانات المادية والمعنوية التي كانت تتلقاها من الحكومات ذات النظم المختلفة وغالبا ما كانت هذه الحكومات تعتمد على رجال الدين لما يمتازون به من طرق وأساليب خاصة في بث النفوذ السياسي . فكان من نتائج ذلك ، أن أنتشرت الفرق المبشرة في المناطق البعيدة عن أوربا ، في آسيا وأمريكا وافريقيا ، وسعت كل فرقة جاهدة الى بث نفوذ الحكومة التي أيدتها وأمدتها بالإمكانيات الضرورية لنشاطها . وبهذا يمكن لنا أن نقول بأن هذه الفرق كانت

بمثابة اليد الطولى في التوسع الإستعماري عامة .

بدأ دور التبشير عند نهاية العصور الوسطى ، حين سعت كل من إسبانيا والبرتغال الى ربط هذا النشاط الديني بمصالحها المادية ، أثناء حملاتها الإستكشافية للعالم المجهول . ويرى القائمون على التبشير ، أن الباعث الأول على نشاطهم هو القضاء على الأديان غير النصرانية[1] وإنقاذ الشعوب البدائية من تأخرها بإدخالهم في إطار الحضارة العالمية المسيحية ، ومن أجل هذا وجب القيام بالتبشير بين هذه الشعوب والعمل على تنصيرها تنصيرا تاما يجعلها تلحق بالشعوب المتقدمة .

وبناء على هذا ، يتضح لنا أن الهدف الحقيقي - في نظرهم - هو هدف حضاري يستند الى تعاليم المسيحية ، لكن الحقيقة غير ذلك ، إذ يرتبط أغلب المبشرين والمفكرين بين التبشير والإستعمار ويرون أن لا تناقض بينهما ، ما دام الإحتلال يرمي الى نفس الهدف الذي يقصده التبشير ألا وهو إنقاذ الأمم من حالة التخلف .

وقد صرح النائب الفرنسي فرناند أنجران[2] قائلا : (ان المبشر يعمل من أجل ازدهار الفكرة الإستعمارية للبلاد التي ينصرها ، وذلك برفع المعنويات الروحية والأخلاقية للاهالي ... وأن النشاط التبشيري والنشاط الإستعماري شيئان متلازمان لأن الهدف الأسمى للإحتلال ، هو التقدم الروحي والأخلاقي للمستعمرين (فتح الميم)[3] . وعلى هذا الأساس يعتبر التنصير من المقاصد الأولى التي يرمي اليها الإحتلال[4] . وقد ألحت على ذلك المواثيق ، ومن بينها ميثاق جمعية المائة شريك[5] ، (أو جمعية فرنسا الجديدة) ، الذي يرى في التنصير وسيلة أساسية للنشاط التوسعي في كندا وأمريكا الشمالية .

وندرك من هذا ، أن التبشير والتوسع ، كانا يسيران جنبا الى جنب ، ويرميان الى نفس الهدف . فالبحث عن المراكز الإستراتيجية كانت مطمح الأمبراطوريات ، وغالبا ما كان نشر المسيحية هو وسيلته . والمحاولات التوسعية كانت تنجح عادة بنشر الدين . فقد تمركز اليسوعيون على شاطىء سان لورين بأمريكا الشمالية في العهود الأولى للإحتلال الفرنسي لأمريكا ، وكان هؤلاء الأولين في إكتشاف سهول المسيسيبي ، ومنطقة البحيرة الكبيرة هناك . ويمكن القول أنهم كانوا النواة الأولى التي أنطلقت منها المستعمرات الإسبانية والبرتغالية في فلوريدا وأمريكا الجنوبية .

ويذكر ج لانوسين الحاكم العام الفرنسي بالهند الصينية : (أن المبشرين الفرنسيين مهدوا وفتحوا أبواب القارة الآسيوية للنفوذ الفرنسي ، فقد سبق وجود المبشرين[6] بالهند الصينية إحتلال فرنسا لها بمائة سنة ، وبمساعيهم ونشاطاتهم استطاعت فرنسا أن تتحكم في هذه المنطقة من العالم .[7]

ويعتبر القرن التاسع عشر ، عصر التنافس الإستعماري الأروبي ، على قارة افريقيا . وقد أستخدم المبشرون أداة لتحقيق الأغراض السياسية الأروبية ، ويتضح لنا ذلك من خلال الإحصائيات التالية ، فقد بلغ عدد المبشرين خارج أروبة سنة 1810 حوالي ثلاثمائة مبشر ، وفي عام 1900 ستة آلاف ومائة مبشر كاثوليكي ، وستة عشر ألف مبشر بروتستانتي . ولكي يتمكن هؤلاء المبشرون من بث نفوذهم الديني والسياسي عملوا على ترجمة الانجيل الى 350 لغة[8] . وقد كون هؤلاء طرقا فعالة وناجعة في نشاطاتهم بالمستعمرات ، فقد

استعملوا وسائل لجذب السكان اليهم ، تمثلت في التعليم والأعمال الخيرية ، كالتطبيب وفتح المستوصفات والمستشفيات ، ودور الأطفال اليتامى وغيرها .

ونفس هذه الوسائل استعملها المبشرون الفرنسيون ، وبذلوا فيها جهدا كبيرا لجذب السكان المسلمين اليهم بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر . وهذا ما أحاول بحثه والكشف عنه من خلال دراستي لهذا الموضوع ، الذي يعتبر من أهم المواضيع في تاريخ الجزائر الحديث .

هوامش

(1) مصطفى خالدي ، عمر فروخ ، ص 45 .

(2) عين سنة 1792 نائب على عمالة الكلفادوس في الشمال الغربي من فرنسا ، ومبعث هذا التصريح هو التنافس بين فرنسا وبريطانيا حول أجزاء من أمريكا الشمالية ، والبحث عن الوسائل الناجعة لهذه الهيمنة .

(:3) Paul Lesord : L'oeuvre Civilisatrice et Scientifique des missions Catholiques, Paris: 1931: P: 15

(4) Arthur Le Grault: Principes du colonia l isme et de législation coloniale; Paris; 1921; P;l178

(5) ضمت هذه الجمعية مائة شريك ، أسسها الكاردينال ريشوليو الوزير الأول للملك لويس الثالث عشر سنة 1627 لتعمل على تطوير مستعمرة كندا .

(6) استطاع أسقف مدينة أدران ، "بينيو دو بيهان" أن يربط علاقة ودية مع الأمير المخلوع تغويان نه ويعده بالمساعدة الفرنسية والرجوع الى عرشه ، وأحضره أخيرا الى قصر فرساي سنة 1787 ليمضي إتفاقية مع الملك لويس السادس عشر ، تم بموجبها تقديم إعانات مادية للأمير المخلوع ، ومنذ هذه الإتفاقية أصبحت فرنسا تتدخل في شؤون الهند الصينية .

(7) J.L.Lanessen: les Principes de colonisation; Paris; 1897; P, 63

(8) Robert Schnereb: le 19e Siecle; l'apogée; de L'expanion Européenne 1814-1914; Paris; 1955; P; 128

الفصـل الأول

الجانب الديني في إحتلال الجزائر عام 1830

الوضع الديني في فرنسا قبيل الإحتلال :

كان للجـانب الـديني أثر كبير في احتـلال الجـزائر عـام 1830 ، وقبل أن نتعرض الى تحليل هذا الجانب ، لا بد لنا من معرفـة الوضع الديني السائد في فرنسا عشية الاحتلال .

ومما لا شك فيه أنه منـذ سنـة 1814 أي بعـد عودة أسرة البربون الىالحكم ، عرف الحكم في فرنسا مجهودات كبيرة في إعـادة الإعتبـار الى المسيحيـة . وقـد صرح بونـالـد[1] يـوم 26 ديسمبر 1815 ، أنـه حـان الوقت لكي يرجع للدين اعتباره وتـأثيره وفعـاليتـه ، وأن يجعل منـه قوة للإدارة[2] . ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية عاشت محنة كبيرة إبـان الثورة الفرنسية ، وتعرض رجالها الى المطاردة والقتل ، وممتلكاتهـا الى الحجز ، وتعاليمها الى النبذ . لكن هـذه الكنيسـة انتعشت بعـد ذلـك وعاد اليها اعتبارها . ففي عهد لويس الثامن عشر ظهر حزب رجال الدين Parti Prêtre وأخذ يبذل مجهودات كبيرة لخدمـة الكنيسـة ، غير

أن هذه الجهود لم تثمر إلا في عهد شارل العاشر ، لأن هذا الحزب صمم على أن يعيد المسيحية للشعب - الذي ضعف إيمانه بتأثير مبادىء الثورة الفرنسية - والى الشباب والى القوانين[3] . وأن يجعل من الكنيسة قوة سياسية وإقتصادية وإجتماعية .

ان شارل العاشر Charles X كان يرى نفسه محقا في الدفاع عن الدين ، لأنه من سلالة الملك القديس لويس التاسع Saint Louis ولذا كان عليه أن يسير على خطة أجداده في نصرة الدين والتبشيربة . وهكذا اكتسى عهده طابعا دينيا . ففي عهده تم تعيين الاسقف فريسنوس[4] Frayssinous على رأس وزارة الشؤون الدينية، الأمر الذي جعل رجال الدين يراقبون التعليم بمختلف مراحله، وهذا يستهدف في نظر هذا الاسقف نشأة شباب المملكة الفرنسية نشأة دينية خالية من كل الشوائب .

ولم يقتصر اهتمام شارل العاشر بالدين على فرنسا ، بل تجاوزه الى الخارج ، ففي عهده نشطت الارساليات التبشيرية الأجنبية[5] ولقيت تشجيعا من السلطة الحاكمة . وقد حملت هذه الجمعية على عاتقها مسؤولية التبشير في الوطن[6] أولا ، ثم في قارتي آسيا وأمريكا ثانيا ، هذا فضلا عن فرقة اليسوعيين[7] التي انتعشت بدورها ، وساهمت مساهمة فعالة في نشر التعليم والدين ، ونجد الكثير من أعضائها تحملوا مسؤولية التبشير .

ان هذا الاحياء الديني لم يقتصر على رجال الدين والسلطة الحاكمة ، بل تعداه الى رجال الفكر والثقافة ، فلكتاب Chateaubriand عبقرية المسيحية أثر في النفوس وقد قال : (أني لا

أرى حلا للمستقبل الا في المسيحية وفي المذهب الكاثوليكي[8] . كذلك لايجب أن ننسى في هذا المجال الفلسفة الدينية التي كانت ردا على عقلانية القرن الثامن عشر ، لأنها فلسفة ظهرت لتناصر الدين والكنيسة معا[9] . فإذا عرفنا هذا الجو الديني الذي عاشته فرنسا إبان حكم شارل العاشر ،أدركنا انعكاس وأثر ذلك على احتلال الجزائر عام 1830 .

الروح الدينية في الحملة الفرنسية على الجزائر :

لقد كان للجانب الديني في إحتلال الجزائر ، أثر كبير على الحملة ومنظميها . فمن الأسباب الهامة التي دعت فرنسا الى الغزو ، هو دعواها انقاذ المسيحية والمسيحيين من أيدي (القراصنة) الجزائريين ، والقضاء على عش القرصنة ـ الجزائر ـ حسب تعبيرهم أيضا . وفرنسا كانت تعتبر نفسها حامية الكنيسة الكاثوليكية ، وترى في إحتلال الجزائر عملا هاما أسدت به الى العالم المسيحي وشعوب البحر المتوسط خدمة كبيرة .

ان العامل الديني في الإحتلال نلمسه من الدور الذي لعبه رجال الدين في الحملة ، بحيث أن قرار شارل العاشر في الغزو كان مدفوعا من الاسقف الكبير وزير الشؤون الدينية فريسنوس الذي كانت من ورائه روما[10] . ولا يمكن أن ننسى تشجيع ومساعدة الوزراء لذلك ، فقد عبر كليمونْ تونير Clément Tonnerre وزير الحربية في تقريرقدمه للملك شار العاشر يوم 14 اكتوبر 1827 ، عن آماله في تنصير الجزائر بما يلي : «يمكن لنا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدّن الآهالي

ونجعلهم مسيحيين»[11] . وكليمون تونير يرى أنـه ليس من الغريب أن تكون العنايـة الالهيـة مع الملـك ، لأن عملـه هـذا في سبيل الـدين ، وأكد الملك شارل ذلك حينما خاطب كل أساقفة المملكة قائلا لهم :

«ان مرادنا أن تنظموا صلوات في جميع الكنـائس ، داعين الله أن يحمي الراية ويعطينا النصر»[12] .

ومما يمكن قوله ، أن الجانب الحكومي سرّ لمـا سوف يحققـه جيش الملـك من انتصـار لأنـه إنتصـار في سبيل البعث الـديني بـافريقيـا ، وبعث كيـان القـديس أوغسطين[13] Saint Augustin والقـديس سبريان[14] Saint Cyprien أمـا في نظر علمـاء الآثـار فيعني عودة افريقيـا الرومانية ثانية الىالمسيحية على أنقـاض القـائـد الرومـاني سبيون[15] ، وخاصة المدن التي ازدهرت في العهد الروماني .

وأمام هذه النشوة ، علقت الصحافة اليسـاريـة على هـذا الطـابع الديني للاحتلال . وذكرت أن عمل القنصل دوفـال Duval كان بوحي من الفـاتيكان ، وكـذلـك الحـال لعمل بكري وبـوشنـاق[16] . فرومـا استبشرت خيرا بغـزو الجـزائر ، وأعتبرتـه عمـلا مقـدسـا لفـائـدة المسيحيـة[17] . فقـد أراد شـارل العـاشر أن يربـط سبب حملـة الجزائر بحادث بعيد يتمثل في الحروب الصليبية[18] التي قام بـاحـداهـا لويس التاسع دفين مدينة قرطاجنة بتونس . ولكي يحقق رغبته هـذه ، اتفق مع باي تونس على بناء كنيسة تقام على ضريح الملـك لويس التـاسع تخليدا لذكره وأعماله ، وقد أراد شـارل بهـذا العمل أن يبرهن للشعب الفرنسي على مدى اهتمامه بالبعث المسيحي والحضاري بافريقيا .

وبقرار سرى تمت المعاهدة[19] بين باي تونس وفرنسـا ، التي مثلهـا

القنصل ماتيو دي ولوساب Mathieu de lessep يوم 8 اوت 1830 ـ اي بعد احتلال الجزائر مباشرة ـ ونصت المعاهدة على أن يعطي حسين باي الملك الفرنسي قطعة أرض بقرطاجنة ، يخلد فيها القديس لويس التاسع . ويمكننا أن نعتبر هذه المعاهدة فاتحة عهد جديد في بعث الكنيسة الإفريقية[20] .

وقبل مغادرته لميناء تولون في اواخر شهر ماي 1830 ، طبع الجنرال دوبرمون De Bourmont منشورا باللغة العربية ، ذكر فيه بأن الحملة تستهدف القضاء على الداي ، ووعد السكان بقوله : «... سنضمن إحترام أموالكم وكل أملاككم ودينكم المقدس»[21] . ويبدو من هذا التصريح أنه لا يخدم رجال الدين ، ولا الهدف الذي جاءت من أجله الحملة في نظرهم ، وهذا ما لاحظته الأوساط اليمينية في باريس على تصريح الجنرال دوبرمون . فقد اعتبرت قوله خطوة الى الوراء ، وعبرت عن ذلك جريدة (لوكوريي فرانسي) يوم 8 جوان 1830 عن عدم موافقتها عليه ، وتعجبت من جرأة دوبرمون الذي أعطى صفة القداسة للديانة الإسلامية ، في الوقت الذي يجتمع فيه أساقفة فرنسا رغبة في إحياء حرب صليبية ضد الكفار[22] .

أما الملك شارل العاشر فقد لمس بدوره تصريح الجنرال ، عدم تناسبه مع رغبته ومع مطامحه الدينية ، لذلك قرر مكاتبة وزيره بولينياك Polignac يوم 8 جوان 1830 ـ أي في نفس اليوم ـ مبديا له عدم رغبته في وصف الديانة الإسلامية بالقداسة ، ومشيرا له أن المنشور يشبه منشور بونابرت حينما دخل مصر[23] .

وبمجرد تلقي بولينياك ذلك أسرع بإرسال برقية الى عامل مدينة

تولون يأمره بإيقاف طبع المنشور ، وحجز ما طبع منه[24] . كما يخبره بتحرير منشور جديد بمعنى وأسلوب المنشور الأول ، وهكذا فإن وصف الديانة الإسلامية بالقداسة قد حذف لأنه مس شعور شارل العاشر .

الفرنسيون ومعاهدة 5 جويلية 1830 :

لقد جاء في المعاهدة التي حررها قائد الحملة دوبرمون ، ووقعها الداي حسين : «أن السلطات الفرنسية ستحترم الأملاك والنساء والديانة»[25] . لكننا نجد الجنرال دوبرمون يخطو خطوة الى الوراء ، يدفعه في ذلك التعصب الديني . فبعد سقوط مدينة الجزائر بأيدي الفرنسيين ، أسرع دوبرمون لإقامة صلاة بالقصبة شارك فيها الجيش ورجال الدين[26] ، وخطب فيهم قائلا : لقد أعدتم معنا فتح باب المسيحية لافريقيا ، ونتمنى في القريب أن نعيد الحضارة التي انطفأت فيها منذ زمن طويل[27] . وفي نفس الوقت كان الملك شارل العاشر يحضر قداسا في كنيسة نوتردام دي باري ، يحمد الله الذي نصره على الأعداء[28] .

ان الجنرال دوبرمون أخذ على نفسه بأن يعمل بالمعاهدة ، فيحترم الديانة الإسلامية ومقدساتها . وقد نص البند الخامس من المعاهدة على حرية العمل بالدين الإسلامي ، واحترام كل شيء يرمز اليه . كما نص هذا البند على احترام الممتلكات . لكن هذه المعاهدة بقيت حبرا على ورق ، لأن الفرنسيين خرقوا هذه المعاهدة باستيلائهم على أمكنة العبادة وتحويلها الى كنائس وثكنات ، وباستيلائهم على الأوقاف

والـزوايـا . وتجرؤوا كـذلــك على نبش القبـور لاستخراج الآجر والأحجار للبناء ، ولأخذ عظـام الموتى لصنع السكر والسماد ، وبيعهـا في مدينة مرسيليا[29] .

ان هـذه التصرفـات ، مست الشعـور الـديني للسكان ، فجعلتهم يزدادون بعـدا عن الفرنسيين . ففي رسـالـة وجههـا الجنرال دوبرمون الى باي التيطري عندئذ مصطفى بومزراق دعاه للحضور الى مـدينـة الجزائر ، رفض هذا الأخير الدعوة ، وفقـد ثقتـه فيـه ، لأنـه لم يحترم الأمـلاك والسكان[30] . الأمر الـذي جعـل السلطـات الفرنسيـة تجـد صعوبة كبيرة في تسيير شؤون البلاد .

ويعترف الفرنسيـون بمـا قـام بـه الجيش ، حينمـا دخـل مـدينــة الجـزائر . فـالجنرال De Lamoricière دولامـوريسيير المعروف بتـدينـه يقول : حللنا بمدينة الجزائر ، فاتخذنـا من المـدارس مخازن وثكنـات واصطبلات ، واستحوذنا على أملاك المساجـد والمـدارس ، وكنـا نظن أننـا سنعلم الشعب العربي ، مبـادىء الثـورة الفرنسيــة ، ولكن مع الأسف أن المسلمين رأوا في ذلك ضربة للدين والعقيدة[31] . أما حمدان بن عثمان خوجة الذي عـاش وشـاهـد تصرفـات الفرنسيين فقـد وصف وقـع الحكم الفرنسي على الجـزائر بمـا يلي : «أن السلطـة استـولت على مساجدنا ومعابدنا ولم يبق من هذه الأماكن سوى الربع[32] .

وهكذا فإن الفرنسيين اتخذوا من المعـاهـدة وسيلـة لتجنب الحرب وإراقة الدماء وليشعروا السكان بالأمان ، ويفهموهم بأنهم جاؤوا اليهم محررين إياهم من سلطـة العثمـانيين . ويروي حمـدان خوجـة ، بـأنـه حين أحتج لدى القائد كلوزيل ضـد خرق فرنسـا للاتفـاق المشترك ،

أجابه كلوزيل بأن فرنسا غير مجبرة على إحترام الاتفاق لأنه لم يكن في نظرها سوى لعبة حرب[33] .

ان التصرفات التي قام بها الجيش الفرنسي ، قد ناقضت الإتفاق ، وأثارت ردود فعل من بعض المسؤولين الفرنسيين أنفسهم ، الذين تأثروا بما شاهدوه من تلك التصرفات . ومن بين هؤلاء الوكيل المدني بيشون Pichon[34] وخليفته جانتي دوبيسي Genty de Bussy فقد كتب البارون بيشون في كتابه المؤرخ سنة 1833 يقول : «لقد وعدنا سكان الايالة بإحترام المعاهدة ، وضمان ممتلكاتهم وإحترام عباداتهم ، فمن واجبنا أن نفي بوعودنا»[35] . أما جانتي دوبيسي وان اختلف أسلوبه عن سابقه ، فهو يتفق معه في الرأي ، ويرى أن الدين المحمدي لسكان الايالة ، هو في نفس الوقت عاداتهم وقوانينهم وتشريعهم . ويرى أيضا أنه ليس هناك دين بدون عبادة ويتضح لنا مقصده حينما يقول : «وعدنا السكان بإحترام الديانة وانتزعنا منها ما يتركها ذات سيادة ... ثم نأتي لنقول لهم ، أننا سنحترم ديانتكم»[36] .

ان موقف الفرنسيين من الدين وشؤونه في الجزائر لم يقف عند هذا الحد ، بل تجاوزه الى أبعد من ذلك . فبعد شهر من الإحتلال أي شهر جويلية ، قامت ثورة بفرنسا أطاحت بعرش الملك شارل العاشر ، وتسببت في تغيير الجنرال دوبرمون[37] ، واستبداله بالجنرال كلوزيل Clauzel الذي لم يكن موقفه يختلف كثيرا عن موقف سابقه .

الجنرال كلوزيل والأوقاف :

أهتم الجنرال كلوزيل مدة حكمه ، بمشاريع الإستعمار والتنظيم الإداري للايالة ، ومن بين إهتماماته الكبيرة ، إحصاء الملكيات . ولهذا

أصدر يوم 8 سبتمبر 1830 قرارا استهدف حجز أملاك العثمانيين[38] ، ثم أوقاف مكة والمدينة . واذا لم يكن لهذا القرار صدى يذكر في العاصمة باريس ولا ردود فعل من الملك لويس فليب ، الذي كان مهتما بالمشاكل الداخلية التي خلقتها ثورة جويلية ، وبالمشاكل الخارجية فإن هنالك احتجاجات من سكان المدينة[39] . فقد احتج مفتو وعلماء المدينة[40] ، وبينوا للجنرال كلوزيل ، أن أملاك مكة والمدينة ليست ملكا للعثمانيين ، وإنما هي من أصول مختلفة ، وأن الذين يشرفون عليها ـ الوكلاء ـ ليسوا عثمانيين بالضرورة ، وإنما هم من مدن الجزائر المختلفة .

وأمام هذا الإحتجاج ، تراجع كلوزيل عن القرار المتعلق بالاستيلاء على أوقاف مكة والمدينة[41] ، وقدر بعض القادة العسكريين خطورة بقاء هذه الأوقاف بأيدي أصحابها فهي سوف تثريهم وتساعدهم على القيام بالثورة ضد الإحتلال . ويمكن أن يكون هذا التفكير في محله ، اذا علمنا أن معظم الثورات التي كانت ضد المحتل في بداية الإحتلال ، هي من تحريك الجمعيات (الطرق) الدينية المختلفة . ولكن وبعد ثلاثة أشهر من اصدار القرار أصدر كلوزيل قرارا آخر يوم 7 ديسمبر 1830 ، مدفوعا بنصائح السيدين فوجرو وفونلاند[42] ، استهدف به هذه المرة ضم كل الأملاك الدينية (وهي تشمل أوقاف مكة والمدينة والمساجد والزوايا) ، الى مصلحة أملاك الدولة . ويذكر هابار ، ان هذا القرار كان ضربة للدين والثقافة الإسلامية ، لإنعكاس آثاره على الحياة الدينية والإجتماعية للسكان[43] .

الأوقاف في مدينة الجزائر :

كانت الأوقاف موجودة في الجزائر ، كما كانت في بقية البلاد الإسلامية . وهي نظم حبس مال أو أراضي ونحو ذلك ، تصرف منفعته على الفقراء وخدمة الدين والعلم ، وقد لعبت دورا معتبرا في العهد العثماني وخاصة في مجال التعليم ونشر الثقافة . وهي نوعان : الأوقاف الخاصة أو العائلية والعامة ، وهي التي تهمنا ، ويحبسها أهل الخير لأغراض خيرية دينية ، مثل التي تخصص للتعليم والعناية بالحج ، وٱستصلاح المساجد ومساعدة الأيتام .

كانت الأوقاف العامة كثيرة بمدينة الجزائر ، وقد قدر عددها في الأيام الأولى من الإحتلال 2600 ملكية[44] . وعدد غير قليل في المدن الأخرى كقسنطينة ووهران . ويمكن ترتيب الأوقاف في مدينة الجزائر كما يلي : أوقاف مكة والمدينة[45] ، سبل الخيرات[46] ، الجامع الكبير[47] ، الزوايا[48] ، أوقاف الأندلس[49] ، الإنكشارية[50] ، المياه[51] ، الطرق[52] .

المؤسسات الدينية بعد قرار 7 ديسمبر 1830 :

بمقتضى قرار 7 ديسمبر ، أصبحت كل الأوقاف ملكا للدولة ، وتابعة لمصلحة الدومين (أملاك الدولة) غير أنه أبقي على الوكلاء الذين كلفوا بجمع دخلها وتسليمه الى السيد جيرادان الذي عين مديرا لادارة أملاك الدولة . وأختير لهذا المنصب لأنه كان يجيد اللغة العربية . ونظرا لأهمية هذا المنصب وضع الى جانبه موظفون مدنيون يساعدونه في هذه الوظيفة . وفي اكتوبر عام 1831 ، كلف وزير

المالية البارون لويس المفتش المالي السيد فوجرو بمراقبة الوكلاء ، بعد أن اطلع على سوء نيتهم ، وتحويل جزء من دخل الأوقاف الى مصالحهم الخاصة[53] . ومن حقنا أن نتساءل عن مدى تطبيق هذا القرار ، يمكن أن نجيب على ذلك بأن السلطة الفرنسية ، ترددت كثيرا في تطبيق القرار ، ولم تتمكن من تطبيقه تطبيقا كليا بمدينة الجزائر ، وتمكنت من ذلك في مدينتي وهران وعنابة[54] ، وتتلخص أسباب فشل السلطة الفرنسية في التنفيذ الفعلي للقرار فيما يلي :

1 ـ احتجاجات السكان الشديدة ضد القرار ، وتخوف السلطة من تحولها الى حركة مسلحة .

2 ـ التسرع في اصدار القرار دون خطة مدروسة مسبقة .

3 ـ عدم الإستقرار في الإدارة العسكرية[55] .

4 ـ بعد الحكم المركزي ـ باريس ـ الذي لم يكن مطلعا على ما كان يحدث في الجزائر .

والحق أن السلطة الفرنسية لم تجد صعوبات في حجز أوقاف العيون ، وتسليمها الى مهندسين فرنسيين[56] . ونفس الشيء بالنسبة لأوقاف الطرق ، سلمت الى مصلحة الجسور والطرق ، بحجة ضعف الأمناء الذين لم تكن لهم القدرة الكافية للقيام بهذا العمل[57] . أما أملاك الجيش فقد احتجزت أيضا ، لأنها أملاك عثمانية ولأن بقاءها بأيديهم يحرضهم على الثروة في نظر الفرنسيين . وأجبر وكيل أوقاف مكة والمدينة على دفع الدخل للخزينة المالية ، وتوقف إرسال جزء منه الى شريف مكة ، حتى لا يستغل في اشعال وتموين الثورات[58] .

النتائج العامة لقرار 7 ديسمبر 1830 :

لقد نتجت عن قرار ديسمبر مشاكل خطيرة ، فتردد السلطة الفرنسية في تطبيقه ، وعدم إشرافها ومراقبتها المالية التامة ، كل هذا جعل الملكيات الدينية تعيش فوضى واضطرابا في التسيير ، وتمثل ذلك في الأخطاء التي ارتكبها الوكلاء الذين أغتنموا ضعف مراقبة السلطة لهم وجهلها بمسائل الأوقاف[59] . فحولوا جزءا من الدخل لمصالحهم الخاصة . ويورد لنا دورينو صورة لهذا من ذلك أن مصطفى بوضربة وكيل أوقاف مكة والمدينة ، دفع للخزينة المالية مبلغ 531 34 ف بعد أربع سنوات ، وفي نفس المدة ، وزع مبلغ 000 50 ف على الفقراء بمعدل 250 ف لكل فقير كل أسبوع وحسب دورينو ، فإن الأوقاف إستنادا الى أقوال العامة وقول الوكيل نفسه ، أن دخلها السنوي حوالي 000 80 ف ، وعلى هذا يكون الدخل لمدة أربع سنوات بما يقدر 000 360 ف ، ولا شك أن مبلغ 469 75 يكون قد صرفها لحسابه الخاص[60] ، ونفس الملاحظة أبداها السيد جيراردان[61] الذي أبدى تعجبه للدخل القليل ، لهذه الأوقاف سنة 1831 بـ 364 41 ف موزعة كالتالي :

الجزائر ـ البليدة ـ مليانة ـ المدية ـ قسنطينة : 732 30 ف .

وهران ـ مستغانم ـ عنابة ـ القليعة ـ شرشال ـ بسكرة : 742 10 ف[62] .

فالملاحظ من هذه المعلومات المتقدمة ، أنها دالة على النقص الذي انخفض بسرعة منذ بداية الإحتلال ، وفي نظرنا أن الإنخفاض مرده الى :

1 ـ أن دخل الأوقاف لم يكن محدودا ، فهو يرتفع وينخفض سنويا بحسب الظروف .

2 ـ أن السلطة الفرنسية تجهل أو تتجاهل ، أن ملكيات الأوقاف هي لفقراء يدفعون كراءها بثمن غير مرتفع .

3 ـ انعكاس الإحتلال على الحياة المادية للسكان ، فقد عم الفقر ، وأجبر الساكنون في كثير من الأحوال على الخروج قبل انتهاء حل عقد الإيجار .

4 ـ أن الكثير من هذه البنايات ، تعرضت لعملية الاستيلاء والهدم . ولا شك أن هذه العوامل المشتركة التي سببها تدخل السلطة في تسيير الأوقاف ، هي التي أدت الى الإنفخاض في الدخل . نضيف اليها الأخطاء التي ارتكبها الوكلاء الذين أغتنموا الفوضى ، فأستغلوا مبالغ الدخل لمصالحهم الخاصة .

ان السلطة الفرنسية تصرفت في الأوقاف تصرفا ينافي وعد جولية في إحترام الديانة الإسلامية . فقد حوّلت الكثير منها الى كنائس والى مراكز طبية وادارية[53] ، ومنها ما استؤجر لكبار التجار لتخزين بضائعهم ، ومنها ما بيع وما تعرض للهدم من أجل توسيع الطرقات ، وتكوين الساحات العامة . وكان جامع السيدة أول مسجد تعرض لمعاول الهدم[54] بدعوى إقامة ساحة داخل المدينة ـ هي ساحة الشهداء اليوم ـ تستعمل للدفاع في حالة انتفاضة السكان[55] . ويذكر الوكيل المدني بيشون أن الجيش استولى فيما بين 1830 ـ 1832 على خمس وخمسين ملكية تابعة لأوقاف مكة والمدينة[55] ، وعلى إحدى عشرة ملكية تابعة للمسجد الكبير .

ردود الفعل :

يعتبر قرار 7 ديسمبر من البوادر الأولى للإستعمار والتدخل في الشؤون الدينية للسكان ، كما يعتبر من الخطوات الأولى لمحو التراث الإسلامي بالجزائر . وقيام السلطة بهذا العمل لقي معارضة شديدة من السكان ، وحتى من بعض الفرنسيين . وعلى هذا يمكن أن نقسم هذه المعارضة الى نوعين : النوع الأول ، ويشمل طائفة من المسؤولين الفرنسيين الذين رأوا في القرار شيئا ينافي مبادىء الدولة الفرنسية ، ويناقض عهد الأمان الذي أعطي للسكان ، فالجنرال برتوزين كان قد فكر إبان حكمه في الجزائر في إرجاع أوقاف مكة والمدينة[67] ، لأن حجزها مناقض لإتفاقية جويلية[68] . أما الوكيل المدني بيشون قد أتخذ موقفا معارضا للقرار برسالة وجهها الى رئيس مجلس الوزراء يوم 1831/11/11 ، طالب فيها بفسخ القرار بسرعة حتى يسمح ذلك للسلطة تمهيد طرق التوفيق مع القبائل القاطنة داخل البلاد[69] . وموقف بيشون فتح الطريق أمام البعض في التعبير عن تذمرهم من القرار ، ومن بين هؤلاء السيد الحاج محيي الدين آغا العرب الذي شكا لبيشون وناشده إرجاع أوقاف مكة والمدينة ، وإعادة المساجد المختلفة الى أصلها[70] .

والنوع الثاني من المعارضين للقرار ، العلماء ورجال الدين والمفتيون والقضاة ، أمثال محمد بن محمود بن العنابي المفتي الحنفي ، وإبن الكبابطي ، وشخصيات أخرى من أعيان مدينة الجزائر ، أمثال حمدان بن عثمان ، خوجة وبوضربة وغيرهما . وبحكم المناصب التي كانوا يحتلونها عند الفرنسيين ، تمكن هؤلاء من التعبير عن تذمرهم بما

حل بـالأوقـاف عن طريق تقـديم الشكايـات والعرائض الى المسؤولين الفرنسيين . ومن بين هذه الشخصيـات الـدينيـة الهـامـة ، المفتي محمـد العنابي الذي كان على رأس الإفتاء ، وهاله مـا كان يجري في مـدينـة الجزائر ولذا كاتب الجنرال كلوزيل بصفـة مستمرة[71] ، وانتقـد أعمـالـه التي خـالفت شروط معـاهـدة التسليم ، وقـام على رأس مجمـوعـة من الأشخـاص لتسيير بعض الأوقـاف إحتجـاجـا على تصرف الإدارة[72] ، فـاعتبره كلـوزيـل عنصرا خطيرا على السلطـة بحجـة أنـه يعمـل على تحريض السكان على الثورة . وقد ألقي عليه القبض وسجنه ، ثم نفاه بعد أن أوقع به في الفخ . أمـا حمـدان خوجـة[73] فكان هو أيضـا على رأس المعارضين للقرار رغم أنه قد اتخـذ موقفـا يهـدف الى التـآخي مع الفرنسيين في بداية الإحتلال . فكتاباته العديدة للرسائل ، تبين عدم تسامحـه مع السلطـة ، في شـأن المؤسسـات الـدينيـة ومن مراسلاتـه ، مذكرة وجهها وابراهيم بن مصطفى باشا الى المـاريشـال سولت وزير الحربيـة يوم 3 جـوان ضمنهـا الأخطـاء التي ارتكبهـا حكام الجـزائر ، وتشتمل المـذكرة على 18 نقطـة أغلب مـواضيعهـا يـدور حـول عـدم احترام السلطة للأماكن الدينية .

ونلمس من رد وزارة الحربيـة على المـذكرة مـدى التنـاقض الـذي يفصـل السلطـة المركـزيـة ببـاريس عن الحكام الـذين عينتهم ببـلاد الجزائر وعدم موافقتها للسياسة التي اتبعوها هنالـك[74] . وبـالرغم من التنـاقض المـذكور ، فـإننـا نلمس من جهـة أخرى في بعض بنود هـذا الرد ، ما يدلنا على أن هنالـك تسـامحـا وتجـاوزا لبعض الأمور . من ذلك شكايـة حمـدان رقم 2 التي تخص تهـديم المسـاجـد من أجل إنشـاء

الساحات العامـة فقـد كان جواب الوزارة عليهـا : «لا يمكن أن نقبل أن مبدأ المعاهدة قد رفعت عنا حق هـدم مسجـد لبنـاء مكان عـام ، وعندما وعدنا بإحترام الدين الإسلامي ، فـإننـا لم نلتزم مطلقـا بعـدم مس تلـك الأمـاكن لأي سبب من الأسبـاب» . ومن جهـة أخرى استصغرت الوزارة الأخطاء التي ارتكبهـا الجيش بردهـا على المـذكرة : «أن أغـلاطـا بسيطـة وكثيرة قـد أوقعت السلطـة المركـزيـة في أخطـاء»[75] . والسبب في هـذه المواقف هو تجـاهل السلطـة المركزيـة بباريس مـا كان يحـدث في الجزائر ، وتغـافلهـا عن بعض الأحـداث لانغماسها في قضـايـا الشؤون الـداخليـة ، الى جـانب ذلـك سيـاستهـا الترددية التي انتهجتها في السنوات الأولى من الاحتلال .

لقد نظر الفرنسيون الى الأملاك الدينيـة بمنظـار فرنسي ، فموقفهم نحوهـا هو نفس الموقف الـذي كان في المـاضي حول ممتلكات الكنيسـة إبـان الثورة الفرنسيـة عـام 1789 . فقـد أراد الفرنسيـون من خـلال قرارهم بيع أملاك الكنيسـة ليحصلوا على القوة وليضمنـوا مـدخـولات لخزينة الدولة . وفي هـذا الإطـار بـالـذات عـالج خلفـاؤهم بـالجزائر مشكلة الأملاك الدينية متصورين بدون شك أن نتـائج فقـدان هـذه الأملاك قد تكون مماثلة لما حدث بالنسبة للكنيسـة في فرنسـا . وقـد نسي هؤلاء أو تناسوا أن وضعية الأملاك الدينية بالجزائر تختلف تماما عن وضعية أملاك الكنيسة ، أضف الى ذلـك أنهم كانوا يجهلون تمـامـا دور مـدخـولات الأوقـاف في الحيـاة الإجتماعيـة والثقـافيـة للسكان . وبصفة عامة أن قـادة الحملـة كانوا يجهلون معطيـات الجزائريين دينـا وادارة ، ولـذلـك أرتكبـوا هـذه الغلطـة الكبيرة . ويمكن أن نعتبر

تدخل السلطة الفرنسية في شؤون الممتلكات الدينية مسا بالديانة الإسلامية التي وعدت بإحترامها ، وإحترام كل ما يرمز اليها . كما يعبر قيامها بتحويل لمساجد لعديدة الى كنائس للقيام بشعائرها الدينية نوعا من التنصير المقنع الذي تتعدد مظاهره وأشكاله .

بوادر التبشير الأولى : قصة تمسيح مسجد كتشاوة[76]

تتمثل وسائل التبشير في أشكال مختلفة ، فمنها الوسائل السلمية كتحبيب السيد المسيح ، وتقريبه الى النفوس ، وبالتعليم وإقامة المستشفيات ، وفتح الملاجىء ، وتوفير الخدمات الإنسانية ، ومنها الوسائل غير السلمية ، وتتم عدة عن طريق القوة وتتمثل أوجه نشاطها في تمسيح الوسط قبل تمسيح الروح ، وتتم عن طريق المحو الكلي أو الجزئي للمظاهر الدينية لشعب ما . وأحسن صورة لذلك ما حدث بالجزائر ويتمثل في غلق الزوايا بحجة أنها المحرضة على الثورة ، ونفي رجال الدين وإبطال شرعية المواسم الإسلامية ، وإخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي[77] ، وإرغام الائمة الى إلقاء خطب يوم الجمعة بإسم الملك الفرنسي[78] . ان هذه التصرفات التي قام بها الفرنسيون ، كانوا يأملون من ورائها القضاء على الطابع الإسلامي للجزائر لخدمة المسيحية .

ومن المبادرات الأولى التي قامت بها السلطة الفرنسية في الجزائر ، محاولاتها في تمسيح الوسط الجزائري أولا ، من ذلك تدخلها في شؤون الأوقاف سعيا للقضاء عليها ، لأنها لا تتناسب والوضعية الجديدة للوجود الفرنسي[79] . ثم هدمها للمساجد وتحويلها الى كنائس بحجة

إقامة الشعائر الدينية المسيحية بها . وكانت بذلك تطمع في خلق جو جديد للسكان يساعدها على التبشير وأحسن مثال لهذا التصرف ما صنعته بمسجد كتشاوة في مدينة الجزائر عندما حولته الى كنيسة القديس فليب ، وهذه أصبحت بدورها رباطا قوي يجمع شمل الأوروبيين الذين جاؤوا بفكرة إستعمار الايالة[80] بكل مفهوم الكلمة .

لقد تم تحويل هذا المسجد الى كنيسة في عهد الدوق دوروفيقو وتذكر بعض المراجع أنه سعى لدى المسلمين ليتنازلوا عنه وتم ذلك برضى مفتي المدينة[81] ، وهو مصطفى بن الكبابطي الذي كتب يقول : «لئن تحولت الشعائر في مسجدنا فإن ربه لم يتحول ، وقد كان في استطاعتكم أن تأخذوه قسرا ، لكنكم فضلتم الطلب على القوة ، وهذا مظهر من مظاهر التسامح ، هيهات أن ننساه»[82] .

والملاحظ من هذا القول ، أنه لم يكن عن طيب خاطر كما يبدو منه ، بل كان عن خوف ، فطريقة الإستيلاء عليه لم تكن بهذه الكيفية ، وإنما عن طريق القوة التي استعملها دوروفيقو بعد الموقف المعارض للسكان لهذا التصرف .

ولكي يقر دوروفيقو شرعية تصرفه[83] وليحصل على المسجد بطريقة لا تثير العواطف الدينية لسكان المدينة ، عمد الى تكوين لجنة يرأسها السيد بربريجر ويقتسم عضويتها علماء المدينة ، من بينهم المفتي إبن الكبابطي وبعض أعيان المدينة من بينهم أحمد بوضربة . وأثناء إجتماع اللجنة أبدى الجزائريون تمسكهم بإتفاقية 5 جويلية 1830 ، وأعربوا عن عدم موافقتهم على تسليم المسجد[84] .

ويذكر إبن مترجم الجنرال دوروفيقو فلوريـان فرعون[85] . F.Florian الذي سير المفـاوضـات بـإسم الجنرال مـا يلي : «اشتـد غضب الجنرال ، وأراد أن يقبض على المفتيين ويدخل المسجـد بقوة ، ويقضي على كل من يعارض إرادته[86] ، وفي الوقت نفسه تجمع حوالي 2000 متظـاهر من سكان المدينة احتجاجا على موقف دوروفيقو ، ولما أدرك بوضربة خطـورة المـوقف ومـا ينجم عنـه ، قـدم الى اللجنـة عقـد التخلي عن المسجـد الجـديـد الحنفي ، لكن الجنرال رفض ذلـك وصمم على أخـذ المسجـد وقـال : (اني أرفض هـذا المسجـد الجـديـد ، وأريـد أجمـل منـه)[87] . ثم أعطى أمرا للجيش بـاحتـلال المسجـد بـالقـوة يـوم 17 ديسمبر 1831 ، بعد أن سمع بتحريض الطـريقـة الطيبـة للسكان على الانتفاضة[88] ، وأثناء محاصرة الجيش للمسجـد كان حوالي 4000 مصل قد اعتصموا به ، واضعين الحواجز والمتاريس أمام أبوابه ، لكن الجيش تلقى أمرا بكسر الأبواب ، وإطلاق النار على المصلين ، فتدفق هؤلاء نحو الخارج بين قتيل وجريح ومغمى عليه . وبذلـك تم الحصول على المسجـد ، وتحققت إرادة الجنرال دوروفيقـو بعـد خرقـه لإتفـاقيـة 5 جويلية 1830 .

لقد أختار القسيس كولان[89] يوم 24 ديسمبر 1832 ـ أي مناسبة عيد ميلاد المسيح ـ لتمسيح المسجد وجعله كاتدرائية القـديس فليب . وبمناسبـة هـذا الحـدث ، بعثت الملكـة اميلي ـ زوجـة لويس فليب ـ بهدايا ، وهي عبارة عن زخارف للكنيسة الجديـدة . أمـا الملـك فقـد أرسل ستائر من القماش الرفيع ، وبعث البابـا غريغوار السـادس عشر تماثيل للقديسين للتبرك بها ، وأعرب عن امتنانه وشكره للذين قـاموا

بهذا العمل . وإن دل على شيء ، فإنما يدل على تآزر السلطة الرسمية بباريس ، والعسكرية بالجزائر والروحية بروما على إحياء الكنيسة الإفريقية ، التي كثيرا ما حلموا بعودتها . ويمكن أن يعتبر هذا الحدث تظاهرة رسمية للمسيحية بالجزائر[90] بسبب موقف الملك والبابا معا . وتأكد الجزائريون من بقاء فرنسا ببلادهم ، لأنها ركزت ديانتها كما ينبغي[91] . أما الجنرال دوروفيقو فقد أرسل وزير الحربية يطلعه على أخذ المسجد ويقول له : (اني فخور بهذه النتائج ، فلأول مرة تثبت الكنيسة في بلاد البربر)[92] .

ان هذا الإنتصار الذي أحرزه الجنرال دوروفيقو في هذه العملية قد فتح آفاقا جديدة أمامه وأمام الآخرين في نشر الدعاية المسيحية بالجزائر ، وذلك ما تكشفه لنا المراسلة التي كانت بينه وبين قنصل انجلترا بالجزائر[93] السيد أوالد ، الذي اقترح عليه استعمال النفوذ الديني لنشر الحضارة المسيحية . ويمكن أن نستخلص من هذا العمل المشترك الذي تمارسه الدول الأوروبية في مد نفوذها بالمستعمرات قديما وحديثا ، فالإقتراح كان محل تقدير الدوق دوروفيقو ، ولدى وزير الحربية الفرنسي الذي أبدى رغبته في النفع الذي يمكن أن يستخلص من مثل هذه المهات التبشيرية في أجزاء إفريقيا الشمالية . ولم يخف نيته في أن يكون نشر المبادىء المسيحية مساعدا على بث التقدم الحضاري[94] . غير أن الوزير الذي بين وبكل وضوح رغبته في التبشير ، قد توقع الخطر الذي ينتج عن هذه الدعاية الدينية فقال : «ليس من شأنها ـ أي الدعاية الدينية ـ أن تجلب الينا المسلمين الذين بدأ القلق يساورهم في معتقداتهم ، وسط هذا الدين الأجنبي عنهم» .

وأشار الى أن التسامح الذي تنص عليه القوانين الفرنسية ، يجب أن يكون في الجزائر من أجل المصالح السياسية للبلاد[95] .

ان هذا التسامح الذي استشهد به الوزير ، استعمله الجنرال دوفوارول لفتح باب التنصير بدعوى الحرية الدينية ، فقد أستغل ظروف امرأة جاءت اليه تطلب إعتناق المسيحية فرارا من معاملة زوجها السيئة ، فبعثها الى محافظ شرطة الملك بالبلدية وطلب منه أن يحميها من أذى ذويها لها بعد التنصير ، فحصلت على العناية التامة وأخذت تتعلم المبادىء الدينية الأولى للمسيحية ريثما تحصل على التعميد . ولما سمع القاضي السيد عبد العزيز ، إحتج لدى الجنرال على هذه العملية فرد عليه قائلا : «إن كل واحد حر في عبادته وهذا مبدأ الدولة الفرنسية»[96] . غير أن القاضي أراد مقابلة المرأة علّه يرجعها الى دينها ، وأصر على أخذها بالقوة إذا ما رفضت ذلك . وأمام هذه الوضعية أرسل دوفوارول بعض حرسه لحماية المرأة ، فخرج القاضي قائلا : «أن الديانة المحمدية لم تعد حرة»[97] . وأتفق والمفتي مصطفى بن الكبابطي على إيقاف العمل إحتجاجا لهذا التشجيع على التنصير ، فقابل دوفوارول هذه المعارضة بطردهما من الوظيفة ، وعين مكانهما أشخاصا آخرين[98] .

إن عودة الكنيسة الى الحياة السياسية ، وفي عهد شارل العاشر ، قد سمحت بنشاط الإرساليات التبشيرية في فرنسا وخارجها ، وساعدت على خلق جو ديني ، إنعكست آثاره على إحتلال الجزائر عام 1830 . واتضحت هذه الآثار في الطابع الديني الذي اكتسته هذه الحملة ، والنزعة الصليبية التي أتصف به المسؤولون . وبعد

الإحتلال لم تعمل السلطات على إحترام الديانة الإسلامية ، كما جاء في إتفاقية جويلية 1830 عند إستيلائها على المساجد والمؤسسات وهدمها لها ، دون إحترام الشعور الديني للسكان . وكان هذا بمثابة تدخل في شؤونهم الدينية . ويمكن أن نعتبره وجها من أوجه التبشير التي تتعدد وسائله ومظاهره . وسوف يحاول المسؤولون ورجال الدين تنفيذه لتثبيت السلطة الفرنسية في الجزائر ، ولا سيا بعد تأسيس الأسقفية ، وتوافد رجال الدين عليها .

هوامش

(1) لويس غابريال بونالد (1745 ـ 1840) رجل سياسة وفيلسوف فرنسي ، وهو من المحافظين والمدافعين على المملكة البريونية والعهد القديم والدين من كتبه :

(2) la théoric du Pouvoir polit i que et religeux dans la societe civile (1796)

(3) José cabanis:Charles x roi ultra; Paris; 1972 P: 320

(3) نفس المصدر .

(4) من عظماء رجال الدين في فرنسا في عهد شارل العاشر ومن أشهر كتبه : Défense du christianisme

(5) أعيد تكوينها في العهد الامبراطوري الأول ، ولكنها بقيت قليلة النشاط بسبب الحروب التوسعي التي قام بها نابوليون .

(6) بلغ عدد الإرساليات التبشيرية في فرنسا فيا بين (1824 ـ 1830) مائة إرسالية وقد قال الأب غريفيل (لو أستطعنا أن نرفع عددها الى الألف لتمكنا من تمسيح فرنسا بأكملها) .

(7) تأسست هذه الفرقة سنة 1534 قبل الفارس الإسباني أجانيوس لويولا هدفها خدمة الدين وغاياتها التبشير بالمسيحية .

(8) عبد الجليل التيمي : «التفكير التبشيري والديني لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر» المجلة التاريخية المغربية ، عدد 1 سنة 1974 ص 13 .

(9) من هؤلاء الفلاسفة : جوزيف دومستر (1854 ـ 1821) ولاموني (1782 ـ 1854) ولاكوديير (1861 ـ 1802) .

(10) Michel Habart: histoire d*un* parjure,Paris, 1960. P 173

(11)Grussenmeyer Mgr; vingt cinq années d'espiscopat en France et en Afrique; Alger, 1882, tome 1 p 173

(12) Jean Garnier: charles x le roi le proscrit; Paris, 1967 P 149

(13) ولد في سوق أهراس سنة 355 م ومات 430 م . كان أسقفا على مدينة بون (عنابة حاليا) وهو من أكبر وأشهر الكتاب في الفلسفة واللاهون من كتبه : مدينة الله ، واعتراف .

(14) ولد سنة 200 ، ومات 258 . كان أسقفا بمدينة قرطاجنة وهو من أكبر آباء الكنيسة .

(15) هو القائد الروماني بليوس كورنلوس الملقب بالافريقي ، ولد سنة 135 ق م ومات عام 183 ق م . أستولى على مستعمرات قرطاجنة ، وهو الذي قضى على حنبعل في معركة زاما بتونس سنة 202 ق م .

(16) هابار ص ، 170 .

(17) أن البابا بيوس الثامن لم ير مانعا في أن تستخدم موانئه أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر .

(18) يؤيد القائد أولت دومانسيل نفس الفكرة ، فهو يعتبر الحملة حملة صليبية في كتابه : Expédition d'Afrique ; Paris ; 1882 ; p.141

(19) بقيت المعاهدة حبرا على ورق الى أن طبقت في عهد لويس فليب عام 1841 .

(20) ولا غرابة إذا وجدنا نفس الرغبة تراود أسقف مدينة مرسيليا مازينو الذي خاطب جمعا من رجال الجيش قائلا : «إن القديس لويس التاسع يدعونا من تلك البلاد (قرطاجنة) لإحياء الكنيسة الإفريقية» ، هابار ص 260 .

(21) غارنيي ، ص 183 .

(22) كبانيس ، ص 321 .

(23) غارنيي ، ص 183 .

(24) طبع منه 400 نخسة ، كان المقرر إرسالها الى السيد لوسيب بتونس الذي كلف بنشرها في الجزائر مع السيدين ، جيراردن وريمير دوبينيوس ، وهما من رجال المخابرات السرية .

(25) نص المعاهدة منشور باللغة العربية في المجلة الإفريقية ، مجلد 6 ، عام 1862 ، ص 153 ـ 156 .

(26) رافق الجيش الفرنسي ستة عشر قسيسا من بينهم قسيس سوري ، هو الأب زكار الذي كان مترجما في الادارة العامة .

(27) Gabriel Esquer: la prise d'Alger; Paris; 1921; Page 320

(28) وفي 21 جولية 1830 ، أقيمت صلاة خاصة أخرى بهذه المناسبة في الكنيسة الملكية للقديس لويس التاسع .

(29) لقد كذب المؤرخون الفرنسيون عملية نبش القبور ، لكن في كتاب المرآة لحمدان خوجة تصريحات رسمية ، من طبيب وصيدلي تشهد على أنا باخرة Bonne Joséphine حملت هياكل بشرية الى مرسيليا عام 1833 .

(30) Charles André julien: histoire de L' Algérie contemporaine; Paris; 1964 P. 64

(31) Yvonne turin: les Affrontements dans L'Algérie coloniale, Paris, 1972 P 119

(32) حمدان بن عثمان خوجة : المرآة ، تعريب وتعليق محمد بن عبد الكريم ، بيروت 1972 ، ص 283 .

(33) أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرة ، بيروت 1969 ، ص 26 نقلا عن جورج ايقر (حمدان بن عثمان خوجة) المجلة الإفريقية ، مجلد 57 ، سنة 1913 ، ص 138 .

(34) له تجربة استعمارية ، حصل عليها من جزر الانتيل ، كانت له مسؤولية في سويسرا وهولندا ووستفاليا . كان يتحاشى الدخول في مشاكل الجزائر ، ولم يقبل هذا المنصب إلا بضغط من كاسمير بريي .

avenir; Paris; 1833 page 95. (35) le baron pichon: alger sous la domination francaise, son état présent et son

moyens d'en assurer la prospérité; Paris; 1839; page; 77 (36) Genty de bussy: de L'établissement des Francais; dans la régence d'Alger et des

(37) بعد ثورة جويلية 1830 ، استقبل البابا القائد دوبرمون ليهنئه على دوره في الإحتلال .

(38) وهي أملاك الداي ، والبايات والمليشيا التركية ، وفي 22 ماي 1831 أطلع وزير الحربية بباريس عن طريق وزارة المالية أن هناك شركة أجنبية تريد شراء أملاك العثمانيين المختلفة فأصدر قرارا أستهدف حجزها بصفة منفذة وسريعة .

(39) pellissier de reynaud: les annales Algerienne; Paris; 1854; tome; 1; page 120

(40) كان من بين هؤلاء المفتي الحنفي محمد العنابي ، الذي أحتج على القرار فنفاه كلوزيل بحجة أنه كان يحرض السكان على الثورة . وللمزيد من المعلومات راجع كتاب المرآة لحمدان خوجة ص 222 ـ 223 ، وهي تروي قصة سجنه ونفيه ، وأنظر عنه : دراسة الدكتور أبو القاسم سعد الله (المفتي الجزائري المصري ابن العنابي) في مجلة الأصالة عدد 31 ، شهر مارس 1976 ، ص 38 ـ 39 .

(41) تبقى أوقاف مكة والمدينة مسيرة من وكلاء مسلمين على أن تختارهم وتراقبهم السلطة الفرنسية .

(42) وقد كان الأول مفتشا للمالية والثاني مقتصدا في الجيش الفرنسي .

(43) هابار ، ص 52 .

(44) محاضر وتقارير اللجنة الافريقية ، باريس 1834 ، 413 .

(45) هي أهم الأوقاف على الإطلاق ، لأن دخلها يساوي 4/3 كل مؤسسات الحبس ، بلغ دخلا سنة 1831 41 364 ف . وكان يقسم الى جزئين ، جزء يبعث الى فقراء مكة والمدينة ، وجزء آخر يوزع على شكل صدقات لفقراء مدينة الجزائر صباح كل خميس .

(46) تأسست سنة 1584 ، وهي عبارة عن هيأة دينية ، تشرف على ثمانية مساجد بمدينة الجزائر تابعة للمذهب الحنفي .

(47) يشرف على أوقافه ، المفتي المالكي ويساعده في وظيفته ثلاثة وكلاء .

(48) وهي كثيرة بمدينة الجزائر . وكل زاوية تحتضن ضريح صالح يأتيها الزوار من كل جهة ليتبركوا بدفينها ، ويقدموا لها الهبات المختلفة وعددها 19 زاوية لكل منها ملكيات مختلفة .

(49) تأسست هذه الأوقاف سنة 1601 لفائدة النازحين من الأندلس ، أيام ظهور حركة الإسترداد المسيحي بإسبانيا ، وقد ساهم في تكوينها الأغنياء من المهاجرين لإغاثة مسلمي الأندلس .

(50) كانت الإنكشارية تملك سبع ثكنات ، وكل ثكنة مقسمة الى 100 حجرة ، وكل حجرة تكون هيأة دينية ، بيدها ممتلكات يشرف عليها وكيل الحجرة .

(51) إن فتح العيون ، كانت من الأعمال الخيرية ، ولها إدارة خاصة يسيرها أمين العيون .

(52) كانت للطرق ملكيات ، يعود دخلها لإصلاح الطرق .

(53) Albert Devoulx: (Les édifices religieux. de L'ancien Alger) Revue Africaine Nº 164, 1868, Page 45

(54) بحجة أن البند الخامس من معاهدة 5 جويلية 1830 يخص مدينة الجزائر فقط ، ولا يخص المدن الأخرى .

(55) سفر الجنرال كلوزيل وإستبداله بالجنرال برتوزين الذي كان ضد مشروع كلوزيل في الإستعمار وضد قراره .

(56) يذكر دورينو أنه منذ الإستيلاء على أوقاف العيون ، أصبحت مدينة الجزائر مهددة بالنقص في المياه

(57) Joseph-François Aumerat: (La Proprité urbaine à Alger revue Africaine, 1898, Pge 177

(58) بيشون ، ص 213 .

(59) دوفولكس ، ص 45 .

(60) دورينو ج 1 ، ص 122 ـ 123 .

(61) تقرير السيد جيراردان مدير أملاك الدولة ـ الى المقتصد بونديراند يوم 22 أوت 1831 .

(62) ولمزيد من التفاصيل راجع :

Ministre de La Guerre:

Tableau de La Situation des établissements Français en Algérie Paris, 1838 Page-225

(63) تم تحويل 32 مسجدا الى مراكز ومصالح ادارية فيما بين 1830 ـ 1832 .

(64) تلاه تحطيم خمسة مساجد فيما بين 1830 ـ 1832 .

(65) أوميرا ، ص 179 .

(66) وحسب الأرشيف الوطني بباريس تحت رقم ف 80 1673 . أنها بلغت 81 ملكية .

(67) حمدان خوجة ، ص 225 .

(68) فبمجرد وصوله الى الجزائر ، أعطى أمرا يمنع فيه متابعة عمليات الحجز ، لكنه لقي معارضة شديدة من مفتشي المالية فوجرو والبارون فوتلاند ، وكلاهما كان يسعى في تنفيذ القرار بشدة .

(69) نص الرسالة منشور في الكتاب المذكور لبيشون ، ص 250 ـ 255 .

(70) نفس المصدر .

(71) حمدان خوجة ، ص 222 .

(72)Clauzel: observation du généralClauzel sur quelques actes de son gouvernement à Alger; Paris; 1831 page 108

(73) سمحت له وضعيته الإجتماعية والثقافية أن يتقلد مناصب إدارية في عهد الإحتلال من بينها الإشراف على لجنة تقدير تعويضات الأملاك المهدمة .

(74) عبد الجليل التميمي ـ بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، 1816 ـ 1871 ، تونس 1972 ، ص 145 .

(75) نفس المصدر .

(76) بني في القرن الرابع عشر للميلاد ، على هضبة كتشاوة ، ومعناه باللغة التركية ، الهضبة التي يرعى بها الماعز . هدمه حسن باشا عام 1793 ، وشيد مكانه مسجدا آخر ، أطلق عليه بعدئذ مسجد كتشاوة .

(77) وتم ذلك بعد قرار 22 أكتوبر 1830 في عهد الجنرال كلوزيل .

(78) الأرشيف الوطني بباريس ف 80 1673 .

(79) عن تقرير السيد بلونديل ، مدير المالية بالجزائر ، عن الأرشيف الوطني بباريس ف 80 1673 .

(80) بيشون ، ص 174 نقلا عن جريدة المرشد الجزائر يوم 14 جويلية 1832 .

(81)Repeticci curé de maison carrée: L'Algérie chrétienne; esquisse historique 1830-1930 Alger sans date; p 71

(82) الطاهر بوشوشي «تاريخ مسجد كتشاوة» مجلة الأصالة ، عدد 14 - 15 ، ص 893 .

(83) جوليان ، ص 90 .

(84) نفس المصدر .

(85) له كتيب صغير بعنوان :

Episode de la conquête, cathédrale et mosquée, Paris 1880

(86) جوليان ، ص 90 .

(87) تدخل المقتصد المدني بيشون بين المسلمين والجنرال ، واقترح على هذا الأخير التخلي عن المطالبة بالمسجد وبناء كنيسة للديانة المسيحية لكن الجنرال رفض هذا الاقتراح .

(88) جوليان ، ص 91 .

(89) وهو رئيس المرشدين العسكريين ، وأحد المبشرين الأوائل بالجزائر .

(90) جوليان ، ص 91 .

(91) رسالة الجنرال دو روفيقو الى وزير الحربية الفرنسي يوم 9 جانفي 1833 نقلا عن :

Gabriel Esquer: correspondance du duc de Rovigo (1831-1833) Alger 1920. tome 2., page 338

(92) نفس المصدر .

(93) أ ، و ، ب ، رقم ف 80 1667 .

(94) أ ، و ، ب رقم ف 80 1667 .

(95) نفس المصدر .

(96) دورينو ج 1 ، ص 312 .

(97) نفس المصدر .

(98) عين بدلها في القضاء المالكي ، السيد أحمد بن جدون ، وفي الافتاء السيد العواد بن عبد القادر .

الفصل الثاني

أسقفية الجزائر والتبشير

قامت ثورة جويلية 1830 بفرنسا كرد فعل ضد حكم شارل العاشر ، الذي تآزر مع الكنيسة . الأمر الذي أدى الى هيمنتها على الحياة السياسية ، فجاءت الثورة لتضع حدا لسيطرة الكنيسة . والحقيقة أن الكنيسة عاشت ظروفا قاسية أيام الثورة ، وخاصة بعد السنوات الأولى منها . فقد ضرب الثوار أبرشية باريس ومركز اليسوعيين ، ودار الإرساليات التبشيرية ، كما هدد أسقف باريس بالموت ، وأضطر العديد من رجال الدين الى الهجرة الخارجية ، ووصل الأمر الى حد أصبح فيه رجال الكهنوت لا يخرجون الى الشوارع بلامبسهم الدينية[1] . ونتيجة لهذا اشتد التيار الفولتيري الذي تزعمته الطبقة البرجوازية ولكن بالرغم من ذلك (الطبقة البرجوازية) بقيت تساند وتشجع الكنيسة ، تدفعها أغراض سياسية وإجتماعية[2] .

وقد أمتازت العلاقة بين البابوية وحكومة لويس فليب منذ

1830 بنوع من الفتور والتخوف ، ومع ذلك فإن البابا بيوس الثامن[3] عمل ما في وسعه على أن لا يكون لتغيير الحكم تأثير على العلاقة مع روما ، فأعطى الملك لويس فليب - كما فعل مع شارل العاشر - لقب الملك الشديد المسيحية[4] ، وهذا بالرغم من الأخطاء التي قام بها القس لاموني[5] ، وبالرغم من التيار المضاد للدين في الحياة السياسية والإجتماعية ، وشيئا فشيئا تقرب لويس فليب من الكنيسة حتى يتلقى منها تدعيما يساعده على الوقوف ضد الحركات المناهضة له وللدين . وأعتمد على الدين إعتمادا كبيرا في أعماله . ولكي يعاكس التيار المضاد للدين عمل على رفع ميزانية الشؤون الدينية[6] بالجزائر ، وكثيرا ما تكلم عن ذلك في مجلس وزرائه[7] ، وقد قال بهذا الخصوص : «يجب أن يكون هنالك حسن تدبير في العمل على تنصير العرب الذين لا يمكن أن يكونوا فرنسيين إلا إذا تنصروا»[8] .

لقد ساند لويس فليب في هذه الفكرة رئيس وزرائه جيزو الذي كتب في مقال نشرته (المجلة الفرنسية) بتاريخ أول جانفي 1830 «لا بد من خلق توازن ووفاق بين الدين والسياسة»[9] . ونفس الرغبة كانت عند البابوية التي كانت أول من أبدى الإهتمام بالمستقبل الديني بالجزائر ذلك لأن الإحتلال الفرنسي للجزائر - في نظر كثير من الأوروبيين - أسدى خدمة كبيرة للمسيحية بقضائه على القرصنة وتخليص المسيحيين الأسرى . وقد رغبت روما في إسترجاع هذا الماضي البعيد بعد أربعة عشر قرنا من الفتح الإسلامي[10] .

مشروع إرسال العازاريين الى الجزائر :

في نوفمبر 1833 ، اقترح السيد غاربيالدي المكلف بالشؤون الدينية البابوية بفرنسا على الدوق دوبروغلي وزير الخارجية الفرنسي تسليم الشؤون الدينية بالجزائر الى فرقة العازاريين[11] ، وقد وقع إختياره على هذه الفرقة حسب رأيه لهذه الأسباب :

1 ـ وجود هؤلاء المبشرين بشمال إفريقيا منذ مائتي سنة ، وبذلهم تضحيات فيها في سبيل التبشير .

2 ـ خدمتهم المصالح الفرنسية في تركيا ، ذلك لأنهم لعبوا دورا معتبرا بخدماتهم الخيرية والتنصيرية فيها ، وفي ولايات تابعة للدولة العثمانية .

3 ـ إحتكاكهم بالمجتمع الإسلامي ، ومعرفتهم بعاداته وتقاليده .

4 ـ معرفتهم اللغة العربية ، وهذه مزية تسهل لهم الإتصال بالسكان في الجزائر ، وتيسر لهم نشر رسالتهم .

لقي هذا الإقتراح قبولا من الوزير الفرنسي الذي قال : «أن المسؤولية الروحية للمستعمرة ، لا يمكن أن تسلم إلا لأيد صالحة»[12] . والإختيار لهذه الفرقة وتوفر الشروط المطلوبة فيها ، ثم الإصرار على إرسالها ، أمر لا يدع مجالا للشك في أن المشروع كان يرمي الى التبشير وتحقيق آماني البابا غريغوار السادس عشر الذي أرتاح لهذا الإقتراح .

بقي هذا المشروع راكدا مدة طويلة ، بسبب سياسة التردد التي أنتهجتها الحكومة الفرنسية في السنوات الأربع الأولى من الإحتلال . ولما رأى غاريبالدي إهتمام باريس بالتنظيم الإداري للجزائر[13] أعاد

الطلب مرة أخرى للماريشال سولت وزير الحربية ، مؤكدا له ضرورة إرسال هذه الفرقة ، ولكي يبرهن سولت على إهتمامه بهذه المسألة ، كلفه بوضع تقرير سري عن الحالة الدينية في الجزائر ، ووعده بأن يهتم بهذه المسألة ، في إطار التنظيم العام للجزائر . لكن السياسة الدينية للملك لويس فليب كثيرا ما عاكستها السياسة العامة للحكومة . وقد عرفت هذه الأخيرة أزمة داخلية ، فبعد إستقالة الماريشال سولت ، توالى على وزارة الحربية عدة وزراء في مدة قصيرة ، الأمر الذي أدى الى عرقلة المشروع[14] . ويمكن أن نضيف الى هذا أسبابا أخرى ، عطلت إرسال هذه الفرقة الدينية الى الجزائر :

1 ـ سوء التفاهم الذي دب بين البابا والملك حول تعيين النائب البابوي للفرقة ، فكلاهما كان يرى أنه أحق بهذا التعيين .

2 ـ نية البابا التي تتمثل في إنشاء كنيسة في الجزائر متخلصة من الكونكوردة[15] .

اميلي دوفيلار ومساعيها الخيرية التبشيرية

في الوقت الذي كان الأخذ والرد قائما بين البابا والملك لويس فليب حول تعيين فرقة العازاريين ، وفي الوقت الذي لم يتبلور التنظيم الديني المسيحي ولا الإستقرار السياسي ، ظهرت بعض المبادرات الفردية ، والمغامرات الشخصية التي قام بها بعض أفراد الطبقة الأرستقراطية الفرنسية ، لقد سعت الى الربط بين الإستعمار والتبشير في الجزائر ، وعملت على مد النفوذ السياسي بمبادىء الحضارة

الفرنسية المسيحية . ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أنها حجة يتخذها المستعمر لتبرير وجوده بالأرض المحتلة ، وإنها وسيلة يستعملها في تقريب السكان اليه . إن أحسن من مثل هذا النشاط الشخصي في بداية الإحتلال هو البارون أوغسطين دوفيالار[16] الذي وصفه جورج غوايو **Géorges Goyau** قائلا : «أن لدوفيالار الشرف ، لأنه كان أول معمر بالجزائر ... وأن له روح فرسان العصور الوسطى التي هبت فيه لتقديم فرنسا المسيحية في صورة خيرية الى الإسلام»[17] .

لم يكن يخفى عن بال البارون دوفيالار أن الأعمال الخيرية ، يمكن أن تكون أحسن طريقة تستخدم فيخلق علاقة طيبة مع سكان الجزائر ، ولا سيا في الظروف الحرجة التي كانت تمر بها حركة الإستعمار في مدينة الجزائر وخارجها .

عزم أوغسطين على الذهاب الى مصر ، وأثناء سفره مر بالجزائر التي توقف بها يوم 12 جانفي 1832 فأعجبته فأستقر بها . فكان أول معمر كبير دخلها ، وشجع الحركة الإستيطانية ، التي دعا اليها الجنرال كلوزيل . وقد أشترى إقطاعات من الأراضي في القبة وبرقي وإبن عكنون وبوفاريك بسهل متيجة ، وأدرك أهمية ناحية بوفاريك لأنها مفترق الطرق يتوافد على سوقها سكان الأطلس البليدي كل أسبوع ، فبإمكانه ربط علاقة تجارية معهم «لنشر أعماله الخيرية»[18] ، لا سيا أن هذه السوق تقع في منطقة يكثر فيها مرض الملاريا . ولهذا قرر إنشاء مركز طبي بها في مارس 1835 على حسابه الخاص ، وقد أيده في مشروعه الحاكم العام الكونت درلون **D'Erlon** .

إن أوغسطين دوفيالار كان أول المعمرين الذين جاؤوا ليخدموا

الفكرة الفرنسية في الجزائر[19] . وكان لا بد لنشر أفكاره هذه من إعانات مادية ومعنوية في فرنسا ولذلك سافر الى باريس ، ووجه نداء الى الفرنسيين يستعطفهم بإسم الحضارة المسيحية . ومما جاء في هذا النداء : «.... لمن الشرف أن تعمل بلادنا على تخفيف الآلام حتى في الأرض الإفريقية ، ومما لا شك فيه أن العرب والقبائل سيتأثرون عندما يعرفون أن الفرنسيين والمسيحيين يبعثون اليهم النجدات ، إن مثل هذه المؤسسة (أي المركز الطبي) يجب أن يلقى في فرنسا كل التشجيع ، لأن عمل الخير يتغلب على الآلام ، وهذا نصر في الأراضي الإفريقية»[20] . والبارون دوفيالار أدرك أن الإحتلال عن طريق القوة ، لا يؤدي الى نتيجة مثمرة ، وإنما يجب أن يتم ذلك بوسائل سلمية، وعن طريق فتح مراكز طبية أمام كل مركز عسكري حتى «يمكن جذب السكان الينا بواسطة الأعمال الحسنة خدمة لحضارتنا»[21] .

لقد وجد نداء دوفيالار في باريس آذانا صاغية ، وكان أول من أصغى اليه هو الملك لويس فليب نفسه ، وزوجته اميلي اللذان تبرعا بمبلغ 1500 ف لفائدة المرضى[22] . ولكن ترى من يقوم بمعالجة المرضى والحال أنه لا بد من راهبات للقيام بهذا العمل الخيري ؟ ولهذا فكر أوغسطين في أخته اميلي دوفيالار[23] وعرض فكرته على المجلس البلدي بمدينة الجزائر الذي كان يشارك في عضويته ، فكان الإقتراح مقبولا من المجلس .

حلت اميلي بالجزائر يوم 10 أوت 1835 مع مجموعة من الراهبات ، وحدث أن انتشر داء الكوليرا ، وبذلك أجبرتها الظروف

على البقاء في المستشفى المدني بمدينة الجزائر ، فكانت فرصة لاميلي أبرزت فيها قواها الروحية والمادية . لقد صرفت حوالي 20 ألف فرنك (لشراء السكر والليمون للتخفيف عن المرضى) ، وهو مبلغ بدى للجنرال كلوزيل عظيما ووعدها بالمساعدة ، فتشجعت وكتبت **لعمتها** تقول : «أن أعمالي يلحظها الجميع بعين الإعتبار ، وأن لي علاقة طيبة مع القوى الحاكمة بالجزائر»[24] .

في الوقت الذي كان أوغسطين يعمل بكل جدية ، وبواسطة أمواله الخاصة من أجل الإستعمار ، كانت أخته اميلي مهتمة بنشر رسالتها الأنجيلية في الجزائر ، ووسيلتها في ذلك التطبيب والخدمات الخيرية التي لقيت ترحيبا من رجال الدين . ويتضح لنا ذلك من مكاتبة قنصل الفاتيكان بالجزائر لأسقف مدينة فاياك ـ وهو الأسقف غوالي ـ في أكتوبر 1835 ، يعبر فيها عن إرتياحه لهذا النشاط : «أظن أني مقصر في واجبي إن أنا لم أطلعكم على التأثير الرائع الذي يمارسه وجود أخوات القديس يوسف لصالح الدين الكاثوليكي على المسلمين واليهود»[25] .

إن الظروف الأليمة التي عرفها سكان مدينة الجزائر ، وسكوت السلطة العسكرية على هذا العمل التبشيري ، شجعا اميلي على السفر الى فرنسا في نوفمبر 1935 ، الى مسقط رأسها أولا حيث باعت ما تبقى لها من الممتلكات لفائدة رسالتها بالجزائر ، والى باريس ثانية حيث اتصلت بالملكة اميلي زوجة لويس فليب وبوزير الحربية ، فتلقت منها تأييدا وعادت الى الجزائر مع ثماني عشرة راهبة[26] .

أنتبهت اميلي أن القيام بعملية التبشير بطريقة مكشوفة سيعمل

على هيجان العواطف الدينية للسكان ، وذلك ما لاحظه ثلاثة أعضاء من المجلس البلدي لمدينة الجزائر[27] ، ولذا حذرت راهباتها من التحدث عن الدين الكاثوليكي مع المرضى المسلمين ، حتى لا يعكر صفو نشاطها ، وأكدت لهن ذلك بقولها : «أنا نعمل أولا على تحبيب ديننا للسكان وعلى إحترامه»[28] . لأن العمل الخيري - في نظرها - يؤثر في قلوبهم ويجعلهم يتقربون الى المسيحية .

إن التفاني في العمل والتضحية هي من الصفات التي يتاز بها المبشرون والمبشرات ، وهي ميزة لاميلي دوفيالار وفرقتها فقد فتحت في أكتوبر 1836 مدرسة للبنات - للأهالي - بلغ عددهن 160 تلميذة عام 1837 ، وهو العدد الذي أدهش المفتش التربوي السيد ليبشو **Lepchou** فطلب منها فتح مدرسة أخرى ، وتلا ذلك فتح مركز كبير لتدعيم فرقتها الدينية ، ومستوصفا لمعالجة المرضى ، وملجأ للأطفال الأيتام ،استطاعت أن تحل مشاكلها المالية بالالتجاء الى أخيها أوغسطين دوفيالار .

ويمكن أن نسجل حدثا هاما بالنسبة لفرقة القديس يوسف ولمصيرها وهو وصول الأب بورغاد **Bourgade** الى الجزائر سنة 1838 بعدما سمح له بذلك وزير الحربية بباريس والوكيل المدني بالجزائر[29] . ويعتبر هذا القسيس من ألمع المبشرين في الجزائر وتونس على الأخص . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الحلقة المتوصلة التي خططها دعاة التبشير في شمال إفريقيا[30] . لقد أختارته اميلي مرشدا دينيا لفرقتها[31] ، فأظهر حماسا شديدا في التبشير سمح له بأن يكون محل ثقة كبيرة عندها . فبإقتراحه تم فتح مركز خيري

آخر بمدينة بوفاريك . كما نال عطف الماريشال فالي **Valée** الـذي سلم له مسجدا صغيرا كان تابعا لمستشفى الداي ليقيم فيه[32] .

ولكن هل وجد هـذا النشـاط إقبـالا من السكان ؟ وهل نجحت هذه المساعي كلها في التنصير ؟ إن الجواب على ذلك يوجد في تقرير وجهتـه اميلي الى البـابـا غريغـوار السـادس عشر تـذكر فيـه بمرارة : «يشرفنا أن تتلقى زنجية التنصير والأخرى التعميد ، ولكنهما أخطأتـا حينما إرتدتا وعادتا الى ديانتهما الأصلية»[33] .

وتـذكر في نفس التقرير حـالـة مريض استغلت جروحــه فتنصر وتسمى جـاك ، الأمر الـذي جعلـه محـل شتم وسب المسلمين لــه ، ولا سيما حينما كانوا يرون الصليب على صدره . وحرية التنصير وسط المسلمين ، جعلت الراهبـات ومعهن القسيس بورغـاد يغتنمن الظروف الحرجة للمرضى ، فيعمدنهم وهم في حالة الإحتضار[34] .

وتـدل الأعمـال التي تقـوم بهـا اميلي بكل نشـاط[35] على أن هنـالـك سكوتا من السلطة عليها . غير أنها وجدت من يقف ضدهـا والغريب أن يكون ذلك من الأسقف ديبش **Dupuch** ـ وهو أول أسقف بالجزائر ـ فقـد حدث صراع بينهما مرده الى أن هذه الفرقة لم تكن تابعـة لرومـا وحينمـا أراد الأسقف أن يخضعها له[36] رفضت اميلي وأدى موقفها هـذا الى طردهـا من الجزائر ، فغادرتها في أكتوبر 1841 ، وقد سـانـدهـا الأسقف مـازينو بمدينة مرسيليا والقسيس برجيس **Bargés** أمـا الجنرال بيجو **Bugeaud** فقـد قدر أعمالها ، لأنهـا سهلت الإتصـال بين الوطن وبين الأهـالي[37] ، وتحسر على عدم إعانتها لتراكم المشاكل حوله[38] وعبر لها بإسم السكان عن إعترافهم لــــه بـــــالأعمــــال التي قـــامت بهـــا

وراهباتها من أجل المسيحية ، وطردها من الجزائر لم يضع حدا لنشاطها فقد ذهبت الى تونس حيث وجدت الميدان فسيحا لأعمالها الخيرية التبشيرية .

تأسيس أسقفية الجزائر

لم يهدأ بال المسيحيين لمصير الإحتلال ، بالرغم من الخطوات التي قطعها التوسع الإستعماري ، بعد مرور ثماني سنوات على إحتلال الجزائر ، لأن المسيحية لم تتركز فيها وبصفة مستقرة . فقد تأخر تأسيس الأسقفية التي حلم بها الكثير من المسيحيين وسبب هذا التأخر يمكن حصره فيما يلي :

1 ـ سوء التفاهم الذي وقع بين البابا والملك لويس فليب حول من يحق له تعيين رجال الدين .

2 ـ مشاكل الإستعمار لم تترك للمسؤولين فرصة الإهتمام بالأمور الدينية .

3 ـ الروح الفولتيرية التي أتسم بها عدد من العسكريين فقد انتشر تيار مضاد للدين بين صفوف الجيش المقيم بالجزائر ، وبعض قادته الذين خافوا من رجال الدين ، وتلمسوا فيهم عودة سيطرة الكنيسة على الشؤون السياسية ووجدوا أن لا ضرورة لوجودهم وسط الجيش[39] .

وقد ذكر مبشر انجليزي زار الجزائر في ربيع 1831 «أنه يصعب على الإنسان تقديم صورة للكفر الذي ساد الفرنسيين البروتستانت منهم والكاثوليك»[40] .

وهـذا مـا جعـل المسحيين الطيبين يتـألمون لحـالـة الـديـانـة المسيحية بالجزائر ، ويتحسرون على هذه النزعة اللادينية التي سادت الوسط العسكري . فقد كاتب أحدهم وزير الحربيـة يشكو اليـه هـذه الحـالـة قـائلا : «منـذ حوالي ثمـاني سنـوات والعلم الفرنسي يخفق على سواحل إفريقيا ، ولم نقم حتى الآن بأي شيء من شأنه أن يساعد على إنتشار الدين ونفوذه ... ان نظرة سريعة على الوضعية المؤلمة للدين المسيحي في هذه المناطق المنكوبة الحـظ ، لتبرهن على ضرورة الإهتمام بتطبيق أسرع»[41] ـ ونفس الشعور كان لـدى أسقف مـدينـة مرسيليـا مازينو الذي تألم لهذا الوضع ، ونـاشـد الملـك لويس فليب على وضع حد لذلك بتأسيس الأسقفية[42] .

إن مثل هذه النـداءات عجلت بإنشـاء الأسقفيـة التي ستـدعم التبشير فيما بعـد . غير أنـه يمكن إضـافـة سبب آخر ـ في نظر المسيحيين ـ ويتمثـل فـي نظـرة المسلميـن للفـرنسييـن ، فـالـذي كـان يجـرح السكـان ، هـو الإختـلاف الـدينـي بينهـم وبيـن الأوروبييـن ، ثـم عـدم الـلامبـالاة الـذي لاحضـه الأمير عبـد القـادر للكـولـونيـل دوموريسـون فـي المقابلـة التـي جمعـت بينهمـا سنـة 1837 بسهـل غريـس[43] . ولـذا اتفـق البـابـا غريغـوار والملـك لـويـس فليـب علـى تـأسيـس الأسقفيـة يـوم 8 أوت 1838 ، وقـد عيـن أنطـوان ديبيـش أول أسقـف لهـا .

واذا كان تأسيس الأسقفية أمرا إرتاح له الماريشـال فـالي ، فـإنـه كان من جهة أخرى أثار تخوف السكان ، ذلـك لأن المـاريشـال فـالي

عـزم بعـد تكـوين الأسقفيـة مبـاشرة على تحـويـل المسجـد الحنفي ـ الجديد حاليا ـ الى كنيسة تدعيما للأسقفية الجـديـدة ، وإستمرارا لما حدث للمؤسسـات الـدينيـة في بـدايـة الإحتلال ، وقـد أعتبر السكان المسلمون أخـذ هـذا المسجـد أمرا خطير ينفـذ معـه الصبر ويخلف لهم الحزن(44) .

وإن كان تحويل المساجـد الى ثكنـات ومستوصفـات أمرا فرضتـه ظروف الحرب فما الحجة التي تتخذ اليوم في تحويل المسجد الحنفي الى كنيسة ؟ هذا ما تساءل به وزير الحربية عندمـا علم بـذلـك وقـال : «أن الإستفـزازات المتعـددة التي تحث على هجرة المسلمين تستنـد على وجه التحديد على إستحالة حماية القوة المسيحيـة لـدين يماثل دينها طالما كان عدوا لها»[45] . وأمام تخوف وزير الحربية تراجع الماريشال فالي عن أخذ المسجد المذكور .

الأسقف ديبيش والتبشير :

جـاء الأسقـف ديبيـش متحمسـا للمسيحيـة ، يدفعـه فـي ذلـك طمـوحـه فـي إحيـاء الكنيسـة الإفريقيـة[46] والـى تنصيـر السكـان ، وقـد عبـر عـن ذلـك قائـلا : «يجـب أن تكـون رسالتنـا بيـن الأهـالـي ... وينبغـي علينـا أن نعرفهم بـديـن أجـدادهـم الأوليـن بالخدمـات الخيريـة»[47] .

والأسقف يتفق مع الملـك لـويس فليب ، في أن تنصير العرب أمر لا بد منـه ، حتى تتم رسـالـة فرنسـا الحضـاريـة على أحسن وجـه في

الجزائر . وعلى هذا الأساس بدأ الأسقف عملية التبشير في وسطه بإعطائه 20 ف أسبوعيا لكل من جاء ليسمع التلاوة الدينية بالكنيسة ، ويعد خميسن فرنكا لكل من يقبل التعميد[48] . وقد شغلته ظروف البغايا فأقبل على تنصير بعضهن أيضا[49] ، وخصص يومي الإثنين والخميس ليتصدق فيهما بالخبز على المعوزين أمام الأسقفية[50] . ومن مساعيه أيضا جمعه للأطفال المشردين ، وهو عمل لقي تشجيعا من البابا غريغوار السادس عشر الذي تمنى أن يساهم أيضا في هذا العمل[51] .

واذا كان القسيس بورغاد المساعد الأكبر لاميلي دوفيالار في عملها الخيري التبشيري ، فإن القسيس سوشي Suchet يعتبر الساعد الأيمن للأسقف ديبيش في كل مخططاته التبشيرية .لقد وصل الى الجزائر في أوائل 1839 ـ أي مباشرة بعد تأسيس الأسقفية ـ واستقبله الأسقف بكل لطف ، وبإرشاد من الماريشال فالي[52] أرسل الى مدينة قسنطينة حيث استقبله السكان بكل فرح[53] ويقول سوشي : «أن الجنرال دوغالبوا Galbois De استقبلني بكل حفاوة في هذه المدينة التي لم يدخلها قسيس منذ 1400 سنة ، وصور لي رغبته في قدوم أخوات القديس يوسف ، وهو مستعد لإيوائهن بقصره ريثما يجد لهن محلا خاصا بهذه المدينة ، التي تم إحتلالها سنة 1837»[54] . وأثناء وجوده بالمدينة ، كون سوشي علاقات مع رؤساء الشؤون الدينية والمدنية ، واستطاع أن يؤسس أول معبد مسيحي بتحويله مسجد أحمد باي الى كنيسة ووصل به الأمر الى أن طالب بمنبر كان يوجد في أحد المساجد القديمة فتم له ذلك[55] وبهذا مهد لزيارة الأسقف الى قسنطينة وعنابة في فيفري 1839 .

وترتبط زيارة الأسقف لهاتين المدينتين - وهي الزيارة التي أصطحب فيها الأب لندمان[56] - Landman بأحداث لها أبعاد كبيرة على التبشير ، يمكن أن نطلع عليها في رسائل القسيس سوشي[57] ، التي تكشف بكل وضوح عن إخلاصه وإخلاص الأسقف لوظيفتها التبشيرية ، وتصور تحركات ونشاط كل منهما في هذه الزيارة والمساعي التي بذلت في جلب السكان اليها . وقد أظهر الأسقف فرحا شديدا حينما رأى شابا مسلما يحضر القداس بعنابة[58] ، وهي المدينة التي وقف بآثارها طويلا يستعيد حياة القديس أوغسطين أمام جمهور كبير من المتفرجين . واتسعت آماله أيضا حينما دخل البعض من المسلمين الى الكنيسة أثناء الصلاة يدفعهم في ذلك حب الإطلاع[59] .

كما اتسعت آماله بقبول بعض المسلمين بقسنطينة للتداوي في بعض المراكز الطبية التي فتحتها اميلي دوفيالار . وقد جاءه أيضا في أحد أيام القداس جمع من المسلمين من بينهم الأئمة ، والمفتيان المالكي والحنفي ، يشكون حالتهم له والمرتب القليل الذي أصبح لا يفي حاجياتهم لغلاء المعيشة ، ويقترحون عليه استغلال مداخيل الأوقاف ويهددونه بمغادرة المدينة والإعتصام بالجبال في حالة عدم تلبية مطلبهم ، وفي النهاية ناشدوه بإيصال الطلب الى الحاكم العام ، فوعدهم بذلك[60] . ويمكن أن نستخلص من هذه الحادثة شيئين هامين :

1 - أن الضرورة هي التي كانت تدفع السكان الى اللجوء الى الأسقف وهي التي أراد أن يستغلها في خدماته التبشيرية .

2 ـ الحالة التي أصبح عليها رجال الدين المسلمون بعد الإستيلاء على الأوقاف .

لقد تمخضت عن هذه الزيارة رسالة هامة نشرها الأسقف بفرنسا ، يعبر فيها عن إبتهاجه لجنيه الثمرة الأولى من عملية التبشير ، وذلك بتنصير خمسة عشر مسلما[61] . وقد أدى هذا العمل الى عرقلة إنشاء المدرسة العربية بباريس لعلم السكان بما قام به الأسقف . فقرروا عدم إرسال أبنائهم الى هذه المدرسة[62] ، خوفا من أن يكون مصيرهم التنصير ، كما أدى الى توسيع الهوة بين الأوروبيين والمسلمين والى قلق أولياء التلاميذ . فقد كتب الجنرال غيشنير قائد القطاع الوهراني الى الماريشال فالي يقول : «لقد رأى عربنا في هذا القرار مخططا يرمي الى أخذ أطفالهم وتنشئتهم في دين غير دينهم ... وفكروا في هجرة نواحينا والإنضمام الى سلطة الأمير عبد القادر[63] . ولما علم وزير الحربية بباريس بهذه التخوفات . أدرك خطورة ذلك ، فأسرع الى مكاتبة الماريشال فالي يحذره من خطر هذه العملية التي قام بها الأسقف «وهي ولا شك ستلهب العواطف الدينية للمسلمين وخاصة في الوقت الذي ما زال فيه جهاد الأمير عبد القادر متواصلا»[64] ، وتحسر على وقوف هذه الحادثة ضد مشروع إنشاء المدرسة .

وإذا لم يكن وزير الحربية مناصرا للتبشير في الجزائر خوفا من انتفاضات السكان ، فإن هنالك من سكت على ذلك من المسؤولين الكبار في الجزائر ، فبالرغم من تحذير سولت فإن الأسقف تمادى في أعماله التبشيرية ، يدفعه في ذلك إيمانه برسالته الدينية ، ويشجعه

سكوت الماريشال فالي[65] وعطفه عليه .

لقد تيقن الأسقف ، أنه يصعب عليه تنصير الكهول ولـذلـك لجأ الى تجربـة الأطفـال المشردين ، لتسهـل عليـه عمليـة التبشير لمرونـة عقولهم الصغيرة ، فسلم مجموعـة منهم الى فرقـة العـازاريين أو فرقـة القـديس فـانسـا دو بـولس ، التي حلت بـالجـزائر عـام 1843 ، والعـازاريون معروفـون بتجـاربهم الطـويلـة في المشرق العربي ، لكن هذه التجربة باءت بالفشل . ويحدثنا الأب كارون Carron الذي رافق الأسقف في كثير من رحلاتـه بـالجزائر[66] ، فيقول : «أن تنصير هؤلاء الأطفـال وقع في ظروف سيئـة فبـالرغم من إخلاص الأسقف ، فـإنـه يمتاز بالتسرع في أعماله ، لأن هؤلاء الأطفال يلذون بـالفرار ، ولأنهم تعودوا حياة التشرد ، ولم يستطيعوا الإستقرار عند العـازاريين ، وقـد كان على رجال الـدين أن يسـايروهم في جل حيـاتهم حتى يستطيعوا التأثير فيهم»[67] .

وللأب كارون خطة في التنصير ، فهو يقترح أن يعـامل المسلمون مثـل معـاملـة المسيحيين للـوثنيين في عهـود الكنيسـة الأولى ، أي لا يجب التعميد إلا بعد الترهبن مدة طويلة ، وبعـد أن يصل الأطفـال الى سن الرشد . وهذا الفشل لم يمنع الأسقف من البحث عن المحاولات الأكثر إيجـابيـة في التنصير ، وهكـذا اتجـه الي المستشفيـات ، لأن التمريض يعين على التبشير ، فـالمبشر يستطيـع أن يجـد في غرفـة الإستشارة أو حجرة المريض ، فرصا منـاسبـة لينشر بـذور التبشير في قلوب المرضى .

وقـد أستغل المبشرون لأداء مهمـة التبشير الراهبـات الممرضـات ،

لأن المرضة في نظرهم لا تعمل على تخفيف الألم فحسب ، بل تحمل اليهم رسالة السيد المسيح[68] . وعلى هذا الأساس أسند الأسقف هذا النشاط في المستشفيات المدنية بمدينة الجزائر ، الى أخوات القديس فانسا دو بولس[69] - وهي من فرقة العازاريين - ولا سيا بعد أن لمس النجاح الذي أحرزته اميلي دوفيالار في ميدان التطبيب . وقد بلغ عددهن بالمستشفيات ثلاثين راهبة[70] أبدين استعدادا كبيرا ، وتفانيا في العمل وسلوكا حسنا مع المرضى وبدأن خطتهن في التنصير بالمراحل التالية :

1 - إقامة الصوات أمام المرضى ، وتكليفهم بالمشاركة في ذلك .

2 - توزيع الصلبان على بعض العجزة من المرضى ، وتعليق بعضها في حجراتهم[71] .

3 - إيجاد الفرص الملائمة للتحدث مع المرضى في الشؤون الدينية على شكل توجيه أخلاقي .

4 - إرغام أحد المرضى وهو في حالة إحتضار على قبول التعميد بغير رضاه .

وإذا تغاضى الماريشال فالي وخليفته الجنرال بيجو على هذا النشاط فإن هنالك من خاف عواقبه ، فهذه الدعاية الدينية أقلقت مدير المستشفى المدني بمدينة الجزائر ، فشدد الرقابة حول الأخوات[72] ، وقد قالت رئيسة الفرقة : «سوف أستمر في الكلام عن الله للمرضى حتى ولو قطع لساني»[73] . كما أن هذه التصرفات حيرت مدير الشؤون المدنية ، ورأى بأن الجزائر يجب أن تكون بلد التسامح الديني ، وعلى المستشفيات أن تكون مسرحا بعيدا عن كل دعاية

دينية[74] . وأرسل الى الفرقة يأمرها بمنع وضع الصلبان في حجرات المرضى ، والكف عن إقامة الصلوات بحضرهم . ولكن الأسقف ورئيس فرقة العازاريين إحتجا على الموقف اللاديني ، وتآمروا على عدم تنفيذ أمر المدير . ويقول ريبولي Ribolet ـ مترجم حياة الأسقف بافي ـ :«أن رسالة وزير الحربية استنكرت عمل الأخوات»[75] لكن رسالته ـ أي وزير الحربية ـ تكشف لنا عن عطفه على الأخوات . فقد كتب الى الأسقف يخبره بأنه أعطى أمرا الى مدير الشؤون المدنية بترك صور السيد المسيح بالمستشفى ، لأن وجودها به يدل على أن الديانة المسيحية هي في نجدة الآلام[76] .

ومن جهة أخرى يتعجب لموقف هذا المدير من الأخوات في الوقت الذي لم يبلغ الأمر حد الخطورة . أما الملك لويس فليب ، فقد طلب من وزير الحربية وقف هذه الأعمال الإستفزازية ضد الأخوات[77] . ويتضح لنا من هذا الموقف وغيره مدى التسامح بل التشجيع الذي كان يبديه المسؤولون الفرنسيون من حين لآخر لأعمال التبشير في الجزائر .

اليسوعيون في الجزائر :

لقد شغلت بال الأسقف ديبيش فكرة إستدعاء اليسوعيين الى الجزائر منذ اللحظات الأولى من تعيينه أسقفا على الجزائر . وفرقة اليسوعيين من الفرق المغضوب عليها في فرنسا ، إذ لم يكن لها الحق في تعاطي المناصب الرسمية ، لأنها هيمنت على الشؤون السياسية مدة طويلة أي الى قيام الثورة الفرنسية . وتدخلها في السياسة كان أمرا

مخيفا للساسة الفرنسيين ، متصورين في ذلك عودة سلطة رجال الدين في المجالين السياسي والإجتماعي . ويتعجب جسب[78] ، كيف أن فرنسا طردت اليسوعيين من بلادها ، ثم هي تنفق عليهم في الخارج آلاف الفرنكات ، ومع أن فرنسا كانت عدوة لهم في بلادها ، فإنها كانت لهم في الخارج بمثابة الصنم الذي يعبدونه . وكان اليسوعيون يعدون كل تعرض لفرنسا تعرضا للبابا نفسه[79] .

يعتبر يوم 15 أفريل 1839 ، التاريخ الذي بدأت فيه المراسلات بين روما ومدينة ليون - وهي مركز اليسوعيين - وموضوعها بعث مبشرين منهم الى الجزائر ومن ردود مسؤول الفرقة على الأسقف ما يلي : «أعتقد أن ثلاثة قسيسين يكفونهم للنهوض بهذه الكنيسة الجديدة»[80] . وفعلا بدأت المساعي لجلب هذا النوع من المبشرين ، لكن وجب على رئيس هذه الفرقة أن يختار من له تجربة في البلاد العربية ، فكتب الى الأسقف يقول : «أني مستعد لإرسال بعض المبشرين الى الجزائر باستدعائي لكل من الأب أستيف وبلانشي من سورية لأنهما يجيدان اللغة العربية ، وهذا أمر يسهل عليهما العمل[81] . وفي 8 أوت 1839 ، أختير الأب بلانشي لهذه المهمة الجديدة ، وقرر إرساله الى مدينة قسنطينة ، لكن هذا المبشر اليسوعي ، وصل الى روما وعاد منها الى سورية لأنه واجه معارضة من بعض القادة العسكريين بإلقاء القبض عليه بمجرد وصوله الى مدينة سكيكدة[82] .

لكن هذا الموقف لم يمنع مجيء اليسوعيين الى الجزائر . فلولا تسامح بعض أفراد السلطة الحاكمة العسكرية[83] لما استطاع أعضاء

هذه الفرقة الدينية أن يصلوا اليها في بداية عام 1840 ، وقد تمركزوا بمدينة الجزائر ، وقسنطينة ، وفي معسكر فيما بعد . ويذكر الأب ريغو رئيس الفرقة أنه وجد هو وزملاؤه إعانة مادية من الأسقف بحيث كان يعطي لكل مبشر 2000 ف من الميزانيـــة التي تخصصها الحكومة للشؤون الدينية بالجزائر . ولم يخف المبشرون اليسوعيون نواياهم التبشيرية ، فقد قال الأب جوردان مسؤول الفرقة بمدينة ليون : «أن الغرض من رسالتنا في افريقيا هو تنصير العرب»[84] . ولم يكن العرب الشغل الشاغل لليسوعيين فحسب وإنما شغلهم كذلك حال الأوروبيين الذين عمت الكثير منهم الموجة الفولتيرية الإلحادية ، كما عمت الأقلية منهم التأثيرات الإسلامية عن طريق إعتناق الإسلام والزواج بالمسلمات ، فوجهوا إهتماماتهم الى محاربتها بتأسيس (الجمعية الأدبية الدينية للقديس أوغسطين) عام 1844 وقد كان الهدف منها :

1 ـ بعث الثقافة الدينية المسيحية بالجزائر عن طريق إحياء كتابات القديس أوغسطين ، والقديس سبريان وغيرهما . وكذلك عن طريق دراسة آثار الكنائس القديمة بإفريقيا بهدف إثبات الماضي المسيحي .

2 ـ مواجهة التأثير الإسلامي على بعض الأوروبيين .

وبهذه المناسبة كتب السيد بوجوله[85] الى رئيس الجمعية المذكورة يهنئه على هذا العمل . ويقول : «أن هذه الجمعية الأدبية في إفريقيا الناهضة، ستكون بمثابة ملاك يلقي النور على ذوي الإرادة الحسنة[86] . والمراد (بذوي الإرادة الحسنة) ، هنا كل الذين يعملون من أجل هذا البعث المسيحي عن طريق التبشير .

إن اليسوعيين لم يكونوا يقيمون وزنا للتنصير الفردي ، بل كانوا يسعون دائما الى التنصير الجماعي . ولذلك وجهوا إهتماماتهم الىدور الأطفال والملاجىء ، وعلى هذا الأساس أنشأ الأب بريمولت Brimault - وهو من أنشط أعضاء هذه الفرقة - ملجأ بيوفاريك[87] وآخر بابن عكنون في سنة 1843 . وتم ذلك بمبادرة من الأسقف ديبيش الذي جمع أطفالا مشردين لازمهم مدة ثم سلمهم له بابن عكنون .

وإذا كان من يقف ضد التبشير ، فإن هنالك من كان يغتنم الفرص المناسبة ويقدم خدمات للتنصير . فقد ساهم بعض المسؤولين في إنشاء ملجأ إبن عكنون بحيث تلقى الأب بريمولت تبرعات مالية من الأسقف ديبيش ومن الحاكم العام الجنرال بيجو ومن المقتصد ومن رئيس المحكمة[88] . وبالرغم من هذه الإعانات المشجعة ، فإن بريمولت اضطر الى إستدانة مبلغ مائة وستين فرنكا[89] حتى يوفر الظروف الملائمة لملجأ بن عكنون والأطفال . وقد بلغ عدد الأطفال بهذا الملجأ 317 طفلا من بينهم ثمانية مسلمين تم تنصيرهم[90] ، وهو عدد ضئيل ولكنه هام في نظر الأسقف واليسوعيين .

موقف المسؤولين الفرنسيين من التبشير في الجزائر

إن اليسوعيين الذين فقدوا حظهم في فرنسا ، أصبحوا محظوظين في الجزائر «بحصولهم يوميا على تنازلات وإمتيازات إستثنائية ، وبتقديمهم يد المساعدة لبلد في أشد الحاجة الى التربية

والتحضر»[91] . فالجنرال بيجو الذي كان يمقت رجال الدين ، ولا سيما اليسوعيون منهم ، غير نظرته منهم فعطف عليهم ودافع عنهم[92] . وقد دخل عليه الأب بريمولت اليسوعي ذات يوم يشكو له ما كتبه بعض الصحفيين من جريدة ـ الديبا ـ منتقدا عودة اليسوعيين الى النشاط السياسي والإجتماعي ، ومؤازرة الجنرال بيجو لهذا الرأي ، فرد على مقال الصحفي في شهر سبتمبر 1844 قائلا : «تعلمون جيدا أني لست يسوعيا ولا متعصبا ولكني إنساني .... إني أطلب الحفاظ على اليسوعيين التابعين لي ، لأنهم لا يخلقون لي أي مشكلة ، بل يعملون وبجدية لنجاح رسالتي ، وأن الذين يريدون طردهم ، يجب عليهم أن يخلفوهم حتى يعوضوا أعمال التمريض والخدمات المجانية»[93] . وبهذا الرد تمكن الجنرال بيجو من إسكات المنتقدين مدة من الزمن .

ويبدو تشجيعه لهذه الفرقة الدينية وللتبشير عامة واضحا حينما ذهب بنفسه صحبة جماعة من الأطفال المسلمين الى ملجأ بن عكنون وسلمهم للأب بريمولت قائلا : «حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين فإذا فعلت فلن يعودوا الى دينهم ليطلقوا علينا النار»[94] .

إن الصراع الذي احتدم بين الجنرال بيجو والأسقف ديبيش ـ بسبب عناد هذا الأخير والحرية الدينية المبالغ فيها ـ كل هذا لم يمنع بيجو من التفكير في إستعمال الدين كوسيلة لإقرار الهدنة في الجزائر ، ويتضح لنا ذلك من مراسلته لبوجوله يوم 23 ماي 1844 يقول : «علينا جلب قلوب العرب بعد أن أخضعناهم بقوة السلاح»[95] .

إن المطالبة بإستعمال الدين في جذب السكان ، لإقرار الأمن لم يقتصر على رجال الدين فحسب ، وإنما طالب بإستخدامه أيضا فريق من المسؤولين الفرنسيين ففي سنة 1846 نشر ف كلومبا F.Colomba بإسم ضابط فرنسي كتيبا عنوانه : «تنصير الجزائر والمسلمين يعتبر وسيلة لتثبيت القوة الفرنسية في الجزائر» . وقد رأى هذا الضابط في منع سلطة باريس لكل دعاية دينية وسط المسلمين موقفا سلبيا بل عليها ـ حسب رأيه ـ بمحاربة الجبهة الإسلامية لإقرار المسيحية على أنقاض الإسلام . وأكد بأن النجاح لن يتم للجيش إلا بتنصير الأهالي[96] .

ومن الذين أيدوا التبشير الجنرال دولاموريسيير De lamoricière الذي بذل مجهودا كبيرا في تدعيم المسيحية في إقليم وهران[97] . وقد تحسر على موقف وزير الحربية من نشاط أخوات القديس فانسا دو بولس ، وأعتبره إحتقارا للمسيحية مؤكدا للحكومة أن إستعمار الجزائر لن ينجح بدون إستعمال النفوذ الديني[98] . ويوافق دولامريسيير في هذا الموقف الدكتور كوكيل رئيس بلدية مدينة وهران[99] . أما المبشر كاستلي Castelli الذي له تجربة في جزر المارتنيك فلم ير أحسن من التربيةلإجتماعية لإزدهار الإحتلال ، وقد أعطى لذلك مثلا بإسبانيا التي حصلت على إنتصار كبير في القارة الأمريكية بإستخدامها الدين بعد حركة الإكتشافات الجغرافية .

ومن أشد أنصار التبشير في الجزائر لويس فويو Veuillot الذي كان الكاتب الخاص للجنرال بيجو ، وهو محل ثقة الوزير جيزو والأسقف وقد دافع عن دبيبش بكل قوة ، وعبر عن آرائه

التنصيرية في الرسائل التي كتبها بعد عودته من الجزائر التي زارها سنة 1841[100] . وقد أعلن في إحداها عن زوال الإسلام قبل عشرين سنة ، في حالة ما إذا فتحت الحكومة باب التبشير في الجزائر ، وهو يتصور مستقبل المستعمرة حالكا إذا لم تقدم السلطة على تنصير السكان[101] . ولعل موقف فويو هو الذي أوحى للجنرال بيجو بالتفكير في إستعمال النفوذ الديني بالجزائر .

الأسقف بافي والتبشير

كان خليفة الأسقف ديبيش في النشاط التبشيري هو الأسقف لويس أنطوان بافي الذي حل بالجزائر يوم 10 جويلية 1846[102] . وبافي يختلف عن الأسقف ديبيش بعض الإختلاف ، فإذا كان سابقه يمتاز بالإندفاع في الأمور والعناد مع بعض العسكريين فإن بافي كان دبلوماسيا . وأول شيء قام به هو ربطه علاقات حسنة مع السلطة العسكرية[103] حتى يتمكن من نشر رسالته . وقد استطاع أن يستغل عطف الجنرال بيجو عليه وعلى رجال الدين . فبدأ نشاطه الخيري بتخصيص يوم الإثنين من كل أسبوع لتوزيع الصدقات على المعوزين من المسلمين[104] ، على غرار الطريقة المستخدمة في التبشير حتى يجلبهم إليه .

وتمثل سنة 1847 ـ في نظر الفرنسيين ـ سنة إستسلام الأمير عبد القادر للسلطة الفرنسية ، ونهاية حرب بمثابة جهاد ديني بالجزائر . ولهذا أراد الأسقف بافي أن يغتنم هذه الفرصة للقيام بزيارة الى المناطق الداخلية ، كان الهدف منها هو التبشير .

ولكن مع من يبدأ هذه الرسالة ؟ وكيف ؟ لقد بدأ الإتصال بالشيوخ وبعض الأئمة عسى أن يؤثر فيهم ويجعل منهم مبشرين[105] . وعلى هذا الأساس أعد له الجنرال ماري مونج قائد قطاع التيطري في ديسمبر 1847 جلسة بمدينة المدية مع ستة وعشرين مسلما ، معظمهم من الشيوخ . ومن بينهم المفتي حاج قارة . وتناولت هذه الجلسة مسائل دينية ، استهدف الأسقف منها تقريب المسيحية اليهم ، لكن المفتي والشيوخ لم يقتنعوا بأفكاره ، وقال له المفتي : «أنت على حق ، إتبع دينك ونحن لنا ديننا»[106] .

ومن النشاط التبشيري الذي كان يقوم به الأسقف بافي ، الطعن في الإسلام . ويتفق المؤرخ بورنيشون مع الأسقف في ذلك حين يقول : «ولتجزئة الكتلة الإسلامية ، لا بد من تنظيم خاص ، وجيش من الرجال ، إذ ينبغي أولا وقبل كل شيء تعلم اللغة العربية ، عن طريق تكوين مدرسة دينية لتقوم بهذه العملية الكبرى»[107] . وتعلم اللغة العربية في نظر المبشرين أمر ضروري يمكنهم من التقرب الى المسلمين ، وفهم واقعهم وعلى هذا الأساس فكر الأب بريمولت اليسوعي في إنشاء مدرسة دينية ، وألح على ذلك إلحاحا شديدا ، وقد أيده في ذلك الأب جوردان رئيس فرقة اليسوعيين بالجزائر . فكاتب رئيس مركز مدينة ليون وباريس في يوم 26 ديسمبر 1849 يقول : «أن الأب مايار Mayard مستعد للقيام بالمشروع الذي خططه لكم الأب بريمولت ، وهو مشروع يرمي الى تكوين سريع للمبشرين يخصصون للبلدان الناطقة باللغة العربية»[108] .

لكن المشروع لم يتحقق إلا في عهد الكاردينال لافيجري سنة 1868 .

فكرة التبشير خارج المدن

أدرك الأسقف بافي الفشل الذريع الذي مني به سابقه في التبشير في مدن قسنطينة ـ الجزائر ـ عنابة[109] . ولهذا حول إهتمامه الى القرى البعيدة سعيا الىالنجاح . وأعتقد أنه بالإمكان إستغلال فقر سكانها وجهلهم . وقد وقع إختياره على قرى أقليم مدينة قسنطينة لسبب رئيسي وهو وجود عدد كبير من اليسوعيين بها . وهؤلاء قد سمحت لهم حالتهم شبه الرسمية القيام بالعمل بكل حرية[110] . وقد استطاعوا أن يحصلوا على نتائج معتبرة في خدماتهم الخيرية[111] . وقد فكر الأسقف في إسناد هذه المسؤولية ـ التبشير في القرى ـ الى أعضاء هذه الفرقة ، الذين وافقوا على ذلك ، حينما عبر الأب جوردان عن رضاه فكتب الى الأسقف يقول : «لقد أعجبني هذا المشروع وأني آمل وبكل قوة في أن تنجحوا في مهمة التبشير بين السكان العرب»[112] .

غير أن اليسوعيين الذين خافوا عرقلة بعض العسكريين لنشاطهم طلبوا من الأسقف التوسط لهم مع السلطة في باريس ، حتى ينالوا تأييدها ، ورأى نفسه ضرورة مكاتبة المسؤولين ليعرض عليهم المشروع[113] الذي يخدم في نظره المصلحة الفرنسية في الجزائر ، فراسل وزير الحربية الجنرال ـ هتبول ـ أي الأسقف

بمدينة أكس يحضر ملتقى دينيا ، وكان ذلك يوم 23 سبتمبر 1850[114] ، وذكر له في الرسالة بأن السياسة الإدماجية ، التي تريد الحكومة تطبيقها في الجزائر ، لن تنجح بدون إستعمال الدين المسيحي كما صور له رغبة اليسوعيين في التبشير بكل جدية ، غير أن الأسقف أوضح للجنرال أن اليسوعيين يطالبون بما يلي :

1 ـ على المكاتب العربية ألا تخلق عقبات أمامهم .

2 ـ وعلى الرؤساء العسكريين أن يوافقوا على نشاطهم .

3 ـ أن التكاليف المالية لهذه المهمة التبشيرية ، تشرف عليها جمعية (نشر العقيدة) وتقاسمها في ذلك وزارة الشؤون الدينية .

وإن دل على شيء ، فإنما يدل على أن الأسقف يريد من إقتراحه إشراك وزارة الشؤون الدينية والحكومة في هذا المشروع الهام .

انشغل وزير الحربية بطلب الأسقف ، وشروط اليسوعيين ، فكاتب الوالي العام الجنرال شارون يوم 5 أكتوبر 1850 يخبره بالمطلب الذي وصفه بالعمل الخيري ، ويبدو أن الوزير أدرك صعوبة المشروع لأنه يمس الجوانب السياسية للوجود الفرنسي في الجزائر[115] لذلك يجب ـ في نظره ـ التفكير فيه قبل تنفيذ الطلب المذكور فقال : «أنه لا يمكن تقدير نتائجها إلا بعين المكان»[116] ، كما طلب من الوالي العام إمداده بمعلومات يحصل عليها من ضباط المنطقة وفروعها لتدرس على ضوءها هذه القضية بحضر رئيس الجمهورية[117] . وندرك من موقف الوزير

من رجال الدين والتبشير بصفة عامة ، من تصرفاته حينما كان واليا عاما على الجزائر ، وذلك أنه رد على الذين لاحظوا عليه إستخدام اليسوعيين في الجزائر فقال : «أنهم يلومونني على إستعمال اليسوعيين ، ولماذا لا ، إذا هم لبوا رغباتي لعمل الخير ؟ أني لن أستخدم اليسوعيين فحسب وإنما حتى الشيطان إذا ما رأيت فائدة في ذلك[118] .

أما الجنرال شارون الذي كان يعيش أحداث الجزائر ،فقد أقلقه هذا الطلب ، ولذا أصدر منشورا وزعه على ضباط المقاطعات ، وطالبهم بوضع تقارير تصور وقع الطلب على السكان ونتائجه . ومما يمكن قوله أن مسعى الأسقف ونائبه سوشي ومطمع اليسوعيين أحدث خوفا وسط السكان ، لكن جريدة الأسقفية حورت هذا الخوف لا الى مشروع التنصير ، بل الى خبر مفاده أن الحكومة تفكر في غلق خمسة عشر مسجدا بمدينة قسنطينة ، وبيعها بالمزاد العلني[119] . وحسب هذه الجريدة فإن هذا الأمر أقلق السكان وهيجهم للأخبار التي روجها المفتي الحنفي السيد الحاج الصغير كتشوك علي الذي كان نصيبه الطرد من مهامه ، لأنه خان ثقة الإدارة الفرنسية فيه[120] .

لكن مصدر تخوف السكان كان مطلب الأسقف بتوزيع مبشريه على المنطقة بكل قراها ومدنها لتنصير المسلمين[121] . وقد كتبت جريدة الأخبار بهذا الصدد تقول بلهجة ملؤها السخرية : «مما ينبغي عمله هو بيع المساجد بالمزاد العلني في حالة ما إذا أعتنق المسلمون الديانة المسيحية»[122] .

أما جريدة الأطلس المعروفة بنزعتها اللادينية ، ودفاعها عن الإستعمار في الجزائر ، فقد شنت حملة ضد الأسقف بقلم أحد صحفييها السيد ج . ري . أما نظيره اميل بارولت ، فبالرغم من دفاعه الشديد عن القضية الإستعمارية ، فأنه أدرك خطر التبشير ، فأنتقد الحكومة التيتقف ضد التبشير وتعمل من جهة أخرى على تحقيق مطالب رجال الدين في الجزائر[123] . وقد طالب في الجمعية التشريعية ، بتخفيض المبلغ للمدرسة الدينية بالقبة . ولكن أغلب النواب رفضوا مطلبه وعارضوه[124] . لكن جريدة (لاغازيت دو فرانس) المعروفة باتجاهها اليميني ودفاعها عن الدين ، وقفت تساند الأسقف في نشاطه ، فقد كتبت يوم 3 أوت 1850 تقول : «أن منع الحكومة للتبشير ، أمر تثور له قلوب المسيحيين الفرنسيين»[125] .

إن تخوف السلطة من التبشير ، لم يقف حجر عثرة أمام رجال الدين في الجزائر ، وخاصة اليسوعيين منهم الذين استمروا في نشاطهم[126] بقسنطينة والقبائل التي أرسل اليها الأب كروزا[127] . وسكوت السلطة من حين لآخر ، كان أمرا يشجع رجال الدين على إغتنام فرصة التبشير الفردي . من ذلك أن مدينة بوفاريك شهدت تعميد شاب مسلم يتيم من ملجأ بريولت يبلغ من العمر ستة عشر عاما يوم 25 جانفي 1852 بحضر الأسقف والرئيس العام للشرطة[128] .

لا شك أننا نستنتج من موقف المفتي الحاج الصغير ، صعوبة التنصير ، ولعل ذلك هو الذي جعل الأسقف يتهم المسلمين بالتعصب

الديني ، ويشن عليهم حملة في رمضان 1853 وعلى الإسلام الذي قال عنه : «أنه بلاهة الشعوب دون الله»[129] . وقال أيضا : «القرآن ، يا له من حماقة ، والحقيقة أن محمدا ما هو إلا منتحل للمسيح»[130] . لكن الأسقف كثيرا ما كان يعطف على المسلمين ، ويطلب من الله هدايتهم . فبإشرافه أسس الأب دوغا Dugat اليسوعي سنة 1857 (جمعية الصلاة من أجل تنصير المسلمين في العالم وإحياء الكنيسة الإفريقية) . وما لبثت هذه الجمعية أن إمتدت الى فرنسا أيضا وبلغ عدد المنخرطين فيها ستون ألفا سنة 1863 وثمانون ألفا سنة 1867[131] . وكانت هذه الأعداد تتكون من مختلف الطبقات الإجتماعية الفرنسية . غير أنه في الوقت الذي كان الأسقف ومناصروه من أجل هذه الجمعية يعملون على تركيز الإستعمار في الجزائر بواسطة الدين وإدماج المسلمين في الحظيرة الفرنسية بإستعمال التبشير ، أراد نابليون الثالث - بتأثير مستشاره إسماعيل عربان[132] - خلق مملكة عربية في الجزائر ترتكز على «ترك الأهالي بعيدين إداريا ودينيا عن الأوروبيين»[133] . ذلك لأن المملكة العربية سوف لا تخدم - في نظر الأسقف - المصلحة الفرنسية ولا المصلحة التبشيرية في الجزائر .

وقد سطر نابوليون برنامجه في الرسالة التي وجهها الى الجنرال بليسي في فيفري عام 1863 ، تلك الرسالة التي يأمره فيها بإعلان المساواة الكاملة بين الجزائريين والفرنسيين ، ويذكره بأن فرنسا التي أحتلت الجزائر عام 1830 وعدت العرب بإحترام ديانتهم وممتلكاتهم ، وأنها ما زالت على وعدها لهم[134] . وقد أثارت هذه الرسالة موجة إستنكار المعمرين ، لأنها لا تخدم

قضيـة الإستعمار في الجـزائر . وأثـارت سخـط الأسقف لأنهـا حجر عثرة أمـامـه ، ولـذلـك أغتنم هـذه الفرصـة ، وأراد أن يكـون لـه سندا في مهمتـه ، وأن يكتسب شعبيـة كبيرة ، ولـذا قـام يـدافع عن المعمرين المعارضين للمملكة العربية في الجزائر ، فأصدر منشورا وزعه على رجال الدين والفرق الدينية بالجزائر وغيرها . وأهم ما جاء فيه : «تريد فرنسا أن تترك دم أحرارها الفيـاض وذهبهـا بـالملايير ، وعرق أبنائها الكولون بين أيدي الـذين كانوا نكبـة على المسيحيـة لمـدة اثنى عشر قرنـا»[135] . وتـدعيما لـذلـك قرر إضـافـة صـلاة في هـذه السنـة لفائدة الإزدهار الروحي والمادي للمستعمرة .

إن هـذا المنشـور كـون ربـاطـا وثيقـا بين الأسقف والكـولـون ، فحصل بـذلـك على شعبيـة بينهم ، حتى لقـد وصفوه بـالصـديق الحميم لإفريقيـا ، والمـدافـع عن الكـولـون وبـأبي الشعب[136] . والجـدير بـالـذكر بـأن مـوجـة الإستنكار التي قـادهـا الأسقف وأنصـاره ضـد سيـاسـة نـابوليون في الجزائر ، كانت أحـد الأسبـاب في فشل المملكـة العربية .

إن محـاولـة بعض المسـؤولين الفرنسيين في تشجيـع التبشير في الجـزائر ، تتضـح من وقـوفهم الى جـانب رجـال الـدين ، وقـد ظهر ذلـك في كثير من المـواقف والمنـاسبـات ، وإن دل على شيء ، فـإنمـا يـدل على الترابـط المتين بين السيـاسـة والـدين . غير أن المقـاومـة المسلحة التي كانت عندئـذ في أوجهـا وتمسك السكان بـديـانتهم ، قـد أجبرا الحكـومـة الفرنسيـة ببـاريس على أن تبـدي تحفظهـا وتخـوفهـا من عمليـة التبشير ، ولكن هـذا لم يمنعهـا من السكـوت على بعض

نشاطات رجال الدين تحت ستار العمل الخيري ، وفتح المجالات لهم ماديا ومعنويا في الجزائر .

هوامش

(1) Jean Leflon: Histoire de L'église depuis les origines jusqu'à nos jours Paris 1951; tome 20 page 419

(2) Marcel Emerit: (la lutte entre les généraux et les prêtres au début de L'Algérie Française) R; A 1953 P 67

(3) تولى شؤون البابوية من سنة 1829 - 1830 .

(4) لوفلون ، ص 419 .

(5) لاموني فلسته روبردي : 1782 - 1894 قس إشتهر في عهد لويس بمناداته بالتحرر السياسي ، أسس لاكورديير صحيفة (المستقبل) التي عرفت بأفكارها التحررية الجريئة ، لكنها أثارت غضب الملكية المحافظة ورجال الدين فطرد من الكنيسة ثم ألف كتابه المشهور (كلام مؤمن) ركز فيه على الحرية في الكنيسة .

(6) انخفضت هذه الميزانية سنة 1830 وارتفعت سنة 1837 وبلغت 700 ألف فرنك .

(7) Jaques Paul Martin: la nonçiature de Paris, les affairesécclésiatiques sous le régne de louis philippe; Paris 1947 p 233

(8) أ ، و ، ب ف 80 1746 .

(9) لوفلون ، ج 20 ، ص 31 .

(10) أميريت، ص 68 .

(11) هي فرقة دينية أسسها القديس فانسا دو بول سنة 1625 ، لتخدم التبشير الديني وهي التي كلفها الوزير كولبير بتمثيل فرنسا في الجزائر .

(12) مارتان ، ص 239 .

(13) وكان ذلك بعد إنتهاء اللجنة الإفريقية من عملها في مارس 1834 .

(14) جاءت هذه الفرقة الى الجزائر في أكتوبر 1843 ، أي بعد أن عينها رسميا الملك لويس فليب .

(15) وهي إتفاق تعاقدي بين البابا - بصفته الروحية - وبين السلطة الزمنية للدولة لحسم النزاع بين الكنيسة والدولة ، وكان يحدد طريقة تعيين الأساقفة ، ووضع المدارس والطوائف والممتلكات الدينية .

(16) هو حفيد البارون دوبرتال طبيب لويس الثامن عشر ، وشارل العاشر ، كان أبوه البارون دوفيالار إقطاعيا كبيرا في منطقة اللانغدوك بفرنسا .

(17) Georges goyau: (la charitè Française dans L'Alégrie conquise) revue des deux mondes; 1930 page 339

(18) Gatéran bernoville: Emilie de vialar; Paris 1953 page 64

(19) Jean Mélia (deux vocations: Emilie de Vialar et Augustin de vialar) journal: la dépêche quotidienne d'Algérie 29 decembre 1949

(20) برنوفيل ، ص 230 .
(21) ميليا ، نفس المصدر .
(22) غوايو ، ص 94 .
(23) هي مؤسسة الفرقة الدينية ، أخوات القديس يوسف عمالف عمالة تارن بفرنسا .
(24) غوايو ، ص 13 .
(25) نفس المصدر .
(26) ميليا جريدة (لاديبيش كوتيتديان) يوم 29 ديسمبر 1939 .
(27) برنوفيل ، ص 74 .
(28) نفس المصدر ، ص 75 .
(29) أ، و، ب، ف، 80 1260
(30) وللمزيد من المعلومات حول نشاط هذا القسيس راجع : عبد الجليل التيمي : «دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830 ـ 1881» ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 3 سنة 1975 ، ص 10 .
(31) E vassel: (un précurseur !'Abbe François Bourgada) R; tunisienne; 1909 page 107
(32) أ ، و ، ب ، ف 80 1625 .
(33) p Ons mgr: la nouvelle église d'Algérie; d'Afrique; Tunis 1930 page 113
(34) بونص ، ص 113 .
(35) بلغ عدد الراهبات في سنة 1842 حوالي أربعين راهبة .
(36) لقد طلب الأسقف من اميلي أن تختاره رئيسا لفرقتها ، وأن تخضع لقوانينه حاضرا ومستقبلا .
(37) لوسورد ، ص 85 .
(38) رسالة الجنرال بيجو الى اميلي يوم 16 مارس 1843 .
(39) جوليان ، ص 159 .
(40) نفس المصدر .
(41) عبد الجليل التيمي : (انطباعات حول أهمية الدين في المتلكات الفرنسية بافريقيا) ، المجلة التاريخية المغربية عدد 1 ، عام 1975 نقلا عن أرشيف وزارة الحربية بفانسان رقم ح 226 .
(42)جوليان ، ص 160 .
(43) بونص ، ص 13 .
(44) Marcel Emerit: (L'état d'esprit des musulmans d'Algérie de 1847-1870) RHMC: 1961 page 106
(45) رسالة الماريشال فالي .
(46) رسالة وزير الحربية الى الماريشال فالي يوم 26 سبتمبر 1839 ، أ ، و ، ب ، ف 80 1267 .
(47) كان الأسقف ديبيش من أبرز الذين كرسوا جهدوهم لكتابة تاريخ الكنيسة الإفريقية ، وذلك بتأليف كتاب (الجزائر المسيحية الرومانية الفرنسية) . حاول فيه إيحاء ماضي المسيحية بإفريقيا وإستمراريتها .
(48) أ ، و ، ب ، ف 80 1736 .
(49) نفس المصدر .

(50) Madame G. Dufaux: em Algérie sans date p. 17

(51) نفس المصدر، ص 13 – 14

(52) بونص، ص 22

(53) رسالة الجنرال دوغالبو الى الماريشال فالي يوم 25 فيفري 1839

(54) L'Abbé Suchet: le missionnaire en Algérie, Tours, 1840 p. 1

(55) L'Abbé Suchet; lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, Tours 1840 p. 20

(56) و هو من أنشط المبشرين في الجزائر . له نظرية تتمثل في إستعمار الأراضي عن طريق رجال الدين، سنتعرض لها في الفصل الثالث

(57) جمع سوشي هذه الرسائل في المؤلفين المذكورين.

(58) Letournier Chanoine: la conquête religieuse de l'Algérie Paris 1930

(59) اميريت (الصراع بين الجنرالات و رجال الدين في بداية الإحتلال) ص 70.

(60) L'Abbé Landman: Les fermes du petit Atlas, ou la colonisation du Nord de l'Afrique, Paris 1841, p. 26-27

(61) أ. و، ب، ف 80 1625.

(62) قال لويس فويو (و هو من الشخصيات الرسمية و المقربة للجنرال بيجو و من أكبر المدافعين عن التبشير و المناصرين له يصف مشروع المدرسة العربية بالمشروع الأساسي و يتهم السلطة بالتبذير المتبوت

(63) Turin Yvonne: les affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, Paris, 1971 p. 67.

(64) مراسلة وزير الحربية للماريشال فالي يوم 7 أوت 1837 نقلا عن أ. و، ب، ف 80 1625.

(65) كان الماريشال فالي من الذين أظهروا الولاء الشديد للمسيحية بالجزائر. و يكشف لنا مكاتبته للأسف دبيش بعد عودته من غزو مدينة المدية، يخبره بتحويل أجمل مسجد بمدينة البليدة الى كنيسة. و قبل عودته الى مدينة الجزائر أمر بوضع صليب فوق منارته معلنا فيه سلطة المسيحية.

(66) وكانت رحلته الأولى الى ضواحي مدينة الجزائر سنة 1844، و الى قسنطينة سنة 1845.

(67) L'Abbé Carron: voyage en Algérie Challon Marnes, 1859 p. 137.

(68) خالدي وفروخ، ص 64.

(69) استدعي الى جانب هذه الفرقة. أخوات العقيدة المسيحية من مدينة نانسي بفرنسا، و أرسلهن إلى مدينة قسنطينة و عنابة،ليخلفن أخوات القديس يوسف، بعد نفيهن الى تونس. ثم استدعى أخوات الثالوث الأقدس، و أرسلهن الى مدينة وهران.

(70) Charles Riancey: la situation religieuse en Algérie: ses éléments, Paris 1856 p. 263

(71) Louis Baudicour: La colonisation de l'Algérie, ses éléments , Paris p. 263

(72) نفس المصدر، ص 35

(73) أ. و، ب، ف 80 1629

(74) M. Ribolet: un grand évêque, ou vingt ans de l'église d'Afrique sous l'administration de M. Pavy, Alger 1902, p. 99

(75) نفس المصدر.

(76) رسالة وزير الحربية للأسف يوم 3 فيفري 1846 عن أ. و، ب، ف 80 1629.

(77) Mémoires de la congrégation de la mission; Paris 1864; Tome 3 Page 724

(78) و هو المبشر الأمريكي هنري هاريس جسب، يعتبر من ألمع المبشرين البروتستانت في لبنان في القرن الماضي.

(79) خالدي و فروخ، ص 121.

(80) Joseph-Burmichon; La compagnie de Jésus en France Histoire d'un siècle 1814-1914, Paris 1916 Page 34

(81) نفس اصصدر، ص **35**.

(82) Alfred Nettement: Histoire de la conquête d'Alger, Paris 1856 Page 34

(83) لتصل الأسقف دييش بالماريشال فالي ليخبره عن هوية هذه الفرقة فقال: «ان ذلك لا يهم، و الأساس هو أن يتفقوا مع عظمتكم».

(84) بونص، ص 117.

(85) و هو من الشخصيات المقربة للجنرال بيجو، و من المسيحيين المتعصبين الذين طالبوا بفتح باب التبشير في الجزائر بعد أن زارها عام 1844.

(86) M. Poujoulat: Voyage en Algérie, Paris 1847 page 34

(87) أن الجنرال هتبول الوالي العام، هو الذي سعى له لدى مجلس الحكومة في الحصول على المساحة الأرضية التي بنى الملجأ عليها.

(88) بو جوله، ص 55.

(89) Jules de Lamarque et Gustave Dugat: Colones agricoles Paris 1850, p. 70.

(90) نفس المصدر، ص 40.

(91) Henri De Saucliére; Esquisse sur la province d'Alger; Paris 1853, p. 65.

(92) Le Comte H. D'deville: le maréchal Bugeaud; d'aprés sa correspondance et documents; Paris 1882, t 3, p. 65.

(93) J. Rosier: Souvenirs d'Algérie: Paris 1892, p. 207.

(94) Letounier; p. 219.

(95) بو جوله ص ...

(96) Poujoulat J.: Voyage en Algérie; étude africaine; Paris 1847, p. 55

(97) Charles Tailliart: essai de bibliographie et raisonnée, Paris 1925, p. 374.

(98) Emille Keller: le Général de Lamorcière; sa vie militaire, politique et religieuse, Paris 1891, Tome 2 p. 39.

(99) Tailliart: p. 373.

(100) Les français en Algérie: souvenirs d'un voyage fait en 1841, Tour 1853.

(101) Goyau, p. 37.

(102) خلف الأسقف سابقه دييش الذي لاذ بالفرار من الجزائر بعد أن أوقع الأسقفية في ديون كبيرة

(103) من ذلك أن الماريشال بالأسقف، و قد كاتبه قائلا: ليس في الجزائر سوى رجلين، أنا و الأسف.

(104) Augustin Lynaud: les apôtres de la résurrection de l'église d'Afrique, Alger 1930 p. 50.

(105) نفس المصدر.

(106) بونص، ص 47

(106) نفس المصدر .

(107) بورنيشون ج 3 ، ص 323 .

(108) نفس المصدر .

(109) Charles Robert Ageron: (Le Problème de la conversion des Musulmans) Revue D'histoire moderne et Contemporaine; Juin 1960 Page 85

(110) بورنيشون ج 1 ، ص 321 .

(111) نفس المصدر .

(112)نفس المصدر ، ص 322 .

(113) لقد أرسل الأسقف بافي نائبه سوشي الى باريس في أوت 1850 ـ أي قبل هذه الرسالة ـ ليهد له الجو ، وليذكر السلطة بباريس ، أن ترميها للمساجد أمر لا يخدم الديانة المسيحية ولا المصلحة الفرنسية في الجزائر .

(114) نص الرسالة الكامل نشرته جريدة (الأطلس) بتاريخ 22 نوفمبر 1851 .

(115) إشارة الى معاهدة 5 جويلية 1830 .

(116) نص الرسالة الكامل نشرته جريدة الأطلس يوم 22 نوفمبر 1850 .

(117) نفس المصدر .

(118) De l'assimilation des Arabes, par un ancien Curé de Laghouat Paris; 1866 Page 144-145

(119) جريدة الأطلس 8 جانفي 1851 .

(120) نفس المصدر بتاريخ 8 جانفي 1851 .

(121) نفس المصدر .

(122) نفس المصدر نقلا عن جريدة الأخبار .

(123) يشير الى المستعمرات الفلاحية التي يملكها رجال الدين ، منها المستعمرة الفلاحية الدينية للأب بريمولت ببوفاريك ، وأخرى بمجاز عمار بوهران للأب لندمان والمستعمرة الدينية للأب أبرام وكلهم من اليسوعيين .

(124) الأطلس يوم 2 فيفري 1851 .

(125) نفس المصدر .

(126) بورنيشون ج 1 ، ص 323 .

(127) بدأ نشاطه التبشيري بمدينة معسكر ، وكون إتصالات مع شيوخ الزوايا ، وعقد معهم جلسات دينية قصد إيصال الأنجيل اليهم ، وكان يجيد اللغة العربية كباقي المبشرين ، أمثال الأب دو يلار ، أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الدينية بالجزائر ، والأب فانسا بقسنطينة ، والأب برجيس المعروف بكتاباته التاريخية لمدينة تلمسان ، والأب سوشي السابق الذكر ، وبافي أخ الأسقف .

(128) Leynaud Augustin: Les apôtres de la Ressurection de L'église d'Alger; Alger 1930 Page 50

(129) ريبولي ، ص 269 .

(130) نفس المصدر ، ص 268 .

(131) Paul Lesourd: Les Péres Blancs Du Cardinal Lavigerie; Paris 1935: Page 50

(132) كان اسماعيل عربان يعارض التبشير معارضة شديدة لأن ذلك يؤدي الى نتـائج خطيرة في نظره ، وقد رأى أن تطوير السكان يجب أن يتم بفتح أبواب المدينة الغربية وليس بعملية التبشير.

(133) Felix Klein: 5 mgr Pavy et La Question Arabe} Le Correspondant; 51 Juin Page 1155

(134) كلان ، ص 155 .

(135) ريبولي ، ص 411 .

(136) نفس المصدر ، صث 413 ـ 414 .

الفصل الثالث

الإستعمار الديني الفلاحي في الجزائر والتبشير

يؤدي المبشرون الى جانب خدماتهم السياسية لبلدهم ، نشاطات في الميدان الإقتصادي وبالأخص في المجال الزراعي . ويقول بول لوسورد أحد الداعين الى التبشير : «يعمل اليوم مبشرونا في المستعمرات الفرنسية على غرار ما كان يقوم به رجال الدين الذين كانوا يحيون الأرض ، ويشيدون المباني في العصور الوسطى . وقد تمكنوا من تأسيس مدن وقرى»[1] . وينوه بول لوسورد بأعمال المبشرين فيقول : «لقد حقق مبشرونا أعمالا إقتصادية تستحق الإعتراف بها ، وذلك بتقدم البلد الذي ينصرونه عن طريق إدخال حسنات الغرب المسيحي»[2] .

نستخلص من هذا ، أن وسائل التبشير لا تتمثل في التعليم والتطبيب والخدمات الخيرية فحسب ، وإنما كذلك في الميدان الفلاحي والعمراني ، وعن طريق حرث الأرض وزراعتها[3] . ويذكر جورج غوايو أحد المختصين في الكتابات عن التبشير والداعين له :

«رأينا رهباننا يجعلون الإنسان مرتبطا بالأرض ، والأرض بالإنسان عن طريق تعليمه وتحضيره ، ليسيطر على الأرض ويسخرها لخدمته»[4] . وبناء على هذا ندرك أن المبشر كان يؤدي دورين هامين في المستعمرة ، الأول خدمة الأرض وإستغلالها من أجل الإستعمار ، والثاني أداء نفس المهمة من أجل التبشير ، وكلا الدورين في الواقع مرتبط بالآخر ، ما داما يعملان من أجل المصلحة السياسية والإقتصادية للمستعمر .

فرقة الترابيست بالجزائر

(لقد أظهرت ملكية جوليت حسن معاملة سرية لرجال الدين وسؤها في الظاهر)[5] فأرادت أن تستغلهم في هذه النشاطات ، من بينها الإستعمار الفلاحي . فإبتداء من سنة 1840 ازدهرت الحركة الكاثوليكية التي قادها لاكورديير في فرنسا ، وبإزدهارها عادت الفرق الدينية الى النشاط السياسي والإجتماعي بفضل تساهل الحكومة معها ، وهذا التساهل أدى الى إحتجاجات ضد توغل رجال الدين في المجالات العامة وقد أتهمت جريدة الكونستنسيونيل الحكومة بقولها : «أنكم تكونون حكومة من رجال الدين»[6] . كما اشتدت معارضة التيار الليبرالي لعودة الفرق الدينية الى الحياة السياسية ، وهذه الفرق وجدت في الملك لويس فليب أحسن مساند لها ، والفرق التي تساهلت معها الحكومة فرقة اليسوعيين التي تحدثنا عنها سابقا ، وفرقة الترابست[7] التي ارسلتها الى الجزائر لتقوم بدور المعمر والمحضر للسكان .

اشتد إهتمام الحكومة الفرنسية بمستقبل الجزائر الإستعماري في سنة 1841 بحيث صرفت الأموال ، وبذلت تضحيات جسيمة بدون نتائج معتبرة[8] . ولذلك بادر الماريشال سولت بتعيين لجنة ، وارسلها إلى الجزائر ، لتبحث عن وسائل الإستعمار بواسطة الفرق الدينية[9] . وترأس هذه اللجنة النائب الكاثولكي دوكورسيل الذي كان على رأس المتحمسين لهذا النوع من الإستعمار الديني ، وهو الذي لعب دورا أساسيا في إرسال الترابيست إلى الجزائر ، وقد رأى وجود هؤلاء الذي يكرسون جل وقتهم في خدمة الأرض مفيدا للمستعمرة ، لأنهم يلقنون دروسا للمعمرين (وللاهالي) عن طريق استعمال المبادئ المسيحية وتطبيقها[10] .

لقد تمخض عن زيارة اللجنة المذكورة الى الجزائر - وقد بقيت ثلاثة أشهر - تقرير وجهه دوكورسيل إلى وزير التربية والتعليم ، ومما جاء فيه : «لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسية الا إذا أصبحت مسيحية[11] . وان دل هذا على شيئ ، فإنما يدل على رغبة دوكورسيل الملحة في ارسال الترابيست إلى الجزائر ، ليقوموا بدور المستعمرين المبشرين في نفس الوقت . ويقول دوكورسيل أيضا : «سيعمل وجود الترابيست بالمستعمرة على التاثير في عقول الاهالي المحشوة بنقائض الإسلام ، وهذا بفضل تجارتهم الفلاحية فالمسلمون يحترمون رجال الدين كثيرا ، وخاصة الرهبان الكاثوليك منهم»[12] . وقد كان هذا التقرير محل تقدير عند أعضاء حكومة لويس فليب ، وخاصة عند ماريشال سولت الذي طلب من دوكورسيل الإتصال بهذه الفرقة الدينية ، واعلامها بمساعدة الحكومة لها عن

طريق تقديم بعض الأراضي الخصبة ، والامتيازات المالية والسياسية[13].

قام السيد دوكورسيل باطلاع الوالي العام بالجزائر ، الجنرال بيجو على المشروع ،بالرغم من ان بيجو ، كان يفضل استعمار الأراضي بواسطة عائلات مرتبطة بالأرض - أي الزواج بين الجنود وهو المعروف بزواج الطبول - وليس عن طريق العزاب ، فانه أعجب بهذا المشروع[14] ، شأن الكولونيل مارينغو والجنرال دوبار وغيرهما . وقد أراد بيجو ان يستغل جهود هؤلاء الدينيين ونفوذهم الروحي والخيري على السكان المسلمين لاقرار السلم ، لذلك عزم على اقامة الترابيست بمدينة موزايا قرب البليدة عوض مدينة سطاويلي - وهو المكان الذي تمركزوا فيه - ويكشف لنا ذلك قوله : «أن تأثيرهم الديني سيعمل بكل شدة على هيمنتها السلمية على العرب وإني لراغب في الحصول على أربعة أو خمسة مراكز دينية قرب الأطلس ، فالعرب يحترموننا ويحترمون رجال الدين كثيرا»[15] .

ويبدو ان الجنرال بيجو ، أراد أن يستغل هذا النفوذ في تقريب السكان اليه ، بالطريقة السلمية التي ينفذها له هؤلاء الدينيون . وعندما حل الترابيست[16] بالجزائر ، كاتب الجنرال بيجو الأب رجيس رئيس هذه الفرقة يوم 27 أوت 1843 يقول ؛ «اعتقد أن الإستعمار لن ينجح الا عن طريق عمال منظمين.ان صفاتكم المثالية سوف تعمل ولاشك على جلب قلوب العرب الينا بعد اخضعناهم بقوة السلاح»[17] .

لقد فضلت فرقة الترابيست الاستقرار بالساحل ، بمدينة سطاويلي لانها أكثر امنا من مدينة موزايا ، ولان المدينة الأولى تخلد ذكريات انتصار فرنسا على الجزائر عام 1830 ، وفي ذلك مغزى

عميق في اختيار هذا المكان ، و قد حصلت هذه الفرقة على 1020 هكتار من أحسن الأراضي الساحلية، بسهل سطاويلي ، و خصصت لها الحكومة مبلغ 62000 ف يخصص لبنـاء المسـاكن، و استثمار الأراضي . و رأى الجنرال بيجو ان يشجع هذه الفرقة التي بلغ عدد افرادها خمسة و اربعين رجلا ، فأهداها ثلاثين ثورا و بقرة ، و تسعين كبشا . حتى تستطيع ان تنطلق في العمل . و يدل هذا على مدى الترابط بين رجال الدين و السياسة في مجال الاستعمار .

لم يقتصر نشاط هذه الفرقة الدينية أثناء وجودها بالجزائر على فلاحة الأرض ، التي نجحت فيها نجاحا كبيرا و انما حاولت أيضا جلب السكان المسلمين اليها عن طريق الأعمال الخيرية و محاولة التعايش معهم و التقرب اليهم بكل الوسائل ، و تكشف لنا ذلك مراسلة شيخ قبيلة بني مراد للأب ريجيس فهو يشكره على أعماله الخيرية و يطلب منه ـ حسب هذه المراسلة إن صحت ـ مسبحته و يدل هذا على مدى تأثير هذا الأب على بعض المسلمين (18). و يقول ريجيس عن نفسه : «مع البدو قد أصبح بدويا» (19) . و قد نجح بهذه الوسيلة حيثما تمكن من جلب ثلاثة من رجال البدو إليه ، و يذكر القسيس برزانج مترجم حياة الأب ريجيس ان الهدف الوحيد لريجيس هو جلب النفوس إلى السيد المسيح (20) .

لقد كللت مساعي الترابيست التبشيرية ، بحدث هام يتمثل في بناء دير وضع حجزه الاساسي يوم 14 سبتمبر عام 1843 ، و حضر حفل التأسيس الجنرال بيجو و الكونت غييو مدير الشؤون الاهلية الداخلية ، و الأسقف دبيبش .

و قد كان هذا الدير الذي بني وسط مزارع سطاويلي بمثابة قاعدة

للتبشير ، اذ تمكن الأب ريجيس من جني ثمرتـه الأولى في تنصير اثنين من المسلمين وتعميدهما بهذا الدير[21] . وتشجيعا منه لهـذه العمليـة بني خورنية بسيدي فرج ونصب بها قسيسا ليخدم التبشير[22] .

إن طموح الأب ريجيس دعـاه الى المزيـد من المسـاهمـة في عمليـة الإستعمار وتبدو صورة ذلك واضحة في المراسلة التي جرت بينـه وبين الدوق دومـال وموضوعهـا غزو منطقـة القبـائل عن طريق التبشير . ويرى الأب ريجيس أن سكان القبائل الذين أخذوا صورة مخيفـة عن الجيش الفرنسي ، سـوف يـأخــذون إنطبــاعــات حسنــة عن فرقـة الترابسيت لقيامهـا بـالأعمـال الخيريـة والشعـائر الـدينيـة[23] . إلا أن الدوق دومال الذي خاف على حياة الأب، ريجيس ذكر له بـأن عمليـة غزو هذه المنطقة لا يمكن أن يقوم بهـا بمفرده ، إذ لا بـد من مرافقـة الجيش له .

وقـد تم هـذا فعلاً عنـدمـا إستعـد المـاريشـال رانـدون لغزو بـلاد القبائل ، وأصطحب معـه الرسـام هوراس فرني وقـد تردد ريجيس في المشاركة ، لكن الأسقف بافي ألح عليه بالذهاب وقـال لـه : «إنـه لمن الصواب أن يصحب الدين علم فرنسا في بلاد القبائل[24] . وبعد نهاية الحملة ، قام هوارس فرني برسم لوحـة كبيرة تمثل خضوع السكان للقوة الفرنسية ويعلو هذا المشهد صليب كبير أمام الأب ريجيس وهو يقوم بصلاة القـداس تخليـداً لهـذا الغـزو (في مــارس 1953) ، وإذا كانت مشاركة ريجيس في هذه الحملة تشريفاً له من الماريشال رانـدون[25] ، فـإن شرفـه الأكبر هــو حصــولـه على صليب جـوقـة الشرف من الحكومة ، إعترافاً له لمشاركته في عملية تقدم الإستعمار بالجزائر وذلك

في أوت 1853[26] .

يبدو لنا من هذا المكانة التي كانت تحظى بها هذه الفرقة الدينية لدى الحكومة ولدى بعض القادة العسكريين بالجزائر ، كما يتضح لنا الدور الذي لعبته في مجال الإستعمار . وإن هي نجحت في المجال الفلاحي[27] - ولا سيما في غراسة الكروم - فإنها فشلت من ناحية أخرى في المجال التبشيري . إذ يقول الأب جيرارد متحسراً : «عند مجيئ الى الجزائر ، كنت آمل في تنصير العرب ، ولقد رأيت عدداً منهم يصلون الى مرحلة التعميد ولكني لم أر واحدا منهم يثبت أو يبقى على نصرانيته»[28] وقد اعطى مثالا عن رجال البدو الثلاثة الذين دخلوا الى مزرعة الترابيست فتنصروا ، ثم ما لبثوا أن فروا وعادوا الى خيامهم[29] . وبالرغم من هذا فإن المساعي التبشيرية لم تتوقف ، وإنما إستمرت مع مبشرين آخرين ، لهم نفس الرغبات والوسائل إذ في الوقت الذي كانت فرقة الترابيست جاهدة في الفلاحة والأعمال الخيرية لصالح التبشير كان الأب لندمان يفكر في وضع مخطط آخر لصالح الإستعمار والتبشير .

مشروع الأب لندمان

ترى فرقة الترابيست مع الأب لندمان ، على أن الإستعمار الفلاحي ، من أحسن وسائل التبشير ، لما له من دور عملي في هذا الميدان . ويعتبر الأب لندمان من الأوجه اللامعة في التبشير ، للمساعي الحثيثة التي بذلها من أجل المصالح التبشيرية في الجزائر ، ومن أبرزها مشروع المستعمرات الفلاحية الدينية . الذي كان يهدف

به الى الإستعمار عن طريق إستغلال الأرض ونشر المسيحية بالجزائر .

يعود تفكير الأب لندمان في هذا المشروع ، الى الوقت الذي كان فيه يمارس أعماله الدينية في مدينة ستراسبورغ بفرنسا . فقد شاهد مجموعات من عائلات الألزاس وسويسرا تهجر مساكنها وتتجه الى أمريكا طلبا للرزق . وقد كان هذا في الوقت الذي أصبحت فيه بلاده تملك على سواحل البحر الأبيض المتوسط أراضي خصبة وغنية . فآلمته هذه الحادثة ، ولذا قام بجولة دراسية دامت ثلاث سنين في كل من ألمانيا وسويسرا وليون ومرسيليا لإثراء مشروعه الكبير . وقد إستفاد من هذه الجولة ، لكن إستفادته كانت بإتصاله بالأمير البولوني سفيا توبولك دومير مسكي بمدينة مرسيليا في صيف عام 1838 ، وقد أطلعه هذا الأمير على محاولته الإستعمارية بالجزائر ، وشجعه ، فحصل إتفاق بينهما يقضي بالعمل لفائدة المشروع الكبير .

كان الأمير البولوني من المهتمين بالإستعمار ووسائله في الجزائر ، وكان يعتقد أن الإستعمار العسكري ـ المطبق عندئذ في الجزائر ـ لا يؤدي الى نتيجة عملية إن هو لم يعتمد على القوة المادية والأخلاق المسيحية التي أصبحت تسود العصر[30] . ولهذا السبب عرض على كاسيمير بريسي (وبعد موته عرض هذا الأمر على الماريشال دوق دلماتي) إقتراحا بتكوين مستعمرات فلاحية تتكون من متطوعين من مختلف الجنسيات . ولما لم يكن لهذا الإقتراح صدى لدى الوزارة ، جاء الى الجزائر سنة 1835 وحصل على 4300 هكتارا براسوطا[31] ، من أحسن أراضي الجزائر ، وكان ذلك بمساعدة الجنرال دوفوارول . وبدأ تجربة المستعمرات الفلاحية ، فأسكن بأراضيه مائة وعشرين

عائلة مسلمة ، ومائة أسرة أروبيـة لإستغلال الأراضي . ولكي يعبر عن إهتمامه بالدين وضع صليبـا على منزلـه وبني مسجـدا صغيرا ، غير أنـه طلب من إمـام هـذا المسجـد أن يتزيى بـالزي الأروبي كمحـاولـة أولى للإدماج .

إن بنـاء الأمير لهـذا المسجـد لم يمنعـه بـأن يتحلى بصفـات الرجل المبشر ، إذ يقـول دومنتمـار الـذي زاره سنـة 1837 : «لقـد بني الأمير ضيعة أساسية له واعترف بـه المسلمون مرابطـا مسيحيـا ، ولـذا تلقى عطفهم»[32] ، ويمكن أن نستخلص من الإستشهاد ، مساعي هذا الأمير الخيرية الإستعمارية ، غير أن هذه المساعي لن تتبلور إلا بعـد قبولـه التعاون مع الأب لندمان لإتفاق أهدافها . فقد قررا تأسيس (الجمعيـة المسيحية لإستعمار وتحضير إفريقيا) أو المستعمرات الفلاحية الدينية .

لقد أعجب الأسقف ديبيش بتأسيس هذه الجمعيـة ، وهو بمـدينـة مرسيليـــا ، ولـــذا دعـــا الى عقـــد إجتماع - في صيف 1838 - بمقر الأسقفيـــة ، حضره عـــامـــل عمـــالـــة بـــوش رون ، وعـــدد كبير من الشخصيات البارزة في ميدان التجارة والفلاحـة . وألقى الأمير دومير خطابا ومن أهم مـا جـاء فيـه : «لا يمكن لنـا ، أيهـا السـادة أن نجرد الجمعية من إتجاهها الصليبي في هذا العصر الذي تسيطر عليـه الأخلاق المسيحيـة ، وهـو إتجـاه يهـدف الى نشر الأخـلاق والفضـائـل»[33] . ويتضح لنا هـذا الإتجـاه المسيحي عنـدمـا نعلم بتعيين أسقف مـدينـة مرسيليا كرئيس شرفي لمجلس الجمعيـة الأعلى ، وأسقف مـدينـة الجزائر كرئيس شرفي لمجلسها الإداري[34] .

ويبدو أن هذه الجمعية كانت تهدف الى خدمة المصالح الإستعمارية

بـالجـزائر ، عن طريـق إستغـلال الأراضي ، وتهـدف أيضـا الى نشر الفضـائل المسيحيـة في الجزائر ، وتتضـح لنـا هـذه الأهـداف عنـدمـا نتعرف على هذا المشروع .

يتمثل مشروع الجمعيـة ـ المستعمرات الفلاحيـة الـدينيـة ـ في شراء أراضي صالحة للزراعـة في الجزائر ، وتوزيعهـا مقـابل ثمن بسيـط على عـائلات فلاحيـة تجلب من مقـاطعـة الألزاس وغيرهـا ، وتقـام فيهـا ضيعات تشكل بمجوعها قرى وسط القبائل العربيـة ويتطلب تكوين كل ضيعـة مبلـغ 000 250 ف لبنـائهـا وتجهيزهـا لتتمكن من إسكان عشرين أو خمسـة وعشرين عـائلـة ، تعيش حيـاة جمـاعيـة ، وتكون تحت حمـايـة جيش الإحتـلال ويجب أن يكـون ضمن كل أسرة رجـل يمكنه حمل السلاح ليقدم أعمالا عسكرية للجيش .

ويقول الأب لندمان والأمير دومير ، أنه يمكن بهذه الكيفية إيجاد ترابط بيننـا وبين المسلمين ، إذ نمكنهم من أخـذ عـاداتنـا والإنـدمـاج فينا ، لكن هذا الترابط والإندماج لن يتما إلا بعـد أن يتـأثر المسلمون بديننا وطبائعنا . وعلى هذا الأساس يجب أن تدعم المدرسة منشـآتنـا الفلاحية بأعمالهـا التربويـة ، والكنيسـة بخـدمـاتهـا الخيريـة ، وأعمـال التمريض للمسلمين ، يمكن أن يقـوم بهـذا العمـل الراهبـات في كل مستـوصف تـابـع لكل ضيعـة ، وهكـذا تعمـل حضـارتنـا على جلب المسلمين الينـا ، دون أن نجرح ديـانتهم ، فتنفتـح أرواحهم لتـأثيرات هذه الحضـارة ، ونخضعهم بعـد ذلـك الى إمبراطوريـة الصليب القوي الذي حضر العالم[35] .

لقد لقي تأسيس هذه الجمعيـة تـأييـدا كبيرا من كبـار الرأسماليين

بمدينة مرسيليا ، وتكونت لجنة تشرف على هذا المشروع جمعت حولها عدة مشاركين[36] . لكن هذه الجمعية أقلقت بعض العسكريين في الجزائر ، وقد رأوا أن ذلك يمس بسلطتهم ولذلك قال الجنرال كافينياك : «على السلطة الروحية أن تخضع للسلطة العسكرية التي بيدها حل الأمور وعقدها»[37] . وبالرغم من هذه المعارضة فقد جاء الأب لندمان الى الجزائر في أوائل شهر يناير 1839 ليبشر بهذا المشروع الكبير في الجزائر ويختار الأماكن الصالحة لهذه القرى الفلاحية ، وقد اشترط أن تكون صحية خصبة آمنة . ويبدو أن مشروع الجمعية لم ينل كذلك رضا الماريشال فالي الذي كان يؤيد النظام المتبع في إستعمار الأراضي ، وهو الإستعمار الحر الفردي ، وليس الجماعي ، كما يعتقد بأن هذه الجمعية ستكون بمثابة تدعيم وإعانة لإستغلال أراضي الأمير دومير[38] . وهكذا رأى الأب لندمان أن تطبيق المشروع لم يحن بعد ، وعليه الإنتظار الى أن تحين الفرصة .

ويمكن أن نضيف سببا آخر لوقوف مشروع لندمان مؤقتا ، وهو فشل الجمعية لعجزها المالي ، وتناسيا للمبادىء المسيحية التي ارتكزت عليها[39] . وبالرغم من هذه الصعوبات والعراقيل ، فإن لندمان بقي في الجزائر ، واستمر يعمل ويبحث لفائدة المشروع . وقد عينه الأسقف ديبيش قسيسا بمدينة بجاية ، ثم خلفا للأب سوشي بمدينة قسنطينة . وفي هذه المدة مارس أعمالا خيرية لفائدة الجيش والسكان ، وبهذه المدينة عرض المشروع على الجنرال دوغالبو ، وذكر له بأن فرنسا لا يمكن لها أن تستعمر إفريقيا إلا بعد أن تغرس قوانينها ودينها ولغتها[40] ، وقد أعجب الجنرال بقوله ، ووعده

بمساندته أمام السلطة . وبعد هذا التشجيع عاد لندمان الى فرنسا وهو يحمل رسالة تأييد الأسقف ديبيش[41] ، وفي باريس استدعاه السيد أويس مدير الشؤون الإفريقية بوزارة الحربية ، وقد أغتنم لندمان هذه الفرصة ، وقدم له نخسة من المشروع يوم 19 أفريل 1841 .

يقدر بعض المسؤولين في الإدارة طموح الأب لندمان ، وإهتمامه بمشاكل الإستعمار وطرقه ، وينوهون بأفكاره ومقترحاته من أجل المصالح الفرنسية بالجزائر ، غير أنهم يرون إستحالة تطبيق المشروع المذكور لبعض المطالب الخيالية فيه . ومن ذلك جواب وزير الحربية له بعد إطلاعه على المشروع قائلا : «إن هذا التنظيم - تنظيم المستعمرة - يعود بنا الى العصور الوسطى ، وهو يفرض عمالا متطوعين ويتطلب خضوعا عاما منهم وروحا سلمية ، وهذه صفات يصعب الحصول عليها»[42] . أما الجنرال بيجو الذي أبدى إعجابه بالأب لندمان فقد قال له : «إني وجدت أعمالا حسنة في مؤلفكم ، وخاصة أنها أفكار تناسب العمل المشترك في حالة ما تمكنتم من الحصول على الرجال»[43] . ورأى بعضهم أن هذا النوع من المستعمرات لا يمكن أن يقبله المعمرون ، لأن أغلب هؤلاء يتمسكون بحريتهم ، ولا يمكن لهم أن يخضعوا للحياة الجماعية التي ينادي بها الأب لندمان في المستعمرة الفلاحية الدينية[44] .

لقد كانت هذه الردود أحد الأسباب التي أوقفت مشروع لندمان ، وذلك للمتطلبات المادية والبشرية التي استدعتها وبهذا فإن

هذه التجمعات الفلاحية المبنية على العمل المشترك والـدين ، لم تتلق التأييد التي تلقته فرقة الترابيست[45] ، ولكن هل وقف لندمـان عنـد هذا الحد ؟ يمكن لنا أن نقول ، بـأنـه لمـا أدرك صعوبـة الحصول على العـائلات التي تكون نـواة هـذه المستعمرة ، اقترح لنـدمـان بـدلا من ذلـك ، جلب أطفـال يتـامى ومشردين لتـأليف المستعمرة الفـلاحيـة الـدينيـة . ولتعـزيـز هـذا الإقتراح كتب بحثـا عنـوانـه : (عرض عن إستعمار الجـزائر) سنـة 1846 ، ووجهـه الى النـواب ببـاريس ، أثنـاء دراستهم الإعتمادات المالية الإضافية للقطاعات العامـة للـدولـة . ومن أهم مـا جـاء في العرض ، إنتقـاده الحكـومـة للطريقـة التي تتبعهـا في إستعمار الجزائر ، وإبرازه التبشير عن طريق إستغـلال الأرض وقـال : «سيكون لنـا في المستعمرات الفلاحيـة ، نفع يسمـح لنـا جلب قلـوب المسلمين الينـا ، لكي نصـل الى ذلـك لا بـد من تعريفهم بـديـانتنـا المقدسة»[46] .

في نفس الفترة التقى لندمان بالسيد دلوك (مدير ملجأ نوترودام) في فالاد بفرنسا ، الذي وضع كل إمكانياته المـاليـة لخـدمـة المشروع . وبذلك أمكن للمستعمرة الجديدة أن تظهر ، بحيث تمكن لندمـان من الحصول على أراضي بمجاز عمار بمدينة قالمـة مسـاحتهـا 500 هكتـار ، وهكـذا أنشئت المستعمرة الفـلاحيـة ، وهي عبـارة عن ملجـأ كبير للأطفال المشردين سنة 1847 .

ولكي تنطلق هذه المستعمرة في العمل ، قدم لها السيد دلوك ستـة رجال دين وشجعها وزير الحربية بمساعدة مالية قدرهـا عشرون ألف فرنك[47] . وقد بلغ عدد الأطفال بها خمسين شابـا تتراوح أعمـارهم بين

إثني عشر ـ وثمانية عشر سنة ، سنة 1850[48] يقومون بحراثة الأرض ، ويتعلمون مبادىء القراءة والكتابة والمبادىء الدينية المسيحية[49] .

وإذا كنا نجهل ما إذا كان هناك أطفال مسلمون في هذا الملجأ ، فإننا من جهة أخرى ندرك من خلال التكوين الديني الذي يتلقاه أطفال المستعمرة ومن خلال الأهداف التبشيرية التي رسمها لندمان ، أن هذا الملجأ (سيكون إنطلاقة لهيأة دينية جديدة)[50] ، وسيكون في مصاف الملجأين اللذين أقامها بريمولت اليسوعي ببوفاريك وإبن عكنون .

لقد عرفت مستعمرة لندمان فشلا ذريعا بعد أربع سنوات ، أي في 1851 . ويعود ذلك الى العجز المالي ، وتراكم الديون ، الأمر الذي أجبر لندمان على كراء مساحات منها للخماسين لحراثتها . غير أن هذا لم ينجح ، فرجع لندمان الى باريس بعد جهد طويل لم ينل منه شيئا .

مشكلة الموارنة المسيحيين والجزائر

في الوقت الذي طرحت مشكلة إستعمار الجزائر بشتى الوسائل ، إندلعت بالمشرق العربي ـ سورية ـ حرب أهلية ، وقد أتخذ هذا الصراع شكلا طائفيا نظرا لمشاركة الموارنة[51] المسيحيين ، والدروز المسلمين فيه . وكانت بريطانيا وراء الدروز ، وفرنسا وراء الموارنة . وقد أهتمت حكومة باريس بهذه الحرب إهتماما شديدا ، وكاد أن يكون لهذا الصراع إنعكاسا على إستعمار الجزائر[52] .

اندلعت الحرب الأولى عام 1840 ، واستمرت الى نهاية 1847 . أما

الثانية فكانت عام 1860 ، ولما كان الموارنة يدينون بالولاء والطاعة لفرنسا منذ القديم رأت الحكومة الفرنسية أن تتدخل في هذه المسألة لحل مشكلة الموارنة والتخفيف عنهم ومن بين الحلول ، السماح لهم بالهجرة الى الجزائر ، وقد كان هذا الحل مناسبا لهذه الفترة التي كانت فيها باريس تبحث عن إيجاد حلول لإستعمار الجزائر بالوسائل المختلفة .

لقد كان أول من دعا الى الهجرة المارونية المسيحية الى الجزائر ، هو قنصل فرنسا بمدينة الاسكندرية . فقد آلمه ما تعرض اليه الموارنة من قتل وتشريد فراسل بذلك وزير الشؤون الخارجية الفرنسية بتاريخ 9 سبتمبر 1845 . ومن أهم ما جاء في هذه المراسلة ، الإشادة بالعناصر المسيحية التي تعتبرها هامة لإستعمار الجزائر . ولم يخف القنصل أبعاد هذه الهجرة فقال : «أن الموارنة مسيحيون ، وقد برهنوا على إيمانهم بتمسكهم الشديد بالدين ، وسوف يؤثرون على سكان الجزائر حينما يسكنون في وسطهم»(53) .

أطلع وزير الشؤون الخارجية مدير الشؤون الجزائرية بوزارة الحربية ، وقد أبدى هذا المدير تخوفه من وجود هذه العناصر المسيحية بين السكان السملمين وأدرك من حالة الموارنة السيئة بعد إحراق أراضيهم ، أنهم سوف يكونون عالة على السلطة الفرنسية بالجزائر . غير أن الماريشال سولت لم يقتنع بهذا الحجج وطلب أموالا لإقامتهم في القرى الجزائرية . ولما كان الوزير سولت يتوقع إعتراض المسلمين على هذه الهجرة المسيحية ، فإنه راسل الجنرال بيجو يوم 12 نوفمبر 1845 ، طالبا منه إزالة الصعوبات وإتخاذ إجراءات خاصة ،

وإختبار الأمكنة التي يقيم فيها الموارنة[54] .

لكن الجنرال بيجو لم يتحمس للهجرة المارونية ، ولذا كان رده لوزير الحربية غير مشجع . ولم يكن بيجو يتخوف من الجانب الديني الذي يمثله الموارنة أمام السكان المسلمين[55] ، وإنما كانت تقلقه المبالغ المالية التي تتطلبها إقامة الموارنة في الجزائر وتموينهم . ولما كان الجنرال بيجو من أنصار الإستعمار المشترك أوجب على الموارنة أدوات فلاحية ، وحيوانات يمكن تحويلها الى عملة بعد حلولهم بالجزائر[56] . لكن هذه الإمكانيات لم تتوفر عند الموارنة .

ويبدو من مكاتبة الماريشال سولت وزير الداخلية يوم 12 جانفي 1846 ، من أنه اقتنع أخيرا بخطورة هذا العنصر المسيحي الجديد وسط السكان المسلمين . ويتضح ذلك من قوله : «إن دخول سكان أجانب الى الجزائر سيسيء الى العرب ويحثهم على الثورة»[57] .

واذا كان موقف الجنرال بيجو غير مشجع للهجرة المارونية الى الجزائر ، للشروط التي طالبهم بها ، فإن الدوق دومال قد اتخذ موقفا مشجعا لهذه الهجرة التي - في نظره - تسهل نشر المسيحية بإفريقيا[58] . وكان الدوق دومال يتمنى أن يجد في هؤلاء العرب المسيحيين نواة لهيأة من الفرسان ، يمكن لها أن توجه العرب المسلمين وتعرف طرق حياتهم التي يجهلها الفرنسيون في ذلك الوقت[59] .

إن الإتجاه التبشيري للدوق دومال ، يظهر لنا جليا من رسالة وجهها الى وزير الحربية بتاريخ 15 ديسمبر 1847 ، يحثه فيها على فتح أبواب الهجرة المارونية لمائة أو مائة وخمسين عائلة مسيحية الى الجزائر ، ويشيد بصفاتهم المسيحية والحربية فيقول : «سيكون

الموازنة ـ وسط السكان المسلمين ـ مدافعين أقوياء عن علمنا وقت الحرب ومبشرين بالمبادىء المسيحية وقت السلم»[60] .

ويذكر الدوق دومال لوزير الحربية مزايا الموازنة الذين سيعملون على تعمير الجزائر ، إذ تقدم لهم الحكومة أراضي زراعية ، ووسائل فلاحية كالحبوب والثيران وغيرها ، مما يمكنهم من إستغلال الأرض مقابل بعض المساعدات المالية التي يقدمها الموارنة للحكومة ، وتخصيص بعض الرجال القادرين على حمل السلاح للدفاع عن المستعمرة .

إن هذه التسهيلات التي سطرها الدوق دومال لفتح باب الهجرة المسيحية الى الجزائر قد وجدت ما يعوق تنفيذها ، ويتلخص ذلك فيما يلي :

1 ـ قلة الإعتمادات المالية المخصصة للإستعمار .

2 ـ وجود سوء تفاهم بين وزارة الحربية ووزارة البحرية التي كان عليها أن تنقل الموارنة الى الجزائر ـ عن طريق البحر ـ

3 ـ إندلاع ثورة فيفري 1848 ، التي أجبرت الدوق دومال على مغادرة الجزائر .

طرحت مشكلة الموارنة من جديد ، بعد أن قرر المجلس الوطني تخصيص مبلغ خمسين مليون فرنك ، لبناء القرى الفلاحية الإستعمارية بالجزائر ، وأغتنم لويس بوديكور هذه الفرصة الهامة فأعاد الى الأذهان مشكلة الموارنة . ويعتبر بوديكور من أهم المدافعين عن الإستعمار والتبشير بالجزائر . وهو من أهم من تزعم فتح باب الهجرة المارونية الى الجزائر .

يرى بوديكور ، أن الحكومة الفرنسية ، كانت قد قامت بفتح باب الهجرة البولونية الى فرنسا في الوقت الذي لم تتمكن من مساعدة البولونيين في بلادهم . فتساءل قائلا : «ألا تستطيع فرنسا أن تفعل نفس الشيء مع الموارنة»[61] . ويرى أيضا أنه بإمكان الحكومة الفرنسية إستخدام السفن التي تنقل الحجيج من الجزائر الى مكة في نقل الموارنة أبطال الإيمان المسيحي بالجزائر[62] . وقد أغتنم فرصة بناء القرى الفلاحية فكتب بحثا عنوانه : (إقتراح لإقامة الموارنة بالجزائر) ، وأرسله الى وزير الحربية يوم 27 سبتمبر 1849[63] .

وبعد أن عرض بوديكور في هذا الإقتراح مزايا الهجرة اللبنانية من الجوانب الفلاحية والسياسية ، اقترح على الحكومة مساعدة مالية تقدمها للموارنة لمدة سنة ، لكي يستطيعوا الإنطلاق في الأعمال الفلاحية ، ورأى بأن نجاح هذه التجربة الفلاحية سيشجع كل الموارنة على الهجرة الى الجزائر .

إن الفلاحة لا بد أن تتبعها التجارة ، ولذا رأى بوديكور ضرورة تعاطي الموارنة مهنة التجارة الى جانب الفلاحة فيقول : «سينتشر الموارنة في الأسواق العربية وكل القرى القبائلية ومراكز التجمع بالصحراء ، حتى يستطيعوا خلق تأثير حسن في الجزائر ، مكونين بذلك شبكة من المسيحيين العرب ، العاملين من أجل المصالح الفرنسية»[64] .

ويذكر بوديكور لوزير الحربية ، بأنه يمكن لرجال الدين الموارنة إنشاء دير يشبه دير الترابيست بمدينة سطاويلي ، ويشكل رجال الدين في رأيه ثلاثة أقسام : القسم الأول منهم يختص

بالفلاحة ، والقسم الثاني بالصناعات ، والقسم الثالث يحمل على عاتقه الشؤون الدينية التبشيرية[65] . وهكذا يكون بوديكور قد سطر مسبقا البرنامج الذي أراد تحقيقه لافيجري مع الآباء البيض فيما بعد[66] . ويوضح بوديكور هذه الفكرة قائلا : «أنه لمشهد جميل ، أن نرى هؤلاء الدينيين ، الأخوة لنا في العقيدة وهم يخلقون - على أنقاض الزوايا الإسلامية - تأثيرا ثقافيا وسط السكان ، بحيث يفهمون لغتهم ويعملون على التأثير فيهم»[67] .

ولكن إقتراح بوديكور بقي دون رد ، ولم تعط الحكومة رأيها فيه ويمكن أن نرد سبب ذلك الى الأسباب التالية :

1 - أن الحكومة الفرنسية ، كانت تخشى إنعكاس دخول هذا العنصر المسيحي على السكان المسلمين في الجزائر .

2 - أن فرنسا كانت تفضل بقاء الموارنة بالمشرق ، لأنهم يمثلون مصالح فرنسا هناك .

3 - لم تكن تريد فرنسا أن تورط نفسها في مشكلة مع الباب العالي لأن الموارنة كانوا تحت سيطرة الدولة العثمانية .

إن مشكلة الهجرة المارونية الى الجزائر ، لم تحسم . ففي عام 1850 اقترح الأب عزار - الوكيل العام لأسقفية صيدا بلبنان - على وزارة الحربية مشروعا ، يشبه مشروع لويس بوديكور . وقد عرض هذا الأب في المشروع الفوائد التي يجنيها الفرنسيون من المزايا الفلاحية ، التي يتمتع بها الموارنة في المجالالإستعماري ، وفي نظره أن تنصيب مائة عائلة من الموارنة في القرى الجزائرية يتطلب خمسة آلاف فرنك ، ويمكن الحصول على هذا المبلغ من هذه العائلاتالتي يجب أن تتوفر

لديها أموال وعتاد فلاحي[68] .

وقد وجد إقتراح الأب عزار ، قبولا عند الجنرال دوماس الذي كان قد تولى إدارة الشؤون الجزائرية بوزارة الحربية يوم 20 أفريل 1850 ، وأظهر دوماس رغبة كبيرة في إقامة الموارنة بالجزائر ، وعبر عن هذه الرغبة في رسالة وجهها الى مجلس الوزراء ، شرح فيها مزايا هذه الهجرة في المجال الإستعماري عامة والفلاحي خاصة[69] . وأبدى نشاطا حثيثا فطلب مساعدة وزارة الشؤون الخارجية وتدخلها في هذه المسألة ، حتى لا يواجه الموارنة صعوبة من الباب العالي أثناء خروجهم من لبنان ، وأرسل الوالي العام بالجزائر الجنرال شارون يعرض عليه قدوم الموارنة .

وتلقى الجنرال دوماس جوابا من الوالي العالم ، على لسان الجنرال ماكمهون قائد القطاع الوهراني . وقد أبدى ماكمهون للجنرال دوماس رغبته في إستقبال الموارنة وأخبره بأنه أختار لهم حوض مكاره القريب من سيدي بلعباس ، وعين الحجر قرب تلسان . ولم يخف أبعاد هذه الهجرة في الميدان الإستعماري التبشيري حينما قال : «أن دين الموارنة سيبقيهم في خدمة مصالحنا»[70] .

ويبدو من هذه المساعي التي قام بها الجنرال دوماس والتأييد الذي تلقاه من بعض المسؤولين ، أن مشروع الأب عزار قد يتحقق ، لكنه وجد نفس مصير كل المشاريع التي سبقته ، ومرد ذلك في نظري يعود الى أن وزير الشؤون الخارجية كلف سفيره بالقسطنطينية بإجراء إتصال مع السلطات العثمانية للحصول على موافقة السلطان العثماني على الهجرة المارونية الى الجزائر . لكن الدولة العثمانية أبدت

رفضها للمساعي الفرنسية[71] . ولم يرد نابوليون الثالث (حامي المسيحيين بالمشرق العربي) أن يدخل في صراع مع الباب العالي خشية ضياع الإمتيازات التي كانت لفرنسا بهذه المنطقة .

في عام 1860 نشبت فتنة ثانية بين الدروز والموارنة تسببت في قتل عدد كبير من المسلمين والمسيحيين ، فعادت مشكلة الموارنة لتظهر منجديد ، ووجدت هذه القضية مرة أخرى من يتزعمها ويعمل لمصالحها بعد تخبط الحكومة فيها[72] . فقد نشر السيد فاييسات[73] كتيبا تحت عنوان (لننقذ الموارنة بالجزائر ومن أجل الجزائر)[74] . وقد أوضح فيه فوائد الهجرة المارونية الى الجزائر ، والدور الذي تلعبه في المجال الإستعماري قائلا : «أن لإقامة الموارنة بالجزائر فوائد سياسية إنسانية إستعمارية»[75] وتمنى فاييسات أن ينظم الموارنة على شكل جمعيات عمالية فلاحية ، وهذه ولا شك سيكون لها في نظره تأثيرها على السكان وخاصة سكان منطقة القبائل[76] . ويفند فاييسات من ناحية أخرى المعارضين لهذه الهجرة ، الذين يرون إستحالة تعايش المسيحيين مع السكان المسلمين بسبب إختلاف الديانة . وإذا كان فاييسات لم يعبر عن رأيه بصراحة في تدعيم التبشير بالهجرة المارونية ، فإنه أشار الىالتبشير بطريقة غير مباشرة عندما قال : «أن تكاثر العنصر الأجنبي بالجزائر ، يضمن لنا لهدوء ، ويعمل على السلم بالجزائر»[77] .

وبالرغم من هذه المساعي الرسمية وغير الرسمية الحثيثة لمساعدة الموارنة على المجيء الى الجزائر ، وبالرغم من التسهيلات العديدة التي قام بها مسؤولون في الحكومة فإن الحملة من أجل المارونيين في الجزائر

قد فشلت كما رأينا لدى كل إقتراح . ويمكن أن ألخص أسباب ذلك فيما يلي :

1 ـ ظهور هذا العنصر بالجزائر ، سيعمل على إثارة العواطف الدينية للسكان ويحملهم على الثورة في وقت ما زال إندلاع الثورات على أشده . وكان تخوف السلطة من هذا الجانب شديدا .

2 ـ فتح باب الهجرة المارونية الى الجزائر ، معناه ضياع المصالح السياسية والإقتصادية الفرنسية في المشرق العربي ، ومعناه أيضا ترك المجال فسيحا بهذه المنطقة لبريطانيا . وقد رأت الحكومة الفرنسية أن ترعى مصالحها بهذا الجزء من العالم ، فسكتت أخيرا على الهجرة المارونية الى الجزائر .

في الوقت الذي كانت السلطة بباريس تحذر من النشاط التبشيري مخافة من إنتفاضة السكان ، كانت من ناحية أخرى تعمل على فتح أبواب الفرق الدينية التبشيرية للقيام بنشاطات فلاحية ، تستهدف إستغلال الأرض والتعايش مع السكان تحت شعار الخدمات الخيرية ونستخلص من هذا :

1 ـ أن ذلك لم يكن سوى وسيلة من الوسائل التبشيرية تخدم المصلحة الفرنسية بالجزائر .

2 ـ مدى التناقض والتذبذب في موقف السلطة الفرنسية من التبشير .

هوامش

(1) Paul Lesourd: L'oeuvre Scientifique, Civilisatrice des Missionnaires Catholiques Dans Les Colonies Françaises, Paris, 1913-Page-822

(2) نفس المصدر .

(3) لقد لعب المبشرون اليسوعيون في كوشنشين بالهند الصينية، حيث حولوا مساحات من الأرض الجرداء الى أراضي صالحة للزراعة، فغرسوا فيها البن و الكاو كاو، و شقوا القنوات بإيصال رافدي نهر الميكونغ الى بعضها، و كونوا قنوات أخرى بفضلها أصبحت تسقى المساحات المزروعة أرزا. كما أرسل اليسوعيون من مقرهم مبشرين الى الصين، ليتعلموا كيفية زراعة الشالي، و قد عاد هؤلاء الى كوشنشين و حصلوا على أراضي طبقوا فيها ما تعلموه. راجع لوسورد، 91.

(4) لوسورد، ص 92.

(5)Victor Demontès : la colonisation militaire sous le général Bugeaud Alger 1917, p 445.

(6) نفس المصدر .

(7) تتكون هذه الفرقة من رهبان كاثوليك سموا كذلك نسبة الى دير تراب بفرنسا، كانوا شديدي الزهد، حريصين على الإنقطاع عن العالم ليتفرغوا للدراسة و العبادة و العمل في الحقول.

(8) Gabriel Verges :
La monographie du domaine de la Trappe de Staouili, Alger 1930, p 1.

(9) E. Perret, ancien capitaine de zouaves : récits algériens, Paris sans date pp. 237-238.

(10) دومونتيس، ص 445.

(11) فيرج، الصفحة الأولى.

(12) نفس المصدر .

(13) نفس المصدر، ص 3.

(14) رسالة بيجو الى أسقف مدينة فالانس بفرنسا، عن دومونتيس، ص 450.

(15) Germain Roger : la politique indigène du général Bugeaud Paris 1955, p 43.

(16) وافقت الحكومة الفرنسية على تعيينها يوم 11 جويلية 1843.

(17) أندفيل، ص 20.

(18) E. Delaunay : histoire du monastère de Staouili depuis sa fondation, Limoges, sans date, p 56.

(19)Bersange, l'Abbé François Règis procureur général de la Trappe de Staouili Paris, 1900 p 227.

(20) نفس المصدر .

(21) ان ما حدث بهذا الدير قد شجع المنظمات الدينية بباريس على أن تقترح على الحكومة بناء ثلاثة أديرة أخرى بالجزائر، يقوم فيها رجال الدين بالفلاحة والأعمال العسكرية .

(22) يكشف لنا برزانج مسعى الأب ريجيس في تمسيح الأمير عبد القادر في اللقاء الذي جمع بينهما بباريس، وكان هذا بإتفاق مع الماريشال فايان، وذلك بتخصيص مقابلة للأمير مع البابا بيوس التاسع بروما لكن الأمير أعتذر له عن المقابلة، ص 229 .

(23) برزانج، ص 218 .

(24) نفس المصدر، ص 250 .

(25) نفس المصدر، ص 253 .

(26) Pierre Berthauld: (L'euvre agrécole Des Traffistes) Revue Algeria, Decembre 1934, Page, 43

(27) إبتداء من سنة 1900 تصبح مزارع الترابيست ملكية للمعمر الفرنسي الكبير بيجو ، وقد بيعت له بعد العجز المالي الذي حدث لهذه الفرقة الدينية .

(28) بونص ، ص 120 .

(29) نفس المصدر .

(30) Piast De mir miskri: Discours Prononcé sur L'istallation Du comité Organisateur De La Conpagnie chrétienne Pour La colonisation et civilisation D'Afrique Marsielle, 1838, Page 3

(31) تقع بضواحي مدينة الجزائر ، وهي على بعد مسافة سير ساعتين من الحراش .

(32) L'ablé Landman: Les Fermes Du petit Atlas Ou Colonisation Du Nord De L'Afrique, Paris, 1841, Page, 5

(33) نفس المصدر .

(34) Pierre Guiral: Marseille et L'Afrique Annales De La Faculté Des Lettres, D'aix-en Provence, N°15, 1956, Page, 181

(35) لندمان ص 12 .

(36) تتكون الجمعية بالإضافة الى الأسقفين المذكورين من سبعة وعشرين عضوا جلهم من أرباب الأموال والبنوك بمدينة مرسيليا .

(37) جوليان ، ص 161 .

(38) لندمان ، ص 20 .

(39) كان على هذه الجمعية المسيحية أن تكون ذات رأسمال قدره 000 2000 ف يقسم على عشرين ألف مشترك بمعدل 10 آلاف فرنك للعضو الواحد ، غير أنها عجزت عن جمع هذا المبلغ الضخم ، كما كتب مراسل صحيفة لاغازيت دو فرانس بالجزائر إذ قال : «أنه لمن الضروري أن تكون تسبيقات غير أنه في الواقع ليس هناك مؤسسة ثرية حقا ، ويصعب أن نجد رأسمال قيمته 10 آلاف فرنك ، إلا إذا بذلنا جهودا لمدة 10 أو 12 يوما تجمع هذا المبلغ فتجار هذا البلد يعيشون على ثروات محدودة جدا» ، راجع بيير جيرال ، ص 182 .

(40) لندمان ، ص 20 .

(41) يوجد نص الرسالة في كتاب لندمان المذكور ، ص 35 .

(42) Yvonne Turin (enfants trovés, Colonisation et utope Dans L'Algérie Coloniale) R.H. Octobre 1970, Page. 336

(43) نفس المصدر ، ص 336 .

(44) Tb. Cormier: Spécimen Coloniale De D'Algérie Paris 1847. p. 35

(45) جوليان ، ص 244 .

(46) Lamdam: Exposé Sur La Colonisation Paris 1846, P, 11-12

(47) Lamarque Jules: Les Colnies agrécoles Paris 1850, P, 135

(48) نفس المصدر .

(49) نفس المصدر .

(50) تورين ، ص 337 .

(51) الموارنة طائفة مسيحية كاثوليكية مؤسسها القديس مارون ، ثقافتها عربية وإن لم تنفصل عن الكنيسة الكاثوليكية .

(52) Georges Yver: (Les maronites et L'Algérie R.A, 1920. Page 165

(53) ايفير ، ص 167 .

(54) نفس المصدر ، ص 170 .

(55) دليل ذلك أنه وافق سنة 1844 على قبول إقامة بعض الموارنة بثنية الأحد وهو مكان يناسبهم لوجود أشجار الأرز كما جاء في جريدة الأطلس بتاريخ 30 أوت 1849 .

(56) رد الجنرال بيجو الى الماريشال سولت يوم أول سبتمبر 1845 .

(57) ايفير ، ص 171 .

(58) نفس المصدر ، ص 175 .

(59)Au capitaine Le Baron
Les Kabyles et La Colonisation de I 'Algérie Paris, 1864. P. 64

(60) ايفير ، ص 175 .

(61) Louis Baudicour, I a Colonisation de I 'Algérie. Paris 1856. P. 236

(62) نفص المصدر ، ص 237 .

(63) نفس المصدر ، ص 238 ـ 247 .

(64) بوديكور ، ص ، 243 .

(65) نفس المصدر .

(66) ايفير ، ص 180 .

(67) بوديكور ، ص 244 .

(68) رسالة الأب عزار الى وزارة الحربية بتاريخ 9 سبتمبر 1850 .

(69) ايفير ، ص 189 .

(70) ايفير ، ص 192 ، والعجيب في أمر الجنرال ماكهون أنه الذي أبدى رغبة في استخدام الموارنة لمصالح الإستعمار والتبشير ووقف حجر عثرة في النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري ، كما سنرى في الفصل التالي .

(71) نفس المصدر ، ص 194 .

(72) لقد أرسل نابوليون إمدادات حربية لمساعدة الموارنة أثناء هذه الفتنة .

(73) وهو مؤلف كتاب : تاريخ مدينة قسنطينة .

(74) يتكون هذا الكتيب من خمسة وستين صفحة ، طبع بباريس سنة 1870 .

(75) ايفير ، ص 502 .

(76) لقد أختيرت هذه المنطقة لكون سكانها ـ في نظر فابيسات وغيره ـ يبدون رغبة في إعتناق المسيحية .

(77) فابيسات ، ص 49 .

الفصل الرابع

الكاردينال لافيجري
أو ذروة التبشير في الجزائر

الظروف العامة لمجاعة 1867 ـ 1868

تمتاز السنوات الممتدة من 1866 ـ 1868 بنكبات طبيعية ، كانت أقسى ما يكون على السكان الجزائريين ، وخاصة الفلاحين منهم ، وتتمثل هذه النكبات في الزلزال الذي اجتاح مدينة البليدة وضواحيها ، والذي تسبب في ضحايا كثيرين ، وفي هجوم الجراد ، والجفاف ، ووباء الكوليرا والتيفوس ، وقد تظافرت هذه النكبات كلها ، فأدت الى ظهور أزمة إقتصادية ، أخذت صورة مجاعة عامة بالجزائر سنة 1867 وأستمرت الى أواخر عام 1868 .

هجم الجراد على الجزائر في أفريل 1866 ، حيث عمّ السهل المتيجي وكل المناطق المجاورة ، وامتد الى مدينة المدية ، وقد أتلف كل المحاصيل الزراعية ، بحيث أصبحت حقول القمح والشعير ـ وهي أمل السكان ـ خالية تماما من الغلة[1] . ولم تكد تنتهي كارثة الجراد

حتى عمّ الجزائر جفاف عام ، وقد كان الأروبيون أقل الذين تعرضوا لنتائج هذا القحط ، لأنهم كانوا يملكون أحسن الأراضي وأكثرها ماء ، بخلاف الفلاحين الجزائريين الذين كانت السلطات الفرنسية قد أحتجزت أراضيهم[2] .

وقد تعبت هذا الجفاف أمطار عزيرة جدا ، وثلوج قوية أتلفت المحاصيل الزراعية الضعيفة ، وقتلت المواشي والأغنام ، بحيث أضاعت بعض القبائل أغنامها ، وثلث ثيرانها بسبب الجفاف ، فتشرد المنكوبون من مناطقهم - وخاصة منطقة الجنوب والهضاب العليا - وتوزعوا في البلاد لطلب العمل أو العشب لما تبقى لهم من الأغنام .

وقد اضطرتهم هذه الظروف القاسية الى بيع خيولهم ، وحلي النساء للحصول على الحبوب وبعد أن أستهلكوا كل مخزون مطاميرهم . فالأرض لم تعد قادرة على الإنبات[3] .

إن من أهم النتائج السريعة للجفاف الإرتفاع البارز في سعر الحبوب . وبصفة عامة أرتفع سعر الشعير الذي كان يباع بثمن 12،13 الى 17،16 ف للقنطار الواحد في سبتمبر 1868 فكانت نسبة الزيادة 32 ٪ . أما سعر القمح الذي كان 25،80 ف فقد ارتفع الى 64،46 ف أي بنسبة 50٪ في شهر سبتمبر 1867 ، ثم وصل السعر الى 30،86 ف في أكتوبر من نفس السنة ، أي بنسبة 17٪[4] . وللزيادة في التفصيل نقول بأن الشعير الذي كان يباع بـ 20 ف قد ارتفع الى 22 ف بسهل متيجة ، و35 بمنطقة القبائل ، و40 بمليانة ، و75 بالجلفة[5] . ونلاحظ هذا التدرج في ارتفاع الشعير أنه كلما تقدمنا نحو الجنوب زادت الأسعار ، وهو أمر يجعلنا نقول أن أغلب المناطق المتضررة هي الأقاليم الداخلية .

لقد تظافرت هذه العوامل الطبيعية ، فكانت أحد الأسباب الهامة في ظهور بلية كبرى كمنت في المجاعة العامة التي هلك بسببهاالكثيرون كما أوضحنا . ثم حدث وباء الكوليرا الذي زاد الطين بلة . وقد انتشر الجياع في البلاد وكثر ، فأصبحوا يقتاتون من الجذور والأعشاب . وبلغ بهم الأمر أن أصبحوا يتنازعون على المزابل والفضلات بالمدن . ويذكر الأب برزي ، الذي كان قسيسا على مدينة الشبلي بمتيجة : «أن الجياع كانوا يفدون الى المراكز الأروبية بالمدن منهوكي القوى عراة . وقد غابت عنهم الصورة البشرية ، إذ أصبحوا هياكل عظمية»[6] . وقد امتلأت الشوارع بالمتسولين ، وتضاعفت الإعتداءات لا من أجل الحصول على القوت ، وإنما من أجل أن يقبض على المعتدي ويزج به في السجن ليضمن قوته بصفة مستمرة ومنظمة[7] . وبطبيعة الحال كان المعمرون يحرسون ضيعاتهم مستعملين في ذلك بنادقهم الخاصة . ومما زاد الأمر خطورة إنتشار وباء الكوليرا وسط السكان المسلمين أما الأوربيون فقد نجوا منه .

ويذكر الأب برزي قائلا : «أنه ليصعب علينا التعرف على العدد الحقيقي للضحايا»[8] . وهو يقدره بحوالي 250 ألف ضحية ، وحسب تقدير الجنرال ألار الذي قدمه الى أعضاء المجلس التشريعي في مارس 1868 أن عدد الضحايا بلغ،عام 1867، 557 89 ضحيةو791 86 من بين المسلمين . ويبدو من هذا محاولة إخفاء للحقيقة المرة بالجزائر[9] . أما جريدة المرشد الجزائري فتذكر أن العدد بلغ 812 128 ضحية في الأشهر الأربعة الأولى من عام 1868[10] .

أمام هذا الخطر أشعر إسماعيل عربان نابوليون بخطورة الوضع ،

فرأى الأمبراطور أن يكاتب الجنرال ماكمهون . ويبدو أن الجنرال لم يطلع الأمبراطور على حقيقة المجاعة ومما قاله نابوليون : «لا تريد فرنسا أن يقال عنها يوما ، أنها تركت الخاضعين لحكمها يموتون جوعا»[11] . ويبدو أن ماكمهون عمل على فتح ورشات عمل في الجهات الخاضعة للنظام المدني ،وملاجىء في المناطق ذات الحكم العسكري ، وأنه وزع صدقات على الجائعين . غير أن التقارير الشهرية لعام 1868 تذكر حقائق مفجعة بسبب المجاعة وتصفها بالمصيبة الكبرى[12] .

خصصت الحكومة مبلغا قدره 400 ألف فرنك في جانفي 1868 ، ثم مبلغا قيمته مليونين من الفرنكات في مارس من نفس السنة ، لكن هذه المبالغ لم تكن لتكفي لإيصال الحبوب في وقتها المناسب ، وقد كانت هذه المساعدة إرتجالية وغير منظمة[13] .

لقد فتحت هذه النكبة بابا لأعداء النظام العسكري في الجزائر ، إذ كانت هذه الأزمة ونتائجها ، محور مقالاتهم بمختلف الجرائد . لقد اتهم المعارضون النظام العسكري وردوا سبب المصيبة اليه . ومن بين هؤلاء جول ديفال ، الذي قال : «أن المكاتب العربية تجني الآن ما زرعته»[14] .

وقال لانجيوني : أن العرب لم يتألموا كثيرا في الجهات التابعة للنظام المدني»[15] . ولا غرابة في أن يكون هذا القول صحيحا ، إذا علمنا أن عدد المسلمين بهذه الجهات قليلون جدا أمام السكان الأروبيين .

إذا كان دعاة النظام المدني قد أرجعوا سبب الكارثة الى النظام

العسكري ، وإذا البعض الآخر قد أعادها الى الكوارث الطبيعية ، كهجوم الجراد والجفاف ، فإن الأعيان المسلمين قد ردوا ذلك الى سوء تصرف السلطة الفرنسية مع الجزائريين الذين أخذت أراضيهم غصبا[16] . وذكر البعض أن المناطق التي هلك فيها السكان ، هي نفس المناطق التي تأثرت وتضررت بخسائر ثورة 1864 ـ 1865 . أما الكاردينال لافيجري فقد رد السبب الى الإقطاع الاهلي ، ويبدو أن هذا غير صحيح لأن الديون التي ترتبت على الملاك الكبار من الجزائريين إثر إنقاذهم للجياع كانت كبيرة ، بحيث أفرغوا مطاميرهم وخسروا ثرواتهم . ومن بين هؤلاء الباشاغا المقراني الذي لعب دورا عمليا في إغاثة المنكوبين . فبدعوة من الجنرال ماكمهون تسلف المقراني من السيد مسرين ـ وكان يملك سهما في بنك الجزائر ـ مبلغ ثلاثمائة وخمسين ألف فرنك في شكل وصولات الى حساب البنك الجزائري . ولم يلبث المبلغ أن ارتفع مع الأرباح الى نصف مليون فرنك . واقترض من السيد عبادي اليهودي مائتي ألف فرنك وثلاثمائة ألف فرنك من اليهودي أبو قاية بسطيف ، فارتفعت ديونه بذلك الى مليون فرنك ، خصصها لإنقاذ الجياع المسلمين من الموت وإعانة الفلاحين لحرث أراضيهم[17] .

أمام الوضع المتدهور ، وأمام عجز الحكومة عن إيقاف المجاعة بإغاثة الجياع ، ظهر دور الكاردينال لافيجري الذي لعب دورا بارزا في هذه المسألة . فقد استغل ظروف المأساة ، وقام يناصر دعاة النظام المدني ، متهما النظام العسكري بأنه المتسبب في هذه المجاعة ، وكشف عن ظروف المجاعة وضحاياها . ويعود موقف الكاردينال

لافيجري[18] من النظام العسكري وحملاته عليه كما سنرى ، الى أن السلطة العسكرية وقفت ضد النشاط التبشيري الذي أراد أن يقوم به في بلاد القبائل . وقد استطاع لافيجري أن يلعب دورا توجيهيا لفائدة الإستعمار والمعمرين في الجزائر ، فنظرته قد اتفقت مع هؤلاء ضد قيام المملكة العربية التي حاول نابوليون إنشاءها في الجزائر ، وأعتقد بأن هذه المملكة ستعمل على إبعاد المسلمين عن الأروبيين ، وهو أمر لا يسمح بعملية التبشير .

كان أول إتصال للكاردينال لافيجري بالعالم الإسلامي ، بنصارى الشرق سنة 1860 حين زار بلاد الشام ، وحمل للمسيحيين هناك إعانة جمعت في أروبا لمساعدة المسيحيين في الحرب الطائفية التي اندلعت بين الدروز والمسيحيين وحينما عاد من الشرق ، مر بالفاتيكان على البابا فحرضه على مساعدة التبشير في العالم الإسلامي وهو أمر كان يطمح اليه ويعمل من أجله .

خلف الكاردينال لافيجري الأسقف بافي ، على الأسقفية بالجزائر في أواخر سنة 1866 ، وكان هذا بإقتراح من الجنرال ماكمهون على نابوليون الثالث . وبالرغم من المكانة الحسنة التي كان يحظى بها عند نابوليون ، فإن هذا قد أبدى تخوفه منه . ورأى بأن عناده وقلة حذره سيجعلان منه رجل دين متشدد في بلاد إسلامية ـ الجزائر ـ حيث يجب أن تعالج فيها المسائل الدينية بمنتهى التعقل[19] ، ولا سيما في ظروف ما زالت المقاومة المسلحة فيها على أشدها .

يعتبر الكاردينال لافيجري أحد الوجوه التاريخية المسيحية التي أثرت بعمق على فلسفة التبشير ، وطبعتها بتفكيره وسلوكه وجرأته في

شتى الميادين[20] وهو يمثل خلال سنوات 1868 ـ 1892 قمة التبشير في الجزائر وفي إفريقيا ويعود ذلك الى :

1 ـ النشاط الفعال الذي أبداه في نشر المسيحية .

2 ـ مواقفه التبشيرية التي استهدفت خدمة المصالح الفرنسية بالجزائر ، وإفريقيا بوجه عام .

3 ـ التأييد الذي حصل عليه من بعض المسؤولين الكبار في الجزائر ، ومن الحكومة بباريس .

لم يخف لافيجري نواياه التبشيرية منذ الوهلة الأولى من التعيين ، ويظهر ذلك في مكاتبته لوزير الشؤون الدينية بعد قرار التعيين ، إذ يقول : « ... إني الوحيد الذي أبديت إهتماما بنشر المسيحية وسط العرب ، وقد كانت ولا زالت لي علاقة طيبة مع مسيحي المشرق العربي ، وهؤلاء يجب إستدعاؤهم الى الجزائر[21] . والتفكير في جلب المسيحيين العرب . كان قد دعا اليها دعاة التبشير من قبل . والهدف منه خدمة التبشير كما رأينا . وقبول لافيجري لمنصب أسقفية الجزائر ، كان أولا وقبل كل شيء يرمي الى أبعاد دينية وسياسة في نفس الوقت ، ولتعزيز المكاسب الفرنسية بالجزائر . وأعتبر بلاد الجزائر بوابة إفريقيا في التبشير ، وقد عبرت عن ذلك رسالته الموجهة الى رهبان الجزائر يوم 5 ماي 1867 فقد قال : «سآتيكم إخواني في ساعة مشهورة لتاريخ إفريقيا المسيحية ... إن الكنيسة وفرنسا متحدتان على إحياء الماضي»[22] .

إن التبشير الذي يريده لافيجري هو ذلك الذي يعمل على الإدماج عن طريق التبشير وليس الإدماج الذي يتم عن طريق

القوة . وهـذه القوة لن تؤدي الى نجاح فرنسا في الجزائر ، حتى ولـو بقيت عشرة قرون[23] . وقد أحس بالخجل أمـام الأمـة الفرنسيـة التي عاشت مدة أربعين سنة أمام شعب مسلم خـاضع لهـا ، دون أن تعمل على تنصيره[24] . وتعجب من مـوقف السلطـــة من التبشير ، فهي عـوض أن تعمـل على إدمـاج الأهـالي في المجتمع الأروبي والحضـارة المسيحيــة ، تركتهم يتخبطـون في بربريتهم وقرآنهم[25] . وقـــد كان القرآن والإسلام - في نظره - أشد عدو للمسيحية ، وأن واجبه يفرض عليـه محـاربتهـا ... فـالقرآن شريعـة الكـذب واللاأخـلاق[26] ، وتتم محـاربتها عن طريـق تنصير المسلمين ، ليفرض الـوجـود الفرنسي في الجزائر . ويتم هذا التنصير بوسيلتين هما :

1 - الأعمال الخيرية التبشيرية .

2 - إنشـــاء المـــدارس الفرنسيـــة في كل مكان ، وهـــذه هي الأداة الضرورية لتحقيق سياسة الإدماج[27] .

لقد كانت كارثة 1867 - 1868 فرصة مناسبة اغتنمها الكاردينال لافيجري ليفتـح بـاب التبشير على مصراعيـه ، بحيث استغـل وضـع الكثيرين من المرضى والجيـاع ، فـأنقـذهم من الهلاك بـإسم الصليب وفرنسا . وهكذا فقد جمع حوله ما يقرب من ألف وثمانمـائـة طفل[28] بين مشرد ومريض ووزعهم على مختلف المراكز والملاجىء التي أنشأهـا في بوزريعـة وبولـوغين وإبن عكنـون والأبيـار والقبـة وبوفـاريـك ومدينة الجزئر قصد معالجتهم وتنصيرهم .

ولما كان هذا النشـاط التبشيري يحتاج الى أموال وتـأييد ، فقـد سـافر الكاردينـال لافيجري الى بـاريس ليطلب الصـدقـات لهـؤلاء

الأطفال ، وليلفت نظر أصدقائه بجامعة السربون ، ونظر وزارة الشؤون الدينية الى نكبة الجزائر[29] . غير أن هذا السفر لم يتلق التشجيع الذي تمناه لافيجري لإعتقاد الكثيرين أنه لا يخدم سياسة نابوليون في المملكة العربية[30] . وقبل العودة الى الجزائر ـ أي في أول جانفي 1868 ـ وجه لافيجري نداء لكل الصحف الكاثوليكية ، يصف فيه المجاعة ، ويطلب مساعدة المسيحيين الطيّبين ، لفائدة الملاجىء ، وقد لبى هؤلاء النداء ، بحيث تكونت لجان بالمدن الفرنسية الكبرى لجمع التبرعات[31] .

استمرت مساعي لافيجري الخيرية بكل جهد وثبات ، ففي 20 فيفري من نفس السنة ، بعث رسالة الى كل رجال الدين بفرنسا ، يطلب منهم قراءة ما جاء في النداء المذكور في مختلف المراكز الدينية والكنائس لتعريف الفرنسيين بالمأساة ، رغبة في الحصول على المساعدات ، وقد تم ذلك بحصول لافيجري على تبرعات مالية مبلغها ثمانمائة ألف فرنك لصالح الملاجىء[32] ، وفي 15 مارس من نفس السنة ، راسل أساقفة بلجيكا وإسبانيا وانجلترا يطلب منهم المعونة ، وكان البابابيوس التاسع من الذين لبوا النداء بإرسال مساعدة مالية قدرها 5 آلاف فرنك . وتلقى لافيجري في نفس المدة مبلغ ستين ألف فرنك من كاردينال مدينة رووان بفرنسا لفائدة المستعمرة [33] ومن الامبراطور نابولين وزوجته اعانة شخصية مبلغها ثلاثة عشر الف فرنك وانضمت الى هذه التبرعات الكاثوليكية إعانات بروتستانتية بالجزائر ومبلغها أربعة آلاف فرنك . وأن بالرغم من اختلافهما في المذهب والهدف . وقد قال رئيس المذهب البروتستاني

بالجزائر : «يمكن للكنيسة المسيحية أن تترك أثرا طيبا في نفوس الأهالي بفضل خدماتها الخيرية»[34] .

لقد وجد نداء لافيجري في الجزائر صدى من بعض العسكريين الذين ناصروا التبشير ، فقد بعث له الجنرال ومبفن بثلاثين خيمة وجنودا لنصبها بالملاجىء ، وشكره عن الأعمال التي يقوم بها لصالح الأيتام والمعمرين . ورأى كذلك بأن هذا العمل الخيري يجب أن يجد تأييدا ليس من الشعب فحسب ، وإنما من الدولة أيضا[35] . غير أن لافيجري لم يجد هذا التأييد من الحكومة في البداية ، ولذلك لجأ الى كسب ود المعمرين الذين ساندهم في مصالحهم الإستعمارية . وكان يريد مؤازرتهم له . وفعلا فقد توصل الى كسب الكثير منهم الى جانبه ، وحصل على تبرعات مالية ، وقد استدعت هذه التبرعات التنظيم ولهذا الغرض كونت لجنة خاصة تشرف عليها ، وكانت تتألف من سوشي وباتفوا وجيرارد وهم رجال دين ومن لويس بوديكور ومليسون وهما من دعاة التبشير[36] . وكانت هذه التبرعات تنشر أسبوعيا في مجلة (صدى سيدتنا الإفريقية) وهي مجلة أسسها لافيجري وأشرف على تحريرها ، وهي ذات أغراض دينية تبشيرية ، وهدفها إطلاع الرأي العام المسيحي في الجزائر وفرنسا على النشاط التبشيري في الجزائر ، وكانت هذه المجلة من الوسائل الإعلامية التي استطاع لافيجري أن يفرض من خلالها وجوده وأن يجلب اليه أنصارا عديدين[37] .

جند الكاردينال لافيجري فرقا دينية مختلفة من الرهبان والراهبات لمعالجة الأطفال المصابين بوباء الكوليرا والتيفوس

والجدري . وقد بلغ التفاني برجال الدين ، ان هلك الكثير منهم بسبب إنتشار العدوى حبا في الأعمال الخيرية ، وبالرغم من الجهود التي بذولها لإنقاذ حياة الأطفال من الموت ، فإن الكثير منهم قد هلك واغتنم لافيجري هذه الحالة فعمد الكثير من الأطفال ساعة الإحتضار[38] . وقد أثار هذا العمل خوف الكثير من عائلات الأطفال ، فطالبت بإسترجاع أبنائها اليها ، وفرّ من تمكن من المراهقين منهم عندما أدركوا هذه الحقيقة ، ولم يبق بالملاجىء سوى 378 طفلا (242 بنتا) أراد لافيجري أن يحتفظ بهم بدعوى أنه المنقذ لحياتهم من الهلاك ليجعل منهم رجالا مسيحيين إن أمكن ذلك[39] ، وليكونوا نواة التبشير الجماعي ، والعائلة المسيحية العربية بالجزائر .

أدرك الكاردينال لافيجري صعوبة التنصير وسط الكبار ، فركز جهوده على الأيتام الصغار ، ولا سيما وهم في مرحلة يمكن له فيها بذر المبادىء المسيحية عن طريق التعليم ، وفتح مراكز للصناعة اليدوية لهم . وهذا ما تم بالفعل في الملاجىء ، ففي يوم 6 أفريل أعلن لافيجري عن تبنيه للأطفال الأيتام . وتم الإعلان عن طريق نشر رسالة مطولة بمختلف الجرائد بالجزائر ، لخص فيها ظروف المأساة ، وأفصح عن رغبته في تطوير هذه العملية الكبرى - عملية التبشير - للوصول الى الإدماج السريع بالجزائر ، وقرر إبقاء الشبان بإبن عكنون لتكوينهم في ميدان الفلاحة ، وتسليم البنات للراهبات لتكوينهن في أعمال الحقل والمنزل . وكانت نية لافيجري في هذا القرار إيجاد نواة خصبة من العرب المسيحيين الذين سيعملون من أجل الإستعمار الفرنسي[40] . ويعتبر بونارد - ناشر كتاب حياة

لافيجري ـ هذا القرار بمثابة بيان للتبشير في إفريقيا[41] لما له من أهمية في هذا الميدان ، ولما سيترتب عليه في المستقبل من نتائج هامة للتبشير في القارة الإفريقية .

كان لافيجري يرى في تمسك السكان بالديانة الإسلامية تعصبا أعمى ولذا أخذ يسيء اليهم فقد قال : «أن الإنعدام الكلي لمعنى الأخلاق هو السبب في شقاء هذا العرق»[42] ، وحينما أدرك الحواجز التي أقامتها السلطة العسكرية أمام التبشير مخافة عواقبه ، خاطبها في هذه الرسالة بقوله : «يجب إنقاذ هذا الشعب ، وينبغي الإعراض عن هفوات الماضي ، ولا يمكن أن يبقى محصورا في قرآنه ... يجب أن تسمح فرنسا بأن يقدم له الأنجيل ، أو أن تطرده الى الصحاري بعيدا عن العالم المتمدن[43] . ويبدو من قول الكاردينال أنه أراد تطبيق سياسة أمريكا في القضاء على الهنود الحمر ، وإبعادهم من مراكز التمدن ، لأنهم رفضوا معطيات الحضارة الجديدة .

لقد كان هذا المنشور محل نقد المعارضين للتبشير ، ومرد ذلك هو تخوفهم من عودة سلطة رجال الدين في المجال السياسي ، وخشيتهم من نتائج التبشير . فقد ركزوا على نشاط لافيجري «بشبح المسيح» وانتقد أحد المحررين البارزين في جريدة (بريد الجزائر) عمل لافيجري مذكرا إياه بأن أنجيل القديسين بطرس وأوغسطين يدعو الى إعادة الطفل الى ذويه[44] ، إذ لا يمكن إبقاء الأطفال بالملاجىء بعيدين عن أوليائهم ، ويجب إرجاعهم الى عائلاتهم . أما اميل تويبي المحرر بجريدة (منارة اللوار) فقد رأى أن لا فائدة من تنصير المسلمين وحجز أراضيهم بل الأفضل ـ في نظره ـ إتباع الإندماج بخطى

تدريجية ، وندد تويبي بتعصب لافيجري الذي أراد وبكل وسيلة وضع الصليب فوق الهلال والإنجيل فوق القرآن ، ودفع المسلمين الى إعتناق دين لا يريدونه[45] .

إذا كان قرار لافيجري محل إنتقاد البعض ، فإنه من ناحية أخرى ، كان مصدر تخوف المسلمين من التبشير ، فقد خلق إضطرابا كبيرا في أنفسهم[46] وهو أمر دعا الجنرال ماكمهون الوالي العام الى التفكير في الرد على رسالة لافيجري بكتابة مقال بجريدة المبشر ، غير أن ذلك لم يتم لسببين هما :

1 ـ لم يكن لجريدة المبشر رواج كاف وكامل مثل الذي كان للجرائد الأخرى .

2 ـ رأى الجنرال ماكمهون أن لا فائدة من الرد ، حتى يعمل على إسكات القضية وحتى لا يقلق السكان[47] .

الصراع بين لافيجري وبين الجنرال ماكمهون

أدرك ماكمهون العواقب التي يترتب عليها قرار لافيجري بتبنيه الأطفال ، ولذلك وبتحريض من الكولونيل غريزلي وزير الحربية[48] طالب بارجاع اليتامى الى ذويهم ، وهدده بغلق الملاجىء في حالة رفضه لتطبيق أوامره ، لكن لافيجري صمم على إبقاء الأطفال بالملاجىء مدعيا بأنه أصبح أبا لهم ، وأنه يملكهم لأنه أحياهم بعد أن أوشكوا على الموت[49] . وقد أدى هذا الموقف الى ظهور مشادة كلامية بينه وبين الجنرال ماكمهون ، وقد تدخلت الحكومة بباريس لحل هذا النزاع ، وقد ظل الصراع محور مقالات متعددة بمختلف الجرائد بالجزائر وباريس عام 1868 .

وترجع بوادر الصراع بين الجنرال ماكمهون ولافيجري الى أوائل جانفي عام 1868 ، حينما كتب لافيجري مقالا نشرته معظم صحف الجزائر[50] انتقد فيه النظام العسكري ، واتهمه بإخفاء حقائق كثيرة عن الجماعة . فكان هذا الموقف لصالح المعمرين الذين كانوا يطالبون بإلغاء النظام وإستبداله بالنظام المدني . وقد تمكن المجلس التشريعي بباريس عن الاطلاع على مقال لافيجري عن طريق النائب لانجويني ممثل الكولون بالجزائر ، وإستشهد به ليبرهن للحكومة على سوء النظام العسركي ، ولا سيما المكاتب العربية . وكان النظام العسكري في نظر لافيجري ومؤيديه من الكولون بمثابة حجر عثرة أمام التبشير والإستعمار . من الواجب إزاحتها حتى تنتشر رسالة التبشير . وادعى المعمرون بأن المكاتب العربية وقفت ضد التبشير[51] لتنزوي في مملكتها العربية ، ولتبعد كل تأثير أروبي عن المسلمين[52] . واعتقد لافيجري بأن التبشير لا ينجح إلا إذا تم القضاء على النظام العسكري المتبع في الجزائر ، وبعد أن تكتسب الكنيسة حرياتها .

رأى الجنرال ماكمهون أن يحتج على الكاردينال بإسم الحكومة أمام حملته الشديدة ضد النظام العسكري ، التي جلبت اليه أنصارا عديدين من المعمرين ، فكتب اليه يذكر له أنه إذا كانت أعماله الخيرية قد تركت في نفوس الفرنسيين إنطباعات حسنة ، فإنها من ناحية أخرى قد وجدت نفورا بين (الأهالي) الذين لم يريدوها على حساب ديانتهم ، لأنها إستغلال لظروفهم القاسية خدمة للتبشير[53] وذكره أيضا بالعواقب التي تنجم عن طرد المسلمين الى الصحاري في وقت تريد فرنسا أن تجلبهم اليها ، وتعمل على تطبيق ما جاءت به

مبادىء نابوليون الثالث عام 1965 ، غير أن الكاردينال لافيجري وضع خطته الجديدة في الإدماج وبيّن للجنرال بأن للتبشير فائدتين هما :

1 ـ أن تنصيره للأطفال ، بل ولكل المسلمين سيعمل على تثبيت الوجود الفرنسي في الجزائر ، لأن التبشير يخلق قوة سياسية جديدة تتمثل في (الأهالي الأروبيين) IndigénesEuropéens الذين سيعملون على إخماد الثورات .

2 ـ أن المسلمين الذين أخذوا عن الأروبيين عيوبا كبيرة ، سيتعلمون المبادىء الحسنة من المسيحية عن طريق التنصير[54] ففي نظره أن لا أخلاق ولا مبادىء للمسلمين .

فسح هذا الصراع مجالا لمعارضي النظام العسكري من الكولون ، فوقف هؤلاء الى جانب لافيجري يناصرونه في موقفه من الأطفال ومن التبشير ، مكونين وإياه جبهة متحدة لمقاومة هذا النظام ، وقد برهنوا على ذلك حينما وقفوا معارضين تدريس القرآن بالزوايا[55] . واتهم الصحفي كليمان ديفرنوا ـ المتحدث بإسمهم ـ (الطلبة) بالتعصب والتحريض على الثورة .

ولم يكتف المعمرون بهذا فلاموا الإمبراطور نابوليون الثالث حينما أراد نشر اللغة العربية ، وأبدى إهتماما بالأعياد الدينية الإسلامية[56] ، وشجعوا الكاردينال لافيجري على الإحتفاظ بالأطفال اليتامى مؤكدين على «أن الإندماج الذي لا يصلح مع كبار السن المتعصبين ، سوف ينجح مع الأطفال الصغار[57] . وكان تمسك السكان بالديانة الإسلامية أمرا دعا الصحفي طومسون بجريدة الأخبار الى وصف

المبادىء القرآنية بالبربريـة فكتب يقول : «أن الجميع ليتفقون على أن مبادىء الـديـانـة المسيحيـة ـ بكل مـا يوجـد فيهـا من عيوب ـ هي أحسن من مبادىء القرآن البربرية اللاأخلاقية»[58] .

أحس الكاردينـال لافيجري بـالقـوة ، بفضـل إلتفـاف المعمرين حوله ، فزاد موقفـه تصلبـا وأمـام هـذا قرر الجنرال مـاكمهون مكاتبـة وزير الحربيـة المـاريشـال نييل يوم 23 أفريل ليضع حـدا للصراع ، فذكر للوزير الخطوط العريضة التي جاءت في رسالة الكاردينـال يوم 6 أفريـل ، ووصف لـه تخـوف السكان المسلمين في الجـزائر والعـالم الإسلامي[59] . ولكي يطمئن السكان اقترح مـاكمهون على الـوزير نشر تصريـح رسمي عن طريـق الصحـافـة يـدحض فيهـا أفكار لافيجري التبشيريـة[60] . غير أن المـاريشـال نييـل «الـذي كان أول مسـؤول عسكري ينـاصر لافيجري ويرد عنـه هجـوم المكاتب العربيـة»[61] ، لم يعمل بإقتراح الجنرال ، لأن موقفـه المؤيـد للتبشير منعـه من ذلـك . ويبـدو أن الكاردينـال استسخف قـول مـاكمهـون من تخـوف السكان وثورتهم ضـد التبشير فكتب الى الأمبراطور يقول : «لم يعـد للعرب قـوة ولا إمكانيـات للقيـام بـالثـورة»[62] ، وأدعى بـأن الإدارة العسكريـة تتهرب من مسؤولية المجاعـة والأمراض ، ولـذلـك استنـدت الى تخوف السكان منه[63] .

وإذا رجعنـا الى موقف الامبراطور نـابوليـون الثـالث من التبشير وجدنا بأنه أبدى تمسكه بمبدأ حرية العقيدة الـدينيـة ، ولعلـه كان لا يزال في هذا الوقت متأثرا بمشروع مبادىء المملكـة العربيـة التي أراد إنشاءها بالجزائر بتوجيه من إسماعيل عربـان ويظهر لنـا هـذا الموقف

جليا من رد الماريشال نييل على رسالة الجنرال ماكمهون السابقة بإسمه ، ومما جاء في هذا الرد : «أن تمسك الامبراطور بمبدأ التسامح الديني ، لم يطرأ عليه أي تغيير وللأهالي أن يبقوا معتنقين لديانتهم الإسلامية»[64] . وتحت تأثير ماكمهون بعث نابوليون خطابا شديد اللهجة الى الكاردينال لافيجري يذكره فيه بأن المسؤولية الملقاة عليه ، هي تهذيب أخلاق المائتي ألف معمر الموجودين بالجزائر ، ويأمره بترك شأن العرب للحاكم العام الذي يتولى تأديبهم وتنظيمهم[65] .

لقد رأى لافيجري بأن مسؤوليته تتعدى هذا النطاق ، بحيث ينبغي أن يحصل على الحرية التي كان يملكها بالمشرق العربي في كل من القاهرة وبيروت ودمشق والقسطنطينية ، حيث استطاع أن يقوم بخدماته التبشيرية بدون صعوبة . وتساءل كيف لا يسمح له بالقيام بالواجب الديني نحو العرب بحجة حرية العقيدة الدينية[66] . وإذا كان موقف الامبراطور موقفا غير مشجع للتبشير ، فإن هنالك من شجعه من كبار مسؤولي الدولة ففي الجزائر أعلن الجنرال ومفين عن تأييده للكاردينال للمرة الثانية حينما شجعه قائلا : «يجب عليكم أن تبذلوا كل مجهوداتكم للحفاظ على الملاجىء ، وتحسينها وتركها مفتوحة لكل اليتامى وهذه وسيلة عملية تمكن العرب من اعتناق ديننا»[67] . وفي باريس تلقى لافيجري مساندة وزير الشؤون الدينية السيد باروش الذي وقف الى جانبه ، مخالفا موقف الامبراطور ، وهذا رغم التقرير الذي وجهه اليه الجنرال ماكمهون حول أعمال لافيجري التبشيرية وأخطارها بالجزائر[68] . ويتضح تشجيع وزير

الشؤون الدينية للتبشير ، حينما أيد لافيجري في الحفاظ على اليتامى ، وفضل بقاءهم بالملاجىء ، على أن يعودوا الى قبائلهم ليصبحوا مسلمين[69] وعودة هؤلاء الى ذويهم - في نظر الوزير - تعني الرجوع الى التعصب الديني الذي يعمل على إبقاء الثورة وإيقادها من حين لآخر . ونفس هذا الموقف أبداه وزير الدولة السيد رووي حينما ناصر التبشير في الجزائر[70] . ويستنتج من هذا أن الكاردينال لم يكن وحده في هذه المعمعة ، بل كان الى جانبه جمهور من المعمرين بالجزائر ومن مسؤولين كبار بباريس .

ومن حقنا أن نبحث عن البواعث السياسية التي استند اليها كل من الجنرال ومبفن والوزيرين رووي وباروش في تأييدهم للكاردينال لافيجري . والحقيقة أن لهؤلاء الرجال إتجاها سياسيا واحدا ، يبرز في مناصبتهم العداء لتطور الامبراطورية الليبيرالية ، وقد ساندوا التبشير ليعربوا عن رضاهم للقوة المحافظة التي كانت تمثلها الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية آنذاك ، وأبدوا تفهمهم لوجهة النظر السياسية للجانب الديني بدلا من الجانب الليبيرالي لحملة الكاردينال لافيجري[71] . فالوزير رووي وأصدقاؤه الذين لم يكونوا يهتمون بإقرار حلف الحكومة مع رجال الدين ، حسبما كان معروفا خلال السنوات الأولى من الامبراطورية استطاعوا أن يجدوا فائدة في إرضاء الرأي الكاثوليكي في مجال يكاد يكون مجهولا ، وحيث لم يكونوا يجدون معارضة إلا من الجانب العسكري[72] .

ولكي يدافع الكاردينال لافيجري عن أعماله التبشيرية أمام الأمبراطور سافر يوم 9 ماي 1868 الىباريس ، وأثناء وجوده بهذه

المدينة ، قامت معظم صحف الجزائر الموالية للإستعمار بنشر مقالات تأييدا له ، واستطاعت هذه الحملة الصحفية أن تعجز الجنرال ماكمهون وتسكت الصحافة الرسمية بباريس[73] ، وقد شجعته كذلك رسائل المعمرين من الجزائر وقد جاء في إحداها : «لقد قمتم بالدفاع عن الإستعمار في الجزائر ضد المكاتب العربية ... إن القضية التي تدافعون عنها ، هي الحق والعدل والتقدم»[74] . وفي رسالة أخرى : «إننا نعتمد عليكم في الدفاع عن أمانينا أمام الامبراطور»[75] . ويبدو أن هذه التشجيعات قد بعثت فيه الفخفخة ، وجعلته يتأكد من إنتصاره على أعدائه»[76] .

تمكن الكاردينال من مقابلة الامبراطور الذي استقبله ببرودة[77] .وبعد إلحاح شديد[78] ، وأثناء المقابلة ذكره بالصعوبات التي يخلقها بالجزائر ، غير أن لافيجري نفى عن نفسه ذلك ، وأدعى أنه لا يعمل إلا بتوجيه الخطاب الامبراطوري بالجزائر عام 1860 وتطبيق مبادئه . ومن أبرز ما كان في هذا الخطاب ، نشر التعليم وسط العرب ، مع احترام ديانتهم وتحسين معيشتهم[79] . ويبدو أن لافيجري قد اتخذ من توجيهات نابوليون ذريعة ليبعد عنه إتهامات الجنرال ماكمهون ، وليبرهن للامبراطور من هذا الرد أيضا التناقض والتضارب في أقوال الكاردينال ، فمن المعروف أن الأهداف التي يرمي اليها هي تنصير المسلمين ، وقد أعلن عنها مرات عديدة من خلال تصريحاته ومقالاته المتعددة ، فمن المستحيل أن يقوم بالنشاط الخيري بإسم الديانة المسيحية وسط السكان ، دون التعرض أو المس بالديانة الإسلامية .

ولكي يضع الامبراطور حدا للصراع القائم بين ماكهون ولافيجري اقترح على هذا الأخير تعيينه على أسقفية مدينة ليون بفرنسا ، لكن الكاردينال رفض ذلك قائلا : «أن قبولي لهذا المنصب الجديد يعني الهروب من معركة بدأت القيام بها ، وهذا يعتبر مسا لشرفي»[80] . ثم صمم على العودة الى منصبه في الجزائر ، مهما كانت الظروف وأمام صعود الكاردينال ، وإلتفاف المعمرين حوله بالجزائر ، وأمام حملة الصحافة الحرة والكاثوليكية التي أيدت قضية التبشير ، وتأييد خمسين أسقفا بالمدن الفرنسية الكبرى لذلك[81] تراجع الامبراطور عن موقفه الأول ، فوعد الكاردينال بالسماح بممارسة الأعمال الخيرية وسط المسلمين بالجزائر ، سيكون هذا (بمثابة نشر الحضارة المسيحية في البلاد)[82] ، وحتى يطمئن بال الكاردينال نشر الماريشال نييل وزير الحربية تصريحا مطولا بالجريدة الرسمية يوم 28 ماي 1868 ، ومما جاء فيه هذه العبارات المؤيدة للتبشير في الجزائر : «تيقنوا سيدي الكاردينال ، بأن الحكومة لم تفكر أبدا في حصر حقوقكم كأسقف ، بل هي تترك لكم الحرية لتوسيع وتحسين ملاجئكم ، حيث تريدون تقديم الإعانات المسيحية للأرامل والعجزة والأطفال المشردين»[83] .

يعتبر هذا التصريح مكسبا كبيرا للكاردينال لافيجري ، وتدعيما رسميا جديدا للتبشير في الجزائر . فلأول مرة تتخذ السلطة الرسمية بباريس موقفا مؤيدا للتبشير بإسم الأعمال الخيرية المسيحية ، وهذا ما لم يحدث في عهد الأسقفيين السابقين كما رأينا ، ويمكن أن نعتبر هذا التصريح أيضا نصرا كبيرا أحرزته الصحافة الكاثوليكية[84] التي وقفت طيلة الصراع الى جانب لافيجري ، ومن أبرز من نشط هذه

الصحافة ، لويس فويو بمقالاته المتعددة ذات النزعة الصليبية في جريدة (العالم المسيحي) . وقد أعتبر فويو إنتصار الكاردينال لافيجري قوة للكنيسة بالجزائر[85] ، وكذلك الدوق دومنتلمار[86] الذي لم يخف إعجابه بالكاردينال حينما قال : «أن لافيجري محل إعجاب المسيحيين في كل البلاد الأروبية»[87] .

وتدعيما للتبشير وصفت جريدة لورور (الفجر) هذا الفوز بأنه فجر جديد على الجزائر[88] . أما جريدة (الديبا) المعروفة بمقالاتها التبشيرية فقالت : «استطاعت أن تكفكف دموعها الغزيرة بعد أن أسالتها مدة طويلة من أجل لافيجري[89] . وقد لاحظ أدمون روناد في كتابه (لافيجري) أن كل عداء ديني سياسي كان ينتهي دائما لمصلحة الدين وأعطى لذلك مثالا حين قال : «أن الصراع بين الدين والسياسة زمن الثورة وبعدها ، انتهى بالاتفاقية البابوية مع الاسبراطور نابوليون الأول»[90] . فالانتصار الذي أحرزه لافيجري أمر لا مفر منه ، لأنه يؤمن بحتمية إنتصار التبشير في الجزائر . وأبدى البابا بيوس التاسع إرتياحه من تصريح الماريشال نييل ، وأعتبر الذي حصل عليه لافيجري ، لم يكن لفائدة الدين فحسب ، وإنما لمصلحة فرنسا ، لأنه عمل كبير من أجل جلب القلوب الينا[91] . وقد كافأه البابا بيوس بتعيينه مندوبا للإرساليات التبشيرية في الصحراء يوم 2 أوت 1868 . ويفهم من هذا مدى الحرية الكبيرة التي حصل عليها لافيجري في ميدان التبشير . وسيكون هذا التعيين إنطلاقة كبرى للأعمال الخيرية المسيحية في الصحراء وإفريقيا .

لقد أعطت هذه التصريحات والقرارات قوة جديدة للكاردينال ،

فبدأ في إستغلالها بمراسلة الأسقف سوبيان مدير مدارس الشرق - سورية ولبنان - يصور له فيها صبره الطويل وإنتصاره الكبير. وقد نشرت هذه الرسالة في جريدة الأخبار[92] لإطلاع الرأي العام المسيحي في الجزائر على هذا النصر. فأحس الجنرال ماكمهون ذلك إهانة وإستفزازا له، لذلك كاتب الماريشال نييل يطلب منه توضيحات أدق لموقف الحكومة من أعمال الكاردينال، لكنه لم يتلق جوابا لرسالته[93]. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على تواطىء السلطة الرسمية بباريس مع الكاردينال وسكوتها على إستمرار النشاط التبشيري في الجزائر.

عاد الكاردينال لافيجري الى الجزائر يوم 7 سبتمبر 1868، بعد أن حصل على حرية التبشير من الامبراطور نابوليون، وضمان الحفاظ على الملاجىء، وبمقتضى ذلك تصرف في يتاماه كما يشاء، فقد أرسل بعضهم الى بعض المراكز الدينية بمدينة مرسيليا ليحصلوا على مهن، والبعض الآخر الى المدرسة الاكليركية بسان لوران بأقليم البريني بفرنسا. مدرسة القبة والحراش لتكوين اطارات دينية تخدم التبشير في المستقبل[94]. ومن تبقى من هؤلاء الأيتام وعددهم حوالي 378 صبيا و342 بنتا، شغلوا بال لافيجري ولا سيما مستقبلهم، وحتى لا تضيع جهوده التنصيرية سدى، وسط المحيط الذي يعيشون فيه، قرر لافيجري عزلهم عنه، وذلك بإنشاء قرى عربية مسيحية تكون - في نظره - بمثابة النواة الأولى للأسرة العربية المسيحية.

ولإتمام هذا العمل اشترى لافيجري في نوفمبر 1868 أراضي واسعة[95] بالعطاف بسهل الشلف وأسس بها قريتين فلاحيتين هما:

قرية القديس سبريان والقديس مونيك . وقد قال : «ستتكون في كل قرية عائلات مسيحية عن طريق التزويج بين اليتامى واليتيمات ، ونعطي لكل أسرة بقطعة أرض تستفيد منها هي وأبناؤها»[96] . ويمكن لنا أن نقول أن نية لافيجري بهذا العمل ترمي الى أمرين خطيرين هما :

1 - إستعمال (الأهالي) في نشر الأفكار المسيحية في النواحي البعيدة .

2 - البرهنة على أن الإندماج يمكن أن ينجح بعملية التنصير[97] ؟

وقد تمنى الجنرال ماكمهون من حجز الإعتمادات التي كانت تتضمن ميزانية الشؤون الدينية بالجزائر ، لكن لافيجري تمكن من أن يحصل على إعتمادات مالية من وزارة الشؤون الدينية ، بالرغم من معارضة ماكمهون ، ووزارة الشؤون المالية ، وأن يتلقى إعانات خاصة إضافية لرجال الدين الذين يشرفون على الأطفال اليتامى ، فكان مبلغ هذه الإعتمادات المالية لسنة 1869 75000 ف . وندرك من خلال هذه الإعانة المالية التي استمرت مدة طويلة[98] مدى التفاهم الذي كان بين الكاردينال لافيجري ، وبين السلطة الرسمية بباريس . وقامت الجمعية المدنية للملاجىء بتقديم إعانات لكل أسرة جديدة[99] ، اشتملت على أثاث للبيت لتمكين كل أسرة من القيام بأعمالها الفلاحية . ويستنتج من هذا أيضا الترابط بين إستغلال الأرض والتبشير ، وهذا ما اعتمد عليه كثيرا الكاردينال لافيجري في القريتين الفلاحيتين .

إن النفوذ الذي حصل عليه لافيجري بعد قرار وزير الحربية ،

سمح له بأن يوسع النشاط التبشيري الخيري ، ولكي يتمكن من ذلك ، لا بد له من مبشرين كثيرين يحققون هذا الهدف ، لذلك أنشأ في فيفري عام 1869 فرقة دينية جديدة هي فرقة الآباء البيض[100] ، دون أن يجد معارضة رسمية لذلك[101] . وهذه الفرقة الجديدة هي التي ستأخذ على عاتقها مهمة التبشير في الجزائر أولا ، ثم تونس والمغرب ثانيا ، وفي إفريقيا أخيرا .

ويبدو أن فكرة تنصير إفريقيا تعود الى الأيام الأولى من مجيء لافيجري الى الجزائر . ألم يعلن عنها حينما خاطب رجال الدين قائلا : «يجب أن نجعل من الأض الجزائرية ، مهدا للأمة الفرنسية المسيحية ، وينبغي أن ننشر حولنا الأوضاء الحقيقية للحضارة المستمدة من الأنجيل ، وأن نحملها الى الصحراء ، والى العالم الإفريقي الذي يعيش حاية بربرية ، ونعمل على ربط وسط إفريقيا بشمالها[102] . ويريد لافيجري بهذا القول بسط النفوذ الفرنسي في إفريقيا قبل أن تشرع فرنسا في ذلك عسكريا وسياسيا ، ولن يتم ذلك إلا بواسطة تحبيب فرنسا بإسم السيد المسيح . ويتضح من ذلك الثقة الوثيقة بين التبشير والإستعمار ، وما نجحت فرنسا في الدخول الى أجزاء إفريقيا إلا بفضل الآباء البيض الذين مهدوا لها طرق الإحتلال .

تأسيس فرقة الآباء البيض

كان أول من تطوع في هذه الفرقة الجديدة ثلاثة من رجال الدين بالمدرسة الاكليركية بالقبة وقد نصحهم بذلك الأب جيرارد من

فرقة اليسوعيين . وحتى تتمكن هذه الفرقة من القيام بعملها ، وجه لافيجري يوم 10 ماي 1869 نداء الى كل المدارس الاكليركية بفرنسا يحثها على الإنضمام الى هذه الفرقة ، وللوقوف أمام تقدم الإسلام المخيف منذ بداية هذا القرن ـ التاسع عشر ـ فالدين المحدمي الذي أبدى ضعفه بضعف سلاطين بني عثمان في أروبا ، أصبح يزحف على الممتلكات الفرنسية بإفريقيا ، ولذا وجبت مقاومته[103] .

لم ينس لافيجري مقام المرأة في الأسرة ، فوجه إهتمامه الى التأثير عليها ، فالمرأة ـ في نظره ـ مدار الحياة الإجتماعية والوصول اليها وصول الى الأسرة كلها ، ولهذا أنشأ في نفس السنة سبتمبر 1869 فرقة الأخوات البيض التي حملها مسؤولية التبشير في الوسط النسائي ، عن طريق التطبيب والتعليم والخدمات الخيرية . ويجدر بنا أن نذكر بأن لافيجري سلم مسؤولية القريتين المسيحيتين العربيتين لكل من الآباء والأخوات البيض .

أختلفت فرقة الآباء البيض عن الفرق التي كانت موجودة آنذاك في الجزائر في أشياء كثيرة ، ذلك أن لافيجري أدرك أن اللباس الديني المسيحي لرجال الدين قد يخلق هوة بينهم وبين السكان ، لذلك أشار على أعضاء الفرقة الجديدة أن يتقربوا من (الأهالي) بإتخاذ عاداتهم وطرق معيشتهم في لباسهم[104] ولغتهم[105] لكي يكون إحتكاكهم بالأهالي شديدا ، ومفيدا ، وصور لهم عظم المسؤولية قائلا : «أن رجال الدين قاموا بإصلاح الأراضي في فرنسا وتعميرها ، وتحضير وتنصير سكانها بعد ان اكتسحت هجومات البربار الأراضي الأروبية ، وهذا ما يجب عمله في أفريقيا ، بعد زحف الإسلام عليها»[106] .

لقد وضع لافيجري قواعد ثلاث لهذه الفرقة أصبحت تعتمد عليها فيما بعد وهي كما يلي :

1 ـ أن هدف هذه الفرقة من التسلح بالصبر لأن العمل شاق وطويل ، والعمل بالحذر لأنه ضروري لبلوغ أي هدف ، وإستعمال العمل الخيري ، لأنه الوسيلة الأساسية في التبشير .

2 ـ أن يكون شعار هذه الفرقة ، المحبة والتكتل ، لأن في ذلك قوة تعمل على الوصول الى الأهداف التبشيرية[107] .

لهذه الأسس انطلقت فرقة الآباء والأخوات البيض ، في العمل التبشيري ، ويمكن أن نعتبر تأسيسها ، انطلاقة كبيرة في الميدان التبشيري ، وذروة هامة بلغها التبشير في الجزائر ، بل وفي إفريقيا . فبفضل هذه الفرقة تمكن لافيجري من أن يركز نفوذه وذلك بتأسيس عدة مراكز تبشيرية في كل أنحاء البلاد ، كان أهمها تلك المراكز التي أسسها في منطقة القبائل الكبرى والصحراء .

عرفت الحركة التبشيرية انطلاقة كبرى بعد قدوم لافيجري الى الجزائر في أواخر 1866 . وقد ارتكز لافيجري أساسا على دعوى تنصير المسلمين لإقرار السلطة الفرنسية في الجزائر ، مستغلا في ذلك مأساة عام 1868 ، ليجعل منها المنطلق الأول . غير أن تخوف القوة العسكرية من عواقب التبشير وقفت ضده ، مما أدرى الى صراع بينه وبين الجنرال ماكمهون ، انتهى بإنتصار الكاردينال ، وكان هذا بعد تأييد الماريشال نييل وزير الحربية لمشروع الأعمال الخيرية التبشيرية . ويمكن أن نعتبر هذا الموقف من وزير الحربية تدعيما رسميا جديدا للتبشير في الجزائر ، وهو تدعيم جعل الكاردينال

لافيجري يسعى لتأسيس المراكز التي من أهمها تلك التي أسسها في بلاد القبائل .

هوامش

(1) Burget L'abbé: Histoire des désastres de l'Algérie 1866-1867. Alger 1869. P.

(2) جوليان ، ص 439

(3) Charles Robert Ageron La Politique Coloniale du Maghreb Paris 1972. P.74

(4) André Nouschi: Enquête sur le niveau de vie des Population Constantinoise, Paris 1954 P. 553

(5) أجروني ، ص 75

(6) برزى ، ض ، 76

(7) جوليان ، ص 439

(8) برزي ، ص 65 .

(9) أخفى العسكريون حقيقة الوضع حتى لا تعظم هذه المشكلة (عند السلطة بباريس) وحتى لا يستغلها دعاة النظام المدني لكسب مطامحهم بضرب النظام العسكري القائم .

(10) أجرون ، ص 74 .

(11) نفس المصدر ، ص73 .

(12) أ ، و ، ب ، ف 80 1680 .

(13) جوليان ، ص 400 .

(14) أجرون ، ص 74 .

(15) أجرون ، ص 74 .

(16) لقد قامت لجنة لوهون التي جاءت الى الجزائر لتدرس المجاعة ، واستجوبت بعض الجزائريين مثل حسن بن بريهمات رئيس المجلس الفقهي عن ولاية الجزائر ، والمكي بن باديس عن ولاية قسنطينة ، وأحمد ولد القاضي عن ولاية وهران ، وكل هؤلاء أرجعوا السبب في أزمة المجاعة الى ملوك المعمرين تجاه الجزائريين . ونظام الضرائب المطبقة على السكان الجزائريين ونظام الملكية غير العادل .

(17) يحيى بوعزيز (دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة 1871 ، الجزائر 1975 ، ص 82 ـ 83 .

(18) لافيجري شارل مارسيال ألمان (1825 ـ 1892) ولد في مدينة بايون بجنوب فرنسا ، تولى منصب رئاسة أسقفية الجزائر ، وأسس فرقة الآباء البيض التي حملت على عاتقها مهمة التبشير في شمال افريقيا ووسطها .

(19) جوليان ، ص 440 .

(20) عبد الجليل التميمي : «دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830 ـ 1881) المجلة التاريخية المغربية ، جانفي 1975 ، ص 14 .

(21) Xavier Demanclos: Lavigerie et Le Saint Siége; Page Paris 1965, P. 325

(22) الحبيب الجنحاني : «حركة التبشير والسياسة الإستعمارية الفرنسية في المغرب العربي فيالقرن التاسع عشر ، مجلة الأصالة ، سبتمبر ، أكتوبر 1973 ، ص 29 .

(23) غريسنمبير ، ج 1 ، ص 107 .

(24) نفس المصدر .

(25) Le Cardinal Lavigerie. Fondateur de La Société des Pères Blancs) Revue des Missions d'Afrique des Pères Blancs; N° 329. P. 324

(26) Félix Klein: Le Cardinal Lavigerie, Tour, 1897, P, 29

(27) غرسنمبير ، ج 2 ، ص 18 .

(28) أهتمت أسقفية وهران بهذه المشكلة ، فجمعت مائة وخمسين طفلا ، وأسقفية مدينة قسنطينة ثلاثمائة وواحد وعشرين مشردا لنفس الهدف .

(29) J. Tiquet: une Experience de petite colonisation en Algérie, Les colons Arabes chrétiens Du Cardinal Lavigerie, Alger, 1936. P. 23

(30) تيكي ، نفس المصدر ، ص 23 .

(31) نفس المصدر .

(32) Marcel Emérit: La Conversion des Musulmans d'Algérie. R.H. Janvier 1960, P, 150

(33) جريدة الأخبار ليوم 10 جويلية 1868 .

(34) جريدة بريد الجزائر تاريخ 13 ماي 1868 .

(35) غرينسميير ، ج1 ، ص 441 .

(36) L'abbé Baunard:
Vie Du Cardinal, Lavigerie. Paris 1894, Tome I, P. 208

(37) توقفت هذه المجلة بعد أربع سنوات من الظهور أي من سنة 1867 ـ 1871 .

(38) تم دفن هؤلاء الأطفال بمقبرة اليسوعيين بابن عكنون .

(39) تيكي ، ص 33 .

(40) أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .

(41) بونارد ، ج 1 ، ص 224 .

(42) أ ، و ، ب ، ف 1746 .

(43) نفس المصدر .

(44) جريدة الأخبار تاريخ 4 جوان 1868 .

(45) نفس المصدر .

(46) أ ، و ، ب ، ف 80 1736 .

(47) نفس المصدر .

(48) بونص ، ص 37 .

(49) نفس المصدر ، ص 306 .

(50) أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .

(51) اميريت «تنصير مسلمي الجزائر» ، ص 80 .

(52) بونارد ، ج 1 ، ص 80 .
(53) أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .
(54) رد الكاردينال لافيجري على ماكهون بتاريخ 23 أفريل 1868 عن أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .
(55) جريدة الأخبار بتاريخ 17 ماي 1868 .

(56) Jules Duval:
Réflexion sur La politique de l'Empereur en Algérie Paris, 1866, P. 38

(57) جريدة المرشد الجزائري بتاريخ أول ماي 1868 .
(58) الأخبار بتاريخ 26 ماي 1868 .
(59) أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .
(60) نفس المصدر .
(61) لقد وجد الماريشال نييل فرصة الإنتقام من الجنرال ماكهون ، وسبب ذلك يعود الى سنة 1855 حينما أسند الأمبراطور نابوليون الثالث رئاسة جيش حرب القرم لنييل ، لكن الأمبراطور عدل عنه بعد تدخل ماكهون لفائدة الماريشال بليسي ، وهذا ما جعل نييل يحقد على ماكهون بوقوفه الى جانب الكاردينال لافيجري .
(62) اميريت ، ص 75 .
(63) نفس المصدر .
(64) أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .
(65) بونارد ، ج 1 ، ص 252 .
(66) غريسنيير ، ج 1 ، ص 169 .
(67) بونارد ، ج 1 ، ص 253 .
(68) رسالة الجنرال ماكهون الى وزير الشؤون الدينية بتاريخ 18 ماي 1868 من أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .

(69) Géorges. Goyau: (Documents inédits sur le Conflit-Mac- Mahon Lavigerie) Revues d'histoire des Missions) Septembre, 1925, P, 45

(70) دومنكلو ، ص 368 .
(71) دومنكلو ، ص 368 .
(72) نفس المصدر .
(73) جوليان ، ص 440 .
(74) جريدة الأخبار تاريخ 31 ماي 1868 .
(75) بونارد ، ج 1 ، ص 259 .
(76) اميريت «تنصير مسلمي الجزائر» ، ص 76 .
(77) بونارد ، ج 1 ، ص 258 .
(78) يذكر بونادر في الجزء الأول من كتابه (حياة لافيجري) صفحة 255 أن نابوليون سافر الى مدينة بيارتز بالجنوب الفرنسي حتى لا يتمكن لافيجري من مقابلته فلحق به الكاردينال وتمت المقابلة معه في هذه المدينة والحقيقة أن هذا غير صحيح للأسباب التالية :
1 ـ لم تعلن الصحافة عن هذا السفر في شهر ماي ولا في شهر جوان .

2 ـ تؤكد كل جرائد باريس أن المقابلة تمت بقصر تولوري بباريس .
3 ـ نشرت جريدة الأخبار بتاريخ 212 أوت 1868 أن الامبراطور قابل لافيجري مرة واحدة بعد وصوله الى باريس ببضعة أيام .
(79) نفس المصدر ، ص 258 .
(80) نفس المصدر ، ص 259 .
(81) اميريت ، ص 77 .
(82) بونارد ، ج 1 ، ص 258 .
(83) أ ، و ، ب ، ف 80 1746 ، ونشر هذا التصريح بمختلف الجرائد بالجزائر .
(84) نذكر على سبيل المثال أشهر هذه الجرائد ، جريدة الديبا ـ جريدة العالم الكاثوليكي ـ مجلة لوكورسبندان ـ جريدة لاغازيت دو ميدي ـ جريدة لورور .
(85) Géorges Goyau: un Grand Missionnaire, Le Cardinal, Lavigerie Paris 1925, P, 97
(86) هو الكونت دومنتلمار عاش من 1810 الى 1870 ، كان رجلا سياسيا كبيرا ومحررا بجريدة المستقبل مع الأب لاموني ، اشتهر بدفاعه الشديد عن المسيحية الليبيرالية في فرنسا والعالم المسيحي .
(87) غرايو ، ص 97 .
(89) جريدة الأخبار بتاريخ 10 جوان 1868 .
(90) Edmont Renard: Lavigerie, Paris 1226, P. 244
(19) La Societe Des Missionnaires D'Afriqie Des Péres Blancs) Paris, 1924. P, 31
(92) الأخبار بتاريخ 4 جوان 1868 .
(93) اميريت (تنصير مسلمي الجزائر) ، ص 79 .
(94) بلغ عدد من ترهبن من هؤلاء اليتامى تسعة عشر راهبا سنة 1877 ، قرر لافيجري إرسالهم الى السودان لتنصيره .
(95) تبلغ مساحة هذه الاراضي 1331 هكتارا ، كانت ملكا للشيخ بن يحي آغا قبائل العطاف ، وأخيه الحاج خوجة ، احتجزت بعد أن أرهقا بالديون ، ووضعت أراضيها لتباع بالمزاد العلني من المحكمة المدنية بمدينة البليدة . هذه الاراضي على بعد 170 كلم غرب مدينة الجزائر ، و50 كلم غرب مليانة و30 كلم شرقي مدينة الأصنام .
(96) جمعية الآباء البيض المبشرين بإفريقيا ، ص 28 .
(96) Xavier, yacono, La Colonisation Des Plaomes Du Chelif Alger, 1955. P, 141
(98) كانت الميزانية الخاصة بالأطفال عام 1870 ، 000 213 ف ، وفي سنة 1871 ، 000 177 ف ، وفي نسة 1872 ، 745 169 ف ، وفي سنة 1873 ، 150 181 ف ، وفي سنة 1874 ، 000 90 ف .
(99) بلغ عدد الأسرات الجديدة سنة 1874 ستون أسرة .
(100) أطلق على هذه الفرقة لأول مرة جمعية مبشري القديس جيرونيمو . ويعتبر هذا القديس شهيدا في نظر المسيحيين فهو مسيحي عربي أسره العثمانيون في وهران في القرن السادس عشر ، وأعدموه عام 1569 لإعتناقه المسيحية ، اكتشفت بقاياه عام 1853 باب الوادي ، وأخذت الى الكاتدرائية بأمر من الأسقف بافي .
(101) Paul Lesourd: Les Péres Blancs Du Cardinal Lavigerie Paris 1925, P. 64
(102) Charles Lavigerie: Mandement De Prise De Possession; Alger, 5 mai 1867, P.

(103) بونارد ، ج 1 ، ص 393 .
(104) يتكون لباس الآباء البيض من جبة طويلة مصنوعة من الصوف أو القطن ، يوضع فوقها برنوس أبيض اللون ومن شاشية حمراء توضع على الرأس ، وتحاط الرقبة بمسبحة وردية بها صليب أبيض أو أسود وكثيرا ما كان الأب يترك لحيته طويلة ، وهذه الطريقة في اللباس جعلت أعضاء هذه الفرقة يحتكون بالسكان إحتكاكا شديدا ويتعرفون على طريق حياتهم .
(105) كان على الأب المبشر أن يتلقى تكوينا دينيا بمركز الحراش ، لمدة سنة كاملة يسمح له بتعلم اللغة العربية مع اللهجات المحلية التي تسهل لهم التبشير ، وبأخذ دروسا في الطب التطبيقي ليستفيد منه في أعمالهم الخيرية .
(106) بونارد ، ج 1 ،ص 288 .
(107) غريسنيير ، ج 1 ، ص 316 .

الفصل الخامس

التبشير في منطقة القبائل

أسطورة : «القبائل المسيحية» :

إن من خصائص الإستعمار ، فرق تسد ، وقد اشتهرت بهذه السياسة الدولة الرومانية في العصور القديمة ، وسلك نهجها الإستعمار في مختلف العصور ، ولا سيما في القرن التاسع عشر عصر الإستعمار الحديث . وكانت هذه السياسة إحدى الخطط التي اعتمدت عليها فرنسا في الجزائر ، لتوطيد دعائمها طيلة الإحتلال ، وذلك بمحاولتها خلق النزعات الأقليمية ، وتشجيع الروح القبلية .

ولكي تطبق فرنسا هذه السياسة في الجزائر ، اعتمدت على الكتابات التاريخية والسياسية والإجتماعية لبلاد الجزائر ومناطقها العديدة ، وهي الكتابات التي كتبها بعض العسكريين وغيرهم بدافع السيطرة والإحتلال ، وخدمة الأغراض السياسية والدينية للوجود الفرنسي بالجزائر . ولعل أبرز هذه الدراسات تلك التي تناولت تاريخ إفريقيا في العصور القديمة ، وأشادت بالعصر الروماني

المسيحي ، وصورت الفتوحات الإسلامية على أنها فرضت على البربر الإسلام بالإكراه والسيف ، وقطعت صلة البلاد مع الحضارة الغربية والكنيسة ، وقد حاولت هذه الدارسات ربط ماضي شمال إفريقيا المسيحي بالحضارة الغربية التي عادت بالوجود الفرنسي بالجزائر ، وكان القصد منها هو إظهار إمتداد المدنية اللاتينية بالمغرب العربي ، مؤكدة بأن هذه البلاد قد طبعت منذ العهد الروماني بالطابع المسيحي .

ومن الدراسات الأخرى تلك التي تناولت السكان أتنوغرافيا[1] . فما أن استقر المعمر في الجزائر ، حتى بدأت الادارة الفرنسية تحاول بجميع الوسائل أن تتعرف على فئات (الأهالي) ، وأن تعلم ما هي المقاييس والحاجيات الموجودة لديهم . وكان الغرض من ذلك مجابهة رد فعلهم أولا ، وتطبيق سياسة فرق تسد ثانيا . وهكذا شهدت الجزائر عشرات من ضباط الشؤون الأهلية ، والرحالين والمبشرين الذين اختصوا في دراسة عادات وتقاليد وأنماط المعيشة عند السكان بمختلف مناطقهم ، وسعى هؤلاء الى تقسيم السكان الى بربر أو السكان القدامى ، وعرب وهم الذين وصفتهم كتابات أولئك (الباحثين) بأنهم دخلاء غزاة . وعلى ضوء ذلك ظهرت دراسات إجتماعية وسياسية ودينية ، الهدف منها بث الروح الأقليمية وزرع الشقاق بين السكان .

ومن أهم الدراسات التي قام بها عدد كبير من العسكريين ، تلك التي اهتمت بحياة سكان بلاد القبائل إجتماعيا وتاريخيا ودينيا . وقد حاولوا من خلالها سلخ هؤلاء السكان عن باقي المجتمع الجزائري ، بل

المجتمع العربي الإسلامي بصفة عامة . ويجدر بنا أن نذكر بأنها وبحسب إتجاهاتها ، كانت تستهدف خلق النعرات بإظهارها كيان بلاد القبائل كيانا منفصلا عن باقي السكان ، حتى تخلق طائفة تتمكن السلطة الفرنسية من تسخيرها لأغراضها السياسية في الجزائر عن طريق إدماجها في المجتمع الفرنسي . ونستنتج من خلال الدراسات المتعددة ، أنه كان للسلطة الفرنسية سياسة خاصة حاولت أن تنتهجها في بلاد القبائل[2] طيلة عهد الإحتلال .

وللوصول الى ذلك ، أطلقت صفات خاصة على سكان هذه المنطقة ، كالتسامح الديني وحب العمل ، والتفتح الفكري ، وهي صفات تقربهم من الفرنسيين ـ في نظرهم ـ وتجعلهم يتفوقون على باقي السكان ـ العرب ـ الذين وصفوا بالتأخر والكسل ولتعصب الديني . ونحن إذ نعتمد على هذه الدراسات لمختلف العسكريين وغيرهم ـ نحاول أن نبين بأنها كانت قاعدة أساسية ، ارتكز عليها المبشرون فيما بعد ، وأنطلقوا منها للتنصير في هذا الأقليم . وقد تضافرت هذه الجهود كلها بإلتقاء جهود المبشرين ودعاة الكيان القبائلي لمحاولة خلق مجتمع مسيحي جديد يخدم المصالح الفرنسية في الجزائر .

نستطيع أن نقسم إهتمامات العسكريين وغيرهم ببلاد القبائل الى مرحلتين : المرحلة الأولى وتبدأ ما قبل عام 1858 ، وهي السنة التي تم احتلالها رسميا بقيادة الجنرال راندون الى سنة 1860 ، والمرحلة الثانية وتبدأ من سنة 1860 الى 1870 ويمكن تصنيف هؤلاء كما يلي :

1 ـ العسكريون .

2 ـ رجال الدين .

3 ـ السياسيون .

وقد كان الجنرال دوماس ، أحد العسكريين الذين أهتموا بعادات وتقاليد سكان بلاد القبائل[3] ، إذ ذكر أنهم كانوا لا يزالون يحتفظون بقوانين قدمية لا تتفق مع تعاليم القرآن الكريم ، ورأى بأنهم يميلون الى أفكار الفرنسيين قائلا : «كلما حفرنا هذا الجذع القديم ، وجدنا تحت القشرة الإسلامية الأصول المسيحية ، وبهذا نصل الى أن سكان القبائل جرمانيو الأصل ، عرفوا المسيحية قديما ، وقد قبلوا القرآن ولكنهم لم يعملوا به»[4] .

2 ـ كان الأب دوقا من رجال الدين الذين عكفوا على دراسة هذه المنطقة من الجزائر . فقد اعتقد بأن الديانة المسيحية ستعمل على فرنسة القبائل ، وذلك عن طريق التعليم الديني ، ولكي يحقق مطمح الداعين الى تنصير القبائل ، استشهد ببعض الآثار التي يقول عنها أنها بقايا مسيحية[5] منها الوشام ذو الشكل الصليبي الذي يوجد على جبهات النساء وأيديهن وعلى مداخل البيوت . ومن الآثار أيضا وجود قرية قرب جمع الصهريج تسمى (أمصلوب) أي المسيح يعتقد دوقا أن سكانها لا يزالون يحتفظون بالديانة المسيحية[6] .

يبدو أن هذه الإستشهادات لا أساس لها في نظري ، فالوشام تستعمله نساء مختلف القرى الجزائرية للزينة دون قصد أو غرض ديني ، وما هي إلا شكل من الأشكال الهندسية التي تزين بها زرابي سجادات أغلب أنحاء الجزائر . فهذه الأقوال وضعت لخدمة أهداف

تبشيرية خاصة بهذه المنطقة بعد الإحتلال[7] . ومن جهة أخرى فإن الوشام غير خاص بالجزائر ، فهو موجود بالمشرق أيضا ، ثم إذا كان رمزا دينيا عند الأب دوقا ، فلماذا لم يستعمله المسيحيون الأروبيون أنفسهم ؟

3 ـ ومن السياسيين الذين نادوا بتنصير القبائل الدكتور وارنيي[8] الذي شك في إسلامهم فقال : «... وربما هم مسلمون ، ولكنهم يحملون وشاما على شكل صليب فوق الجبهة وعلى الوجنتين ... وبربر جرجرة يبدون إستعدادا حسنا للرجوع الى المسيحية»[9] . وقد أبدى حماسا في تنصير القبائل ، ولكي نبرهن على ذلك ، نذكر أن هنالك مراسلة جرت بينه وبين الأسقف بافي في 21 أوت 1865 يقول فيها وارنيي : «سكيون من المهم أن تستصوب تقديراتي حول البربر وذلك بتنصيرهم . فعندما نرى الأعلاج[10] يحاربون عملنا يستحسن أن يبين لفرنسا المسيحية بأن مستقبل الجزائر ليس للعرب ولا للإسلام»[11] .

وبما أن الأسقف بافي كان من الداعين لتنصير القبائل ، إرتاح لموقف وارنيي . ويتضح ذلك من خلال رده له بتاريخ 26 أوت من نفس السنة قائلا : «لتتركنا الحكومة أحرارا في أعمالنا ، ولتظهر للمنصرين إرتياحا في النفس والقلب»[12] . ويذكر بافي أنه إن حصل على الحرية ، سيعمل على تنصير القبائل ليضيف شعلة قوية للمستعمرة[13] . وقد جرت هذه المراسلة بينهما في سرية تامة حتى لا تقلق بال العسكريين ، ذلك لأن وارنيي ألح عليه أن يحتفظ بالصمت على هذه المكاتبة[14] . وإن دل على شيء ، فإنما يدل على تواطؤ رجال الدين وبعض المسؤولين الحكوميين على خدمة التبشير في

النشاط التبشيري لليسوعيين (الأب كروزا)

إذا كانت مرحلة الإهتمام ببلاد القبائل فيما بين سنوات ما قبل 1858 ـ 1860 مرحلة تمهيد للتبشير ـ وهذا عن طريق محاولة اثبات المسيحية قديما بالمنطقة ـ فإن مرحلة ما بين سنوات 1860 ـ 1870 مرحلة عملية أصبح فيها التبشير حقيقة ملموسة . فبإلحاح منه (أي بافي) تم إرسال الأب اليسوعي كروزا الى بلاد القبائل سنة 1863 ، ككاهن بكنيسة صغيرة بحصن نابوليون بقصد تنصير سكانها ، ولعل الأسقف بافي كان يريد أن يجعل من وهم القبائل المسيحية حقيقة ملموسة . إن الأب اليسوعي كان أول رجل دين يقوم بنشاط خيري تبشيري ببلاد القبائل . وقد بدأ نشاطه هذا بمدينة معسكر وأجرى إتصالات مع شيوخ الزوايا ، عاقدا معهم جلسات دينية قصد إيصال الأنجيل اليهم . وقد كان يجيد اللغة العربية ، وبعد أن حل ببلاد القبائل تعلم اللهجة القبائلية ، وتعرف على عادات السكان لكي يسهل عليه التغلغل في وسطهم .

لقد كان هذا الأب يعتقد أن سكان القبائل الذين كانوا مسيحيين قديما سيكونون أقل تعصبا من (العرب) بإستعدادهم لإعتناق المسيحية من جديد ، فأخذ يجلب اليه السكان بتوزيع الملابس والسكر والقهوة[15] ويقدم لهم الإرشادات الدينية ، وأضاف الى هذه الأعمال الخيرية فتح مدرسة كانت بمثابة ملجأ للأيتام جمع فيه حوالي عشرين طفلا . ويبدو من رواية الأب دوقا أن كروزا حصل على إعجاب السكان بإقبالهم على صدقاته ، ولا سيما أعماله الطبية التي كانت

منتشرة بمختلف القرى ، إبتــداء من بني يني الى آيت جنــاد حتى أن أحدهم فكر في التعميد قبل أن يقر بذنوبه ، فقيل له بالإنتظـار لأن الوقت لم يحن بعد[16] .

ومـا شجع الأب كروزا على العمـل هـو الحفـل الـذي أقـامـه الماريشال بليسي بمناسبة وضع الصليب على مركزه ، فقد أطلقت فيه واحد وعشرون طلقة مدفعية وقـد كانت هـذه العمليـة مصـدر تخوف البعض من إزعاج ومس العواطف الدينية للسكان ، لكن الماريشال لم يبال بذلك قائلا : «أن القبائل صفقوا معن في هذا الحفل»[17] .

بعد أن مهد الأب كروزا للأهداف التبشيريـة بـالأعمـال الخيريـة أخذ يحدث السكان عن الـديـانـة المسيحيـة ، ويبـدو أن هؤلاء أرادوا إستغلالـه ، فقـد كانوا يستمعون اليـه بـإهتمام ، وقـد ركز جهـوده على قرية بني فراح ، لإعتقاده أنه نجح في جلب سكانها . وقد جـاء اليهـا ذات يوم ليلقي دروسه الدينية ، فأراد سكانها أن يجعلوا حدا لذلك ، فوضعوا أوساخا على المقعد الحجري الذي كان يجلس عليه دائما وغطوا ذلك بـأوراق أشجـار ، فجلس الأب ولما نهض وجـد ثيـابـه ملطخـة بالأوساخ ، الأمر الذي أثار ضحك وسخريـة الحـاضرين . ويفهم من تأثير الكولونيل مـارتـان[18] لهـذه الحـادثـة العطف الـذي كان يكنـه للأب كروزا ، بحيث قرر عقاب (المجرمين) لكن الأب عارضه ، ظانـا بأن هذا العمل كان من بعض المغامرين[19] .

ويظهر أن هذه الحادثة لم تفشل الأب كروزا ، فقد آل على نفس مواصلـة العمل التبشيري ، معتقـدا بـأن المعـارضـة لم تكن سـوى من مجموعـة من السكان ، ولكي يرد أمين قريـة بني فراح الحــاج لـونيس

نـايت على عمر على إدعـاءات كروزا ، جمـع سكان القريـة بمحضر الكولونيـل مـارتـان ، وكان أعيـان هـذه القريـة ، وخـاطب السكان قائلا : «هل ترغبون إعتناق الديـانـة المسيحيـة ؟ وهل تسمحون لهـذا الأب البقـاء بينكم ؟ فسكت الحـاضرون ، وبكت عيونهم كثيرا ، حتى أن أحدا منهم لم يستطع الإجابة وبعدئذ أجابوا بكلمة واحدة قاطعة ، أنا لن نترك أبدا ، وأن أجبرتنا السلطة على ذلك ، فإننا نطلب منهـا أن ترشـدنـا الى طريق لمغـادرة البلاد ، وإذا لم نجـد لـذلـك سبيـلا ، فضلنـا الموت بـدلا من إعتنـاق المسيحيـة . أمـا بشـأن أن يقيم بيننـا راهب فالله يحفظنـا من قبول ذلـك ، اللهم إلا إذا أجبرتنـا الحكومـة عليه ، وفي هذه الحالة لن نقيم نحن معه أبدا»[20] . وأمـام هـذا الموقف اضطر الأب كروزا الى الإنسحـاب الى قريـة بني يني البعيـدة ، ليستـأنف العمـل بهـا . وهكـذا قرر إنشـاء مركـز ديني فيهـا للقيـام بالأعمال الطبية دون إستشارة السلطة العسكريـة ، الأمر الـذي جعل الضابط الأعلى لهذه القرية يستدعي شيخها ، وقـد علم بواسطـة هـذا الشيـخ ، أن إجتماعـا ضم كل سكان القريـة ، وفيـه أعلن هـؤلاء عن رفضهم لأعمـال كروزا ، وقـد حـذر شيخ هـذه القريـة الضـابـط من العـواقب وقـال : «أن البـلاد لن تعرف هـدوءا إذا جـاءهـا رجـال الدين»[21] .

ويبـدو كما أوضحنـا أن مـوقف السكان من التبشير ، قـد أزعـج بعض العسكريين ، وكان يكفي أن تشتم إحدى الراهبات فيجر ذلـك السلطـة العسكريـة للقيـام برد الفعـل ، ومن الممكن أن تنهض بـلاد القبائل للدفاع عن الديانة الإسلامية فتجر معها كل المنـاطق الأخرى

للقيام بالثورة[22] . إن نشاط كروزا كان مصدر قلق نائب الوالي العام البارون دوريو ـ أثناء وجود ماكمهون بباريس ـ مما جعله يكاتب الجنرال هانوتو ضابط المكتب العربي بذراع الميزان ، ليطلب منه تذكير أمناء القرى بأن الحكومة الفرنسية بعيدة عن كل السماعي التبشيرية التي يقوم بها الأب كروزا[23] .

لقد كان هانوتو من أشد معارضي التبشير في بلاد القبائل للأخطار التي تترتب عليه[24] . فالفشل الذي مني به كروزا ، بالرغم من المدة الطويلة التي قضاها في النشاط التبشيري ، قد جعل هذا الكولونيل يسخر من أعماله غير الهادفة ، وفي نظره أن كروزا بالغ في تصرفاته وأساء فهم مهمته ، وذلك بالتبشير العلني وسط مجموعة من النساء كان يترددن على مركزه للمعالجة ، الأمر الذي جعل ستة منهن يغادرنّه في اليوم ، لوما عدن الى قراهن أخبرن سكانها بأن الأب كروزا أراد تنصيرهن[25] . وقد صرح هانوتو أكثر من مرة أن التبشير سيجد حاجزا لا يمكن إجتيازه ، وهو يتمثل في التضامن الذي يربط الفرد بالعائلة ، وبالخروبة وبالقرية[26] . ففي نظره أن التنظيم العائلي والإجتماعي لهؤلاء السكان لن يسمح لهم بالتنصير . وقد حاول أن يقنع كروزا بعدم جدوى هذا النشاط ، لكن الأب صمم على العمل ، لم يكن يخشى في أن يموت شهيدا في سبيل نشر رسالته ، فما كان من أمر الكولونيل إلا أن قال له : «أن ذلك ممكن ، ولكن عليكم أبتي بالبحث عن مكان آخر بعيدا عن مقاطعتي»[27] .

أمام هذا الموقف المتصلب أسرع هانوتو بمكاتبة الجنرال ومبفن قائد القطاع العسكري لمدينة الجزائر في 10 ديسمبر 1868[28] ، مذكرا

إياه بأنه «سيكون للدعاية الدينية نتيجة واحدة ، هي تزويد كل من أراد أن يستأنف الحرب ، بمحرك يدفعه الى القيام بها»[29] . وكاتب أيضا وفي نفس المدة الجنرال ماكمهون يذكر له بأن كروزا يسير نحو هدف وهمي[30]. ويبدو أن كلا من ماكمهون وهانوو كانا يخشيان عواقب الدعاية الدينية وسط السكان ، وهذا في وقت كانت الحكومة فيه تسعى الى جذب السكان عن طريق تعليم أطفالهم بالمدارس[31] .

أعلن الكولونيل هانوتو بأنه لم يسجل أي تنصير بالرغم من الجهود التي بذلها كروزا مدة خمس سنوات ، والسبب في هذا الفشل - في نظري - يعود الى معارضة السكان الشديدة للتبشير . أما في نظر الكاردينال لافيجري فيرجع الى النقص في روح التضحية للأب كروزا أولا ، وللموقف المعارض للتبشير من المكاتب العربية ثانيا . ويبدو أن هذا الفشل كان أحد العوامل التي جعلت الكاردينال يبحث عن الوسائل الناجعة للتبشير ، ودفعته للإهتمام الشديد في تنصير هذه المنطقة .

كانت بلاد القبائل أهم المناطق التي ركز عليها لافيجري جهوده التبشيرية وكانت قد غذته في ذلك كتابات العسكريين السابقة . وكان إختياره لها يعود لسببين هامين هما :

1 - كثافة سكانها وتجمعهم في منطقة واحدة .

2 - عزلة هذه المنطقة (جرجرة) وبعدها عن المدن الأروبية .

فأعتقد أنه من الممكن تنصيرها ، لأن لسكانها في نظره جذورا مسيحية لم تجد من يعيدها الى أصلها ، وفي نظره أيضا أن هؤلاء السكان عرفوا بفتور إسلامهم ، وإيمانهم الضعيف للمبادىء والتعاليم

الإسلامية وادعى «بأنهم ما كانوا ليعرفوا القرآن أبدا لو لم تقم فرنسا بتعليمه إياهم[32] ، وعلى حد تعبير الجنرال ماكمهون (لو حصل ذلك ، لكان من قبيل تجاهل الحقيقة وتناسي هذه المدارس القرآنية الموجودة في عدد من قرى القبائل ، والزوايا الكبيرة الكائنة بها[33] .

كلف الكاردينال لافيجري الأب كروزا بمواصلة جولاته الخيرية التبشيرية بالرغم من العواقب التي حذره منها الكولونيل هانوتو[34] والإنذار الذي وجهه له الجنرال ماكمهون والذي جاء فيه : «أن النشاط التبشيري سيعمل على إيجاد ثلمة في الجدار القائم بين الكنيسة والسكان المسلمين»[35] . وقد أدت معارضة ماكمهون لهذا النشاط الى قيام لافيجري بحملة ضد النظام العسكري ، ومكاتبه العسكرية . ففي الإحتفال الذي خصص لتدشين إستعمال المحراث البخاري يوم 13 ديسمبر 1867 بالحراش ، تناول الكاردينال الكلمة أمام كبار المسؤولين بالجزائر ، وأعلن عن رغبته قائلا : «أطلب من فرنسا - ولأجل الجزائر - حريات أوسع ، لأنها ضرورية في هذا البلد الجديد ، وأريد بذلك الحريات المدنية والدينية والفلاحية والتجارية ، وأعتقد أننا في حاجة أكيدة اليها[36] ؟. وبهذا الخطاب غير المتوقع ، فتح لافيجري حملته العامة التي انتقد فيها النظام السياسي للمستعمرة ، وطالب بفتح باب التبشير الذي طالما عارضه حكام باريس .

ولكي يسكت معارضيه قرر لافيجري السفر في الشهر المذكور الى باريس ليتقابل مع الامبراطور نابوليون الثالث ، وليستأذنه في فتح أربعة أو خمسة مراكز ببلاد القبائل ، الهدف منها القيام بأعمال خيرية بين السكان ، يستحمل بنفسه دفع مصاريفها من حسابه

الخاص ، وتمنع الدعاية الدينية المباشرة ولن تفتح هذه المراكز إلا حيث تطلبها السلطة المحلية[37] . ويبدو أن الامبراطور قد أبدى تحفظه من هذا المطلب ، ولذلك طلب منه أن يناقش ذلك مع الوالي العام ماكمهون ولكن موقف هذا من التبشير معروف ، فقد بيّن له بأن أنجع وسيلة لجلب السكان ، هي فتح المدارس العامة لأطفالهم ، وهذا أفضل بكثير من ضرب ديانتهم[38] . ولهذا الغرض أصدر تعليماته الى كل الضباط يأمرهم بإنشاء مدارس لإستقبال المسلمين على السواء .

غير أن المجلس البلدي لمدينة الجزائر الذي نال عطف لافيجري أساء فهم هذا المنشور ، وظن بأنه يستهدف إلغاء المراكز التعليمية التي يشرف عليها رجال الدين ، وقد أدى هذا الى وقف هذا المجلس الى أن يكتب لافيجري منشورا سريا الى رجال الدين بالجزائر يشن فيه حملة قوية ضد الجنرال ماكمهون ، والمكاتب العربية ويعلن فيه رغبة القبائل في استقبال المبشرين[39] . وكان في الوقت الذي ساءت علاقتها لتمسك لافيجري بضحايا المجاعة ، وهكذا نشر في جريدة الأخبار بتاريخ 31 ماي 1868 ، رسالة مفادها أن جماعة حصن نابوليون (عين الحمام) كاتبته وهي ترغب في قدوم المبشرين اليها[40] . وهذا الأمر قد أدهش الكولونيل هانوتو عند إطلاعه على هذا الخبر ، وتعجب من لافيجري الذي لم يقرأ حسابا للعواقب الوخيمة التي تترتب على ذلك[41] .

وحتى يبرهن هانوتو للكاردينال عدم جدوى الدعاية الدينية ، سمح للأب ستيف ـ الذي خلف كروزا ـ والأب جانين ، والأب

دوفالكون بزيارة قرية تاله نتزارت ببني بودراع ، وكانت لأمينها علاقة حسنة بكروزا ، ويبدو أنه وعده بقبوله فتح بعض المراكز الخيرية[42] . ولهذا تشجع هؤلاء الآباء على معرفة آراء السكان حول النشاط الخيري مبيّنين لهم الفوائد التي يحصلون عليها عند مراكز المبشرين من أعمال طبية وغيرها . وقد توقع المبشرون الثلاثة الحصول على رضى السكان ، لكنهم فوجئوا بالرفض القاطع . وأمام هذا الموقف قام الأب جانين يعاتب أمين القرية ، ويذكره بوعوده للأب كروزا ، فكان رده أنه لم يأخذ بعين الإعتبار ولا الجدية مقترحات كروزا ، وليست له قدرة على إجبار قريته في قبول المبشرين[43] . وإذا كان أمين هذه قد أدرك عواقب الأمور فأن أمين قرية بني منقلات كان عكس ذلك . ففي يوم 12 جوان 1868 ، أبدى حوالي عشرة آلاف من سكان هذه القرية قلقهم وسخطهم له ، وبلغ بهم الأمر الى أن هموا بقذف هذا الأمين بالحجارة لمكاتبته اليسوعيين قصد إستقبالهم[44] .

ونذكر أن إبن علي الشريف باشاغا شلاطة قد أبدى قلقه من هذه المحاولات التنصيرية ، ويظهر ذلك عندما صرح للجنرال ماكمهون بأنه لن يكون مسيحيا ، ولا يعرف إذا كان أبناؤه وأبناء أبنائه سيكونون في يوم من الأيام مسيحيين[45] .

وبالرغم من هذه المعارضة الشديدة التي أبداها السكان ، وكل العواقب التي صورها العسكريون لكل محاولة تبشيرية ، فإن لافيجري بقي متماديا في أعماله . فقد حاولت رئيسة فرقة أخوات العقيدة المسيحية بميشلي (عين الحمام) أخذ الطفلة عيشوشة من أمها

ـ وهذا بالرغم من معارضة أهلها ـ والإتيان بها الى ملجأ مدينة الجزائر . ورغم أن الحادثة لم تكن هامة في حد ذاتها ، فإنها قد أثارت قلق السكان ، وجعلتهم يشعرون أنهم ليسوا أحرارا في ممارسة ديانتهم[46] . والشيء الذي يمكن أن يستخلص من هذه المحاولات التبشيرية في بلاد القبائل هو فشلها للأسباب الآتية :

1 ـ موقف السكان المعارض لكل محاولة تبشيرية ، لتمسكهم بالدين الإسلامي .

2 ـ الصراع الذي حدث بين لافيجري وبين الجنرال ماكمهون[47] ، وكان له إنعكاسه على النشاط التبشيري ببلاد القبائل لإنشغال لافيجري به .

3 ـ تركيز جهود المبشرين على إنقاذ الأطفال اليتامى ، وإهتمامهم بإنشاء القرى العربية المسيحية بسهل الشلف .

4 ـ معارضة الكولونيل هانوتو لكل محاولة تبشيرية ، مخافة إنتفاضة السكان .

5 ـ قيام الحرب الفرنسية الألمانية سنة 1871[48] وإنشغال الفرنسيين بأحداثها .

ثورة الطريقة الرحمانية والتبشير :

من المعروف أن هنالك حوادث وقعت بعد هذه الحرب (الفرنسية الألمانية) من بينها حركة منهاضة للدين تسربت فيما بعد الى الجزائر . ومن أهم مظاهرها قيام المجلس البلدي بمدينة الجزائر[49] الذي أعلن عن غلق المدارس الدينية إبتداء من أول جانفي 1871 ،

لأنه لم يعد في حاجة اليها[50] . وأخطر عمل قام به هو قراره بإيقاف الإعانات المالية المخصصة لجميع الديانات بالجزائر ، وكان المعارض الوحيد فيما يبدو هو السيد أحمد بوقندورة [51] . الذي كان عضوا بالمجلس ، فقد ذكر الحاضرون بأنه لم تكن للديانة الإسلامية إعانة من البلدية ، فمصاريفها كانت عن طريق مداخيل الأوقاف التي حجزتها الدولة[52] . وإذا كانت نوايا المجلس حسنة في قراره الأول لنفي الراهبات بحجة التبشير الديني وسوء عواقبه على السكان[53] ، فإنها بالنسبة للسيد بوقندورة سيئة ، لأنه أعتبر القرار الثاني أمرا يهدد أعز شيء للسكان ألا وهو الدين ، لكن لم تكن لملاحظاته هذه أذن صاغية[54] .

لقد رأى المسلمون تساهل وسكوت بعض العسكريين ، والسلطة بباريس على تصرفات المبشرين في التنصير ، وإستخلصوا من تصرف المجلس البلدي ، وهو يبين مقاومة عنيفة لرجال الدين المسيحي ، الخطر الذي يهدد ديانتهم أيضا . ويمكن أن نذكر بأن هذا كان أحد الأسباب الرئيسية لثورة المقراني في بلاد القبائل ، وعلى حد تعبير لامي فإن موقف المجلس البلدي من الدين المسيحي هو الذي مس الديانة الإسلامية[55] . ويبدو أن هذا كان أحد العوامل التي دفعت السكان الى الإلتفاف حول الطريقة الرحمانية ليعبروا مرة أخرى عن رفضهم لهذه التصرفات التبشيرية من المجلس ، وإبداء تخوفهم من التبشير بصفة عامة .

أن ثورة 1871 التي انطلقت من منطقة هي أبعد ما تكون عن الكوارث الطبيعية لعام 1868 لدليل على أن رد فعل سكانها ، لم

يكن بسبب إقتصادي ، وإنما كان أساسا للتصرفات التبشيرية التي هددت ديانتهم . ورغم أن رسائل المقراني وبومزراق ، وقادة الأخوان التي عثر عليها لا تشير الى قضية التنصير في حد ذاتها بصراحة ، فإن الذي يظهر من ضمن الوسائل التي استعملوها لإستنفار الناس وتحفيزهم على الثورة ، وحمل السلاح هو آثار سياسة التنصير[56] ، ففي رسالة الباشاغا الى الشيخ إبن كابه وكبراء قرية بوجليل ببني عباس قال بعد التحية : «وبعد أن تتوكلوا على الله ورسوله ، تقدموا الى الجهاد لنصرة دينهم عزما»[57] . فلا غرابة أن تكون سياسة التنصير عاملا في دفع الجزائريين الى الثورة .

لقد اتخذت هذه الثورة طابعا دينيا وطنيا »تصارع فيها أبناء لو يولا مع أبناء عبد الرحمن بوقبرين أو الأخوان ضد الآباء»[58] ؟. وكذبت دعاة مسيحية القبائل وفندت بالآراء التي تزعم بأن هؤلاء أقرب الى الإندماج من بقية السكان الآخرين ، غير أن الأمر عكس ذلك بالنسب للكاردينال لافيجري الذي رأى أن أسباب الثورة تعود الى السياسة الفرنسية بالجزائر التي وضعت القرآن في مرتبة أعلى من الأنجيل ، وترجع أيضا في نظره الى مواقف الذين أسسوا مدارس إسلامية بأموال فرنسية ، ومنعوا رجال الدين من نشر الأنجيل والأخوات ، فزادوا بذلك من تعصب السكان ، الى أن أنفجر فأحرق القرى وقتل السكان[59] .

عملت ثورة الطريقة الرحمانية على التأثير في أعمال لافيجري الهشة وإفلاسها[60] ، الأمر الذي دعى الى طلب الصدقات من المسيحيين المحسنين في كل من أمريكا وبلجيكا وفرنسا وبتبرعات

هـؤلاء استطـاع لافيجري أن يستعيـد قـواه لإستئنـاف الأعمـال التبشيرية .

يمكن القول أنه تم إخماد ثورة 1871 بعنف ، فقـد كان قمع السكان شـديـدا ، وبـدون حـد لا سيما ضـد سكان بـلاد القبـائـل بـإعتبـارهم المحرضين الأولين على الثـورة ، وبـالرغم من الإجراءات التعسفيـة[1] ، فإن دعاة (مسيحية القبـائل) تمـادوا في فركتهم التبشيريـة هـذه ولعل هذه الثورة هي التي جعلت هذا التيار يعرف رواجا كبيرا بعـد عـام 1871 بهدف البحث عن وسـائل تقرب السكان من جـديـد من المجتمع الفرنسي بعـد تطبيق النظـام المـدني . ألم يسع بعضهم في إستعمار بلاد القبـائل عن طريق هجرة الأروبيين اليهـا ، والسكن بهـا حتى يسهل إنـدمـاج سكانهـا ؟[2] . وكان من بين دعـاة هـذه الطـريقـة الأميرال دوغيدون الذي تمنى نجاحها والوسيلة التي رآها في هـذا الإنـدمـاج هو الدين المسيحي .

النظام المدني والتبشير :

لقد وقف الأميرال دوغيدون منذ تعيينه على رأس الإدارة المدنيـة بـالجـزائر يـدافـع عن الـدين المسيحي[3] وعن الكاردينـال لافيجري ولهذا نجـد أن الحركـة التبشيريـة قـد عرفت تطورا كبيرا في عهـده ، لأنه ساندها مساندة مطلقة . وقد قال : «قضيت حياتي ، وأنا أسـانـد الحركات التبشيرية في كل جهات العالم[4] . فكيف تسمح لي نفسي في أن أقف ضـدهـا في أرض فرنسيـة ـ الجـزائر ـ »[5] . وقـد أعتقـد كما أعتقد لافيجري أن إستمالة المسلمين والتأثير فيهم يجب أن يتم بالأعمـال

الخيريـة ، وليس عن طريـق الخطب[66] ، ورأى أيضا «أن الوقت قد حان لجلب شتات هذا الشعب المغلوب نحو الحضارة المسيحية»[67] .

كان سكان بلاد القبائل محل إهتمام لافيجري في عهد النظام المدني بـالرغم من فشـل المسـاعي التبشيريـة بهـا . وقـد تمكن من التـأثير في الأميرال دوغيـدون عن طريـق إقنـاعـه بـأن أصـل هـؤلاء السكان مسيحي ، ولا يرون أفضل من الرجوع الى ديانتهم القديمة وأن الـدم الـذي يجري في عروقهم هـو نفس دم الفرنسيين لأن أصلهم رومـاني مسيحي[68] . ولكي يمكن لفرنسا أن تستعمر الجزائر إستعمارا حقيقـا ، ناشـده بفرنسـة المليونين من البربر المعربين[69] ؟. ويظهر أن الأميرال الذي كان يعتقد بالإدماج ، أقتنع بهذه الأفكار ورآها ملائمة للظروف التي تمر بها الحركة الإستعمارية في الجزائر آنـذاك ، ويتضح ذلـك من قوله : «أن الهدف الذي يرمي اليه المبشرون ، هو نفس الهدف الـذي أريـد أن أصـل اليـه ، إنـه إدمـاج سكان منطقـة القبـائـل في المجمع الفرنسي[70] ؟. وتمنى لـو كانت تجربـة القرى العربيـة المسيحيـة ليس بالعطـاف ، وإنمـا ببلاد القبـائل لأن سكانهـا أقرب الى الفرنسيين من ـ العرب ـ الذين عرفوا بتعصبهم الديني الشديد[71] .

ومما زاد في إهتمام لافيجري بمنطقة القبائل عاملان هما :

1 ـ تشجيع الأميرال دوغيدون المطلق للتبشير .

2 ـ تـأسيس فرقـة الآبـاء البيض المخصصـة للتبشير في الجـزائر وإفريقيا .

ويعتقـد لافيجري أن الـوصـول الى هـذا الهـدف يجب أن يتم في إطار (لبنان أفريقي ، وهو لبنان تخلت عنـه أروبـا فـأنـدثرت معـالم

المسيحية فيه)[72] . وقد شبه سكان بلاد القبائل بهذه الأقاليم الجبلية ، بمسيحي سوريا ولبنان الذين أعتكفوا بالجبال فارين من الفتح الإسلامي ، ويرى أنه بواسطة الآباء البيض سيعيد (ماروني) بلاد القبائل الى ديانتهم الأصلية[73] .

إن الحركة التبشيرية التي عرفت عراقيل في عهد النظام السابق ، ستعرف في هذا النظام الجديد إنطلاقة كبرى في بلاد القبائل ، والمدن الصحراوية كميزاب والأغواط وورقلة وبسكرة والبيض وغيرها . وستكون هذه المدن بمثابة بوابة للتبشير في إفريقيا الإستوائية وحتى لا تتلقى الجهود التبشيرية نفور السكان منها ، أوجد لافيجري إمكانيات ووسائل ، وذلك بوضع برنامج يسير عليه المبشرون في عملهم ويمكن حصره فيما يلي :

1 ـ ينصب إهتمام البرنامج الخاص ، لا الى تنصير الفرد ، لأن ذلك لاينجح وإنما الى التنصير الجماعي ـ أي تنصير القرية بأكملها ـ وللوصول الى ذلك لا بد من القضاء على روح التعصب الديني .

2 ـ أن المسيحي في نظر السكان إنسان كافر ، ولهذا أوصى لافيجري مبشريه بأن يتظاهروا بمظهر التدين حتى يكتسبوا الإحترام .

3 ـ التمسك بالصبر والتسامح وتقبل الشتم السب .

4 ـ جلب السكان بواسطة الأعمال الخيعية ، كالأعمال التطبيبية وزيارات القرى للمعالجة وتعليم الأطفال .

5 ـ الإندماج في وسط السكان عن طريق إستعمال لغتهم[74] .

6 ـ عدم التعرض الى الدين المسيحي لأن ذلك ينفر السكان ويفشل المساعي التبشيرية .

بهذا البرنامج وتحت تشجيع الأميرال دوغيدون تم تأسيس المراكز التبشيرية الأولى ببلاد القبائل في أوائل سنة 1873 وهي :

1 ـ مركز تغمونت عزوز في بني عيسى سنة 1873 ويشرف عليه أربعة مبشرين .

2 ـ مركز توريرت عبد الله في آيت واضو سنة 1873 وبه ثلاثة مبشرين .

3 ـ مركز خراطة في بني إسماعيل سنة 1874 وبه أربعة من رجال الدين .

4 ـ مركز ورزان في بني منقلات سنة 1876 ويعمل به خمسة مبشرين .

5 ـ مركز إغيل علي في بني عباس سنة 1879 وبه خمسة مبشرين .

والجدير بالذكر أن المبشرين قد وجدوا نفس الصعوبات التي تلقاها الأب كروزا في التجربة الأولى ويظهر ذلك في تخوف ونفور السكان وبقاء المدرسة الأولى التي أفتتحها المبشرون خالية من الأطفال مدة طويلة[76] ؟ وعملا بوصية لافيجري حاول هؤلاء أن يقنعوا السكان أنهم مرابطون مسيحيون الهدف من وجودهم هو الأعمال الخيرية ليس محاربة دينهم أو تقاليدهم[77] . ويبدو أن الخطر الذي هدد الديانة الإسلامية في التجربة الأولى جعل السكان يشكون في أمر المبشرين ، ولا أدل على ذلك ما أظهرته جماعة قرية توريرت عبد الله من خوف على مصير أبنائها ، وما أبدته جماعة قرية آيت برجال من إشمئزاز من الأعمال الخيرية[78] . ولم يرض سكان مدينة

ميشلي بوجود الدين بينهم إلا بعد تدخل قائد القطاع العسكري الذي وعدهم بعدم من مس الشؤون الدينية[79] .

يمكن القول بأن أعمال المبشرين في البداية[80] أقتصرت على الأعمال الخيرية ، كالتطبيب والتعليم بإسم الديانة المسيحية ، ونظرا للدور الذي تلعبه المدرسة في مجال التبشير ، فإن لافيجري قد أوصى بتركيز الجهود عليها بإعتبارها تملك الطفل وتتحكم في مستقبله[81] . وإنطلاقا من هذه الفكرة أسس المبشرون مدارس بكل مراكزهم . ولما كانت الأعمال الطبية أهم ما يفتقده السكان ، حاول رجال الدين إستعمال هذه الوسيلة لتحقيق المطامح التبشيرية ، ويبدو أنه بواسطة هذه الخدمات الخيرية تمكنوا من إستغلالهم وجعلهم يقبلون على المراكز الطبية للمعالجة .

إن الجهود التي بذلها المبشرون في بلاد القبائل ، وغيرها من المناطق الأخرى ، جهود معتبرة جعلتني أتساءل عن النتائج التي حصلوا عليها . إنه بالرغم من الحرية التي حصل عليها لافيجري في عهد النظام المدني ، يمكن القول بأنه ، إذا تمكن المبشرون من إستغلال السكان فيما بعد ، وبإقبالهم على التعليم والمعالجة ، فإنهم من ناحية أخرى لم يستطيعوا أن يكسبوهم دينيا وبالصورة التي كانوا يتوقعونها من قبل وبالرغم من الصبر والتفاني في العمل فإن المحاولات التبشيرية لم تكن لها نتائج أكثر من التي تحصلوا عليها في المناطق الأخرى[82] ؟ وما تمكن منه المبشرون هو جلب عدد من المغامرين[83] الذين أقبلوا على التنصير ففقدوا مكانتهم بين عائلاتهم بل هددوا بالموت[84] .

يذكر شارفوريات الذي زار بلاد القبائل بعد ستة عشر عاما من

وجود الآباء البيض بها ما يلي : «يستحيل التنصير الفردي ، وما يمكن الإعتماد عليه هو التنصير الجماعي[85] والسبب في ذلك هو الروابط التي تربط الفرد بمجتمعه وقريته ، والتي تجعله غريبا مبعدا عنها ، إن هو إرتد عن دينه» ويعترف الأب شاتلان بصعوبة التنصير في هذه المنطقة حيث قال : «إذا كان سكان بلاد القبائل أبدوا إقبالا على كل الحضارات فإنهم من ناحية أخرى لم يكونوا ليغيروا عقيدتهم إلا بمشقة كبيرة»[86] .

نستنتج من كل ذلك ، بأن تمسك السكان الكبير بالإسلام وحضارته ، والمعارضة التي أظهروها ضد كل محاولة تبشيرية بالمنطقة كما أسلفنا ، ورغم الجهود التي بذلت وبشتى الوسائل ، والإهتمام الخاص الذي أفرد لسكان هذه المنطقة ، فإن الجهود والوسائل باءت كلها بالفشل ، بما في ذلك الجهود التبشيرية التي فشلت فشلا ذريعا ، وهو الأمر الذي جعل المبشرين يركزون جهودهم على تعليم اللغة الفرنسية وحضارتها متخذين من ذلك وسيلة أخرى من الوسائل التبشيرية بهذه المنطقة .

هوامش

(1) أن الجدير بالذكر ، أن الأنتوغرافيا أصبحت ظاهرة إستعمارية في القرن التاسع عشر ، حيث استغلها المستعمرون في تبرير وجودهم ببلد ما ، بقصد تهذيب وتمدين القبائل أو الأهالي المتأخرين عن الركب الحضاري في نظرهم .

(راجع مقال أجرون بعنوان (هل لفرنسا سياسة قبائلية ؟) المجلة التاريخية ، أفريل ، جوان 1960 ، ص 311 - 552 .

(3) ومن بين المهتمين ببلاد القبائل من العسكريين ، الضابط كاريت الذي يرى بأن بلاد القبائل التي بقيت بعيدة عن الفرنسيين مدة طويلة ، يجب عليها أن تكون المساعد الأكبر في مشاريع الفرنسيين ، والشريك الوحيد في جميع أعمالهم . أنظر كتابه (دراسات عن بلاد القبائل) باريس ، ج 1 ، ص 491 ، ومن بين هؤلاء البارون أوكابتان الذي وضع مؤلفات عن بلاد القبائل فيقول : (أن سكان القبائل الذين عرف إسلامهم بالفتور يميلون الينا بعاداتهم وأخلاقهم) ، أرجع الى كتابه (بلاد ومجتمع القبائل ، باريس 1857 ، ص 80 .

(4) Le Général Daumas, La GrandeKabylie; Etude Historique Paris, 1843. P, 89

(5) ينكر هانوتو ولوترنو مسيحية القبائل ، ويستدلان في ذلك بعدم وجود آثار لأسقفية تثبت إعتناق السكان للمسيحية ويريان أنه إذا صح ذلك فلم لم يعودوا الى ديانتهم القديمة .

(6) Le Père Dugas: La Kabylie et le Peuple Kabyle,Paris, 1877. P, 89

(7) Hanoteau, Le Tourneaux. La Kabylie et Les Coutumes Kabyles Paris, 1872 Tome 1, P 312

(8) يعتبر وارنيي أحد دعاة الإستعمار في الجزائر ، فقد حاول أن يضرب سياسة نابوليون الداعية الى إقامة المملكة العربية ، وذلك بخلق الكيان القبائلي ، إعتقادا منه أن سكان القبائل بربر ، وهؤلاء هم السكان الأصليون للبلاد ، لهم أصل وماضي وحضارة تقرب جدا من حضارة الفرنسيين يمكن إدماجهم في المجتمع الفرنسي .

(9) Warnier: L'Algérie devant, L'empereur, Paris 1865 P, 15

(10) إشارة الى إسلام اسماعيل عربان وموقفه المشجع من المملكة العربية .

(11) أ ، و ، ب ، ف 80 1737 .

(12) نفس المصدر .

(13) نفس المصدر .

(14) أ ، و ، ب ، ف 173780 .

(15) نفس المصدر .

(16) دوقا ، ص 218 ـ 219 .

(17) دوقا ، ص 220 .

(18) الضابط الأعلى لحصن نابوليون .

(19) أ ، و ، ب ، ف 80 1736 .

(20) عن رسالة احتجاج من جماعة بني فراح بتاريخ 1865 الى المسؤولين العسكريين ، عن أ ، و ، ب ف 80 1746 .

(21) أ ، و ، ب ، ف 80 1746 ، عن منشور سري رقم 22 من الجنرال ماكهون الىالقادة العسكريين بالجزائر .

(22) رسالة الجنرال ومفبن الى الوالي العام الجنرال ماكهون عن أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .

(23) نفس المصدر .

(24) ألف هانوتو كتابا أسماه (بلاد القبائل وعادات سكانها) طبع سنة 1872 بباريس وهو يتكون من ثلاثة أجزاء ، ويعتبر من أهم الكتب التأليف حول المنطقة إذ تناول حياة سكانها ، أصلهم ولغتهم وتقاليدهم وقوانينهم الإجتماعية .

(25) اميريت (تنصير مسلمي الجزائر) ، ص 80 .

(26) رسالة الجنرال هانوتو الى اسماعيل عربان في جوان 1867 .

(27) René Vanlandre: Chez Les Pères Blancs, Paris 1929 P, 55

(28) أن الغريب في أمر هذا الجنرال أنه بينما عارض التبشير في بلاد القبائل لعواقبه نجده يؤيد لافيجري في بناء القرى العربية المسيحية بسهل العطاف ، ويصفها بقوله : «أنها أجمل وأشجع عمل لهذا القرن» ، ولكن إشادته هذه لم يكن لها أي إعتبار في نظر لافيجري لأنه كان بروتستانيا . عن دومونكلو ، ص 356 .

(29) أ ، وب ، ف 80 1746 .

(30) نفس المصدر .

(31) نفس المصدر .

(32) بونادر ، ج 1 ، ص 194 .

(33) Charles Robert Ageron:
Les Algeriens Musulmans et la France Paris, 1968. Tome 1, Page 279

(34) Goyau: un grand missionnaire le Cardinal Lavigerie P, 84-85

(35) دومونكلو ، ص 351 .

(36) Le Cardinal Lavigerie: Textes des Oeuvres Choisies, Paris, 1884, P, 133-135

(37) بونارد ، ج 1 ، ص 194 .

(38) منشور سري رقم 22 عن أ ، و ، ب ف 1746 .

(39) أ ، و ، ب ، ف 80 1746 .

(40) تقرير الكولونيل هانوتو الى الجنرال ماكمهون عن أ ، وب ف 80 1746 .

(41) نفس المصدر .

(42) نفس المصدر .

(43) Le Colonel Robin: L'insurrection de la Kabylie en 1871, Paris 1901, P, 32

(44) أ ، وب ، ف 80 1746 .

(45) يحي بوعزيز دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة 1871 ، الجزائر 1975 ، ص 78 ، نقلا عن :
Jaquessylvestre: Le Maréchal Mac-Mahon Duc De Magenta, Paris 1960, P, 211

(46) روبان ، ص 32 .

(47) مما زاد في قلق الجنرال ماكمهون - أثناء هذا الصراع - اطلاعه على مقال البابا بجريدة العالم المسيحي التي ينشطها لويس فويو ، يعلن فيه عن تكليف لافيجري بمهمة تمسيح كل الشعوب داخل افريقيا . وقد شك ماكمهون في عدم استطاعته (لافيجري) بهذه المهمة لعدم توفر الامكانيات اللازمة له . وخشي من أن يكون بقاؤه بالجزائر ، مصدر قلق السكان المستمر لذلك حاول إبعاده مرة أخرى ، لكن محاولات ماكمهون باءت بالفشل ، لأن لافيجري بقي بالجزائر ، ولأن السلطة سكتت عنه .

(48) تسببت هذه الحرب في سقوط الامبراطورية الثانية ، والإعلان عن نظام الجمهورية في 3 سبتمبر 1870 وتلا هذا حوادث "كومون" باريس ، وقيام حركة مضادة للدين في كبريات المدن الفرنسية ، وكان أهم من تزعم هذه الحركة أعضاء المجالس البلدية الذين شنوا حملات عنيفة ضد ، وأصدرت "كومون" باريس فصل الكنيسة عن الدولة في أفريل 1871 .

(49) كان أول عمل قام به هذا المجلس ، مطالبته بمركزين كانا يوجدان بنهج ميدي ، وكانا تابعين للكاردينال لافيجري ، ونفيه لحوالي 25 راهبة و12 راهبا .

(50) Yvonne Turin: (La Commune d'Alger et ses écoles) Revue d'histoire et Civilisation Du Maghreb Janvier 1970.

(51) تولى الإفتاء الحنفي بمدينة الجزائر سنة 1878 . ويقول عنه محمد بيرم الخامس في كتابه : «صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار» ، ج 1 ، ص 16 ، «... وهو ذو تبحر في المعارف السياسية ومتقن للغة الفرنسية ، وصاحب حمية في المدافعة عن أهالي وطنه ... وله مشاركة في الفقة والحديث» .

(52) تورين ، ص 89 .

(53) A,T. Lamy: Recherche des causes de l'insurrection Indigène en 1871, Alger 1871, P, 19

(54) نفس المصدر .

(55) لامي ، ص 19 .

(56) يحي بوعزيز ، ص 78 ، نقلا عن أ ، و ، ب ، ف 80 1704 .

(57) نفس المصدر نقلا عن أرشيف وزارة الحربية رقم الصندوق 375 رسالة رقم 8 .

(58) Le Viconte De Colleville: Les Grands Hommes de L'église au 19e siècle Paris, 1905, Page-101

(59) Cussac: Le Cardinal Lavigérie Paris 1940, P, 55

(60) اضطر لافيجري الى ارسال الكثير من أطفال العطاف الى أروبا لأنه لم يعد بإستطاعته تحمل مصاريفهم وبالإضافة الى ذلك وجد نفسه بين وسط ينفر من الدين ، ومما زاد تألمه تغير نظام الحكم في فرنسا والذي اتصف بنوع من الفتور تجاه الكنيسة .

(61) من المعروف أن رد فعل الفرنسيين بعد هذه الإنتفاضة ، ظهر في حجز الكثير من الأراضي ببلاد القبائل لتوزيعها على مهاجري منطقتي الألزاس لورين ، وتغريم سكانها عقابا لهم .

(62) أجرون ، ص 71 .

(63) كانت المجالس البلدية التي تزعمت الحركة اللادينية العدو المشترك لكل من لافيجري والأميرال دوغيدون الذي بمجرد تعيينه شن حملة عليها ، ووصف قرارها باغلاق المدارس الدينية عملية خطيرة إجرامية ضد الدين وكاتبها بإسم وزير التربية يحثها على إعادة فتح أبواب هذه المدارس بإعتبارها قوة يستند اليها المعمرون أمام الديانة المحمدية .

(64) ان هذا الموقف شجع لافيجري وجعله يثق كثيرا في النظام المدني الجديد ، ولا غرابة في أن يصف عهد ولاية الأميرال دوغيدون بالجزائر بالعهد الجديد ، أنظر دومونكلو ، ص 522 .

(65) بونادر ، ج 1 ، ص 375 .

(66) أجرون ، ج 1 ، ص 302 .

(67) نفس المصدر .

(68) رسالة لوتورنو الى الجنرال هانوتو عن أجرون ، ج 1 ، ص 273 .

(69) Dominique L.C. un Gouverneur Général de l'Algérie, l'amiral De Gueydon. Alger 1908 P. 541

(70) Lasicotiére: Rapport fait au nom de la Commission de la Défense Nationale Versaille, 1875. P. 197

(71) نفس المصدر .

(72) غريسنبيير ، ج 1 ، ص 336 .

(73) نفس المصدر .

(74) يرى لافيجري أن معرفة لغة السكان أداة ضرورية للتعرف على أفكارهم وعاداتهم ودياناتهم وتسمح للمبشرين بالتوغل في محيطهم .

(75) Anthony Philippe: Mission des Pères Blancs en Tunisie, Algérie, Kabylie, Paris 1923, p, 39

(76) Georges Elie: La Kabylie de Djurjura et les Pères Blancs, Paris 1923, p, 39

(77) نفس المصدر ، ص 36 .

(78) نفس المصدر ، ص 43 .

(79) ايالي جورج ، ص 41 .

(80) امتنع المبشرون من التعرض الى الدين في أعمالهم عملا بوصية لافيجري وكان هذا الى سنة 1886 وهي السنة التي بدأ فيها تقديم دروس دينية على شكل تاريخي .

(81) مجلة الإرساليات التبشيرية للآباء البيض سبتمبر 1930 ، ص 123 .

(82) Augustin Bernard: (L'instruction Publique en Algérie) Revue de la Réforme économique. Aout 1878, p, 953

(83) نفس المصدر .

(84) تيكي ، ص 170 .

(85) François Charveriat: à travers la Kabylie et les Questions Kabyles Paris 1889, Page. 162

(86) Le P. Chatelain: en Algérie; La Kabylie et Les Oasis. Nivers. 1896 p. 53

الخاتمة

لقد توصلت من هذا البحث الى استخلاص النتائج التالية :

1 – ان للتبسير علاقة بالإستعمار ، فاغلب المبشرين يربطون الاستعمار بالتبشير ، وهدف الإحتلال في نظرهم هو نظرهم هو التقدم الروحي والاخلاقس للمستعمرين (بفتح الميم)

2 – ان التبشير لعب دورا هاما في الجزائر في توطيد النفوذ الفرنسي ببلادنا .

3 – ان موقف السلطة الفرنسية من التبشير كان متضاربا ، بحيث كانت تعارض التبشير علينيا خشية انتفاضة السكان ، وتشجعه سريا لتدعيم نفوذها في الجزائر ، ويتضح ذلك من خلال مواقف مثليها بالجزائر

4 – ان المبشرين بالجزائر كانوا يهدفون الى خلق النعرة القبلية بين السكان واتباع سياسة فرق تسد لتدعيم النفوذ الفرنسي ، ولكنهم فشلوا في هذه المهمة .

5 – ان الحرية التبشيرية التي كانت تفتقر الى حرية واسعة في عهد النظام العسكري ، قد عرفت هذه الحرية بشكل اوسع في عهد النظام المدني ولا سيا بعد تأسيس الآباء البيض .

6 – ان الحركة التبشيرية عامة قد فشلت امام صمود الجزائريين وتمسكهم بالديانة والحضارة الإسلامية .

7 – ان النشاط التبشيري بالجزائر ، قد فتح الباب على مصراعيه في كل القارة الإفريقية .

الملاحق :

الملحق (1) قرار جماعة بني فراح سنة 1865 .

الملحق (2) قائمة لقوامين اللغات المحلية والكتب الدينية الخاصة بالتبشير ، من انتاج المبشرين .

الملحق (3) التبشير بين الأهالي في القوانين الأسقفية .

الملحق (4) رسالة الكاردينال لافيجري الى الماريشال نييل وزير الحرب .

الملحق (5) رد الماريشال نييل وزير الحرب على رسالة لافيجري .

الملحق (6) رسالة الاسقف بافي لوزير الحرب هتبول يطلب فيها استعمال اليسوعيين في عملية التنصير .

الملحق (7) قوانين الجمعية التبشيرية (الآباء البيض)

الملحق (8) شهادة فاطمة آيت منصور عمروش (المتنصرة)

الملحق (9) إستغلال مجاعة عامي 1867 – 1868 في عملية التبشير

الملحق (10) تهريب الأطفال من قبل اليسوعيين ببلاد القبائل

الملحق (11) تأييد الأميرال دوغيدون للكاردينال لافيجري .

الملحق رقم 1

قرار جماعة بني فراح بتاريخ 1282هـ الموافق لسنة 1865م

الحمد لله الاحد ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه ، قبيلـة بني راثن جماعة بني فراح .

الامين الحاج لونيس نايت علي عامر ، الامنـاء والاوقـاف الـذين يلي اسماؤهم : الحاج ابراهيم ، الحاج محمد سعيـد ، محمـد نـايت واعلي ، الحاج عماره واعلي ، المحيوت ولحاج ، الحاج عمـارة نـايت سـالم ، علي عبـاجي ، الحـاج احمـد اورابـح ، عمـار نـايت محمـد ، زيـدان ، سي فرحات الحاج علي اوشعبان ، عمر والحاج ، احمد أوبلعيـد ، محمـد ابن اسمان ، الحاج قاسي نـايت سعيـد ، امين نـايت عـاشور ، عمر نـايت الحاج ، محمد سعيد عماره قاسي بلعيد ، وغيرهم ، اجتمعوا كبيرا وصغيرا يوم الخميس ، ثم خاطبهم الامين بالعبـارات التـاليـة : هل ترغبون في اعتناق الديانـة الكاثولكيـة ، نعم ام لا ؟ هل توافقون على ان تتركوا راهبا يأتي ليقيم بينكم نعم ام لا ؟ وعند الانتهـاء من عبـاراتـه ، ذهل النـاس عمـا حـولهم وخفتت أصـواتهم وانهمرت الـدمـوع الغـزيرة من أعينهم ، حتى ان احـدا منهم لم يستطيع الاجـابـة ، ثم اجـابوا بكلمـة قـاطعـة صـارمـة وبـالاجمـاع : اذا كنـا احرارا في التصرف وفقـا لاحاسيسنا فاننا لن نرتد ابدا عن ديننا ، ولن نعتنق أبـدا دينهم واذا ارغمتنا الحكومة على ذلك ، فاننا سنطلب منها ان ترشدنا الى طريق لمغـادرة البلاد ، واذا لم نجـد إلى ذلـك سبيـلا فضلنـا المـوت بـدلا من اعتناق ديانتهم .

اما عن الأمور الأخرى التي تأتينا من الحكومـة ، والتي ترمي الى

رفهيتنا ، فاننا مستعدون للإنصياع لها ، وعلينـا ان نفعل ذلـك لاننـا نعيش تحت ظل حمايتهـا ، وسنكون لهـا مخلصين في أعمـالنـا لانهـا لا تريد لنا سوى الخير والسلم وسوف تجازي بالخير ، اما عن القضية التي تـدور حـول ارتـدادنـا عن ديننـا فـاننـا نـؤثر المـوت على التخلي عن ديننـا . امـا بشـأن ان يقيم راهب بيننـا ، فـالله يحفظنـا عن قبـول ذلك .

اللهم إلا اذا اجبرتنا الحكومة عليه ، وفي هذه الحالـة لن نقيم معـه نحن ابدا ، ذلك كل ما كنا نريـد ان نقولـه .وقـد تمت تلاوة المضمون وشرحـه على جميع المـذكورين اعلاه ، بعـد تحريره بـامر من الجمـاعـة المذكورة .

الفقير الى الله محمد العربي بن بلقاسم
امين الجماعة المذكورة
ترجمة مطبقة . المترجم الرئيسي للحكومة
توقيع شوزبوا

عن الارشيف الوطني بباريس : ف 80 1746

اعتقد المبشرون أن اتقان لغة السكان من الوسائل الضرورية للتعرف على أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم لانها تسمح لهم بالتوغل في محيطهم والعمل على تنصيرهم وعلى هذا الأساس قاموا بوضع قواميس لبعض اللغات المحلية ، و وضع كتب دينية ، وترجموا الانجيل الى اللغة العربية .

- Catéchisme (d'Alger) traduction ; 78 p. Belin 1898.
- Manuel Français-Kabyle ; 108 p. ; Benni-Yenni 1899.
- Catéchisme (d'Alger) traduction 248 p. ; Benni-Yenni 1899.
- Les évangiles ; Benni-Yenni 1900.
- Catéchisme avec eucologe (Français-Kabyle) 196 p. ; Maison-Carrée 1904.
- Abrégé de la doctrine chrétienne (Français-Kabyle) Maison-Carrée 1904.
- Dictionnaire Kabyle-Français le P. Huyghes ; lith en 1896.
- Dictionnaire Kabyle-Français par le P. Huyghes 354 p., Paris 1901.
- Dictionnaire Français-Chaouia par le même auteur 750 p., Alger 1906.
- Les Evangiles de 396 p., Maison-Carrée 1907.
- Grammaire berbère à l'usage des missionnaires, policopié, Ghardaïa 1915.
- Petite histoire de notre Seigneur par le p. Froment, 40 p. ; Maison-Carrée 1911.
- Les paroles de Dieu (aoual – rebbi) par le même, 200 p. ; Maison-Carrée 1912.
- Vie de notre Seigneur Jésus-Christ ; n'tekli sidna aïssa par le même auteur ; 350 p., Maison-Carrée 1912.
- Préparation de la première communion par le P. Emile Amat ; 100 p. Maison-Carrée 1913.
- Catéchisme élémentaire pour les vieillards par le même auteur ; Maison-Carrée 1915.
- Fondement de la religion (l'sase-din) par le P. Pierre Amat.
- Abrégé d'histoire sainte ; Maison-Carrée 1913.
- Conseils d'une mère à ses filles ; tedbir g'iouat temrart af issi-sizeouedjen ; par la R. mère Labre ; Maison-Carrée 1923.

Livres en langue arabe :

- Vie de Moïse 122 p., Ghardaïa 1910.
- Vie de David 135 p., Ghardaïa 1910.
- Vie de Joseph 62 p., Ghardaïa 1910.
- Parabole de notre Seigneur 64 p., Ghardaïa 1910.

Source : Paul Lesourd ; **Les Pères-Blancs du Cardinal Lavigerie** ; Orléans ; 1935, page 208.

الملحق رقم 3

التبشير بين الأهالي في القوانين الاسفقية

المادة الأولى :

يجب ان يكون التبشير بين الأهالي نصب أعين القساوسة ، وأن لا يتوانوا ابدا في التعجيل بتنصيرهم ، وهي اللحظة المأمول فيها بشدة . (يجب أن يعطوا الأهمية لكل الوسائل المسخرة لهذا الهدف ، الصلوات ، التضحيات،الأعمال الخيرية ، طرق أخرى ، أمثلة من الفضيلة ، يجب أن يشتغل كل شيء لتحقيق هذا الغرض ، يا لها من فضحية لا يمكن تصحيحها أبدا ، اذا كان الطابع الديني الذي يمجدونه فينا يؤول إلى الزوال ، بواسطة الفهم الخاطئ للشرف الذي نعمل على التحلي به ؟ لن نكف اذا على الظهور بينهم بإستمرار ، ورعين ، تقاة ... لن نتوانى عن الإحسان اليهم ونشهد لهم باننا آسفون لعدم قدرتنا على القيام بأكثر من ذلك ازاءهم .

المادة الثانية :

فيسجل الأهالي الفقراء في قوائم المحتاجين والتي هي صلب العمل التبشيري الذي بواسطته تعرف يد الإحسان كيف تكتسب فيه كل مآسي العقل والقلب قصد الوصول إلى مواساتها كلها .

المادة الثالثة :

وبغرض التحضير الأكثر استعجالا ، يجب على قساوستنا ان يهتموا بدراسة اللغة العربية والقرآن ومستخدمات وعادات الأهالي ، ذلك ليستطيعوا التغلغل بسهولة في أذهانهم والوصول ، عندما تحين الفرصة الى ان يكشف لهم عن الجانب اللاأخلاقي لمعتقداتهم .

المادة الرابعة :

واذا حانت الفرصة من تلقاء نفسها أو اذا أمكن خلق هذه الفرص بحذر شديد للتحدث معهم عن الدين ينبغي العمل بحذر على عدم مس افكارهم المسبقة وعدم ازعاجهم بالأسئلة ، والاجابة بعجل على التي يلقونها علينا ، والاصغاء اليهم بلطاقة ، وأخذ نقطة الإنطلاق منهم ، المعتقدات المشتركة كالخلق والوحي ، القانون الموسوى ، ورسالة الأنبياء ورسالة المسيح ، العرض بدلا من النقاش، التكرار بدون تردد ، وبشكل مختصر وبرهنة ، اعطاء اسم الاستعارة وايجاد مغزى روحي للقصص الغريبة والملفقة للقران والخرافات المحلية ...

المادة الخامسة :

ان الأطفال الأمل المرتقب لمهمتنا عند الكفار ليحظون أكثر بالعناية الأبوية وستعمل على جلب الأولاد بواسطة وسائل بسيطة ، الى المدارس أولا ، ثم الى الكنائس ، سنبين لهم وبتحفظ كبير باننا نحبهم ، أما البنات الصغيرات فيتولى رعايتهن الخاصة المبشرات أو معلمات المدارس .

(على القساوسة والأخوات ان يجعلوا كل من يصادفون من اليتامى او الذين تخلى عنهم اولياء أمورهم على حسابنا الى الجزائر حيث نودعهم في المؤسسات الخيرية)

ويطلب من كل القساوسة ان ينخرطوا في جمعية الدعوة الى النصرانية بين كفار الجزائر وادخال المؤمنين الى خورنياتهم .

La mission des indigènes dans les statuts diocésains

Article 1 : Les prêtres ne perdront jamais de vue la mission des indigènes et ne négligeront rien pour hâter le moment si désiré de leur conversion. (Ils favoriseront toutes les entreprises faites à cet égard). Prières, sacrifices, bonnes œuvres, procédés ingénieux, exemples de vertu, tout sera employé dans ce but. Quel scandale, à jamais irréparable, peut-être si le caractère sacerdotal qu'ils vénèrent en nous, venait à s'avilir à leurs yeux, par la malversation de ceux qui ont l'insigne honneur d'en être revêtus : nous ne cesserons donc de nous montrer à eux toujours graves, pieux, réservés, affables pourtant. Nous ne nous lasserons pas de leur faire du bien, et de leur témoigner le regret de n'en pouvoir faire davantage.

Article 2 : Les indigènes pauvres seront portés sur les listes de secours, et plus encore, sur cette liste du cœur apostolique, ou la main de la charité sait écrire toutes les misères de l'esprit et du cœur, pour arriver à les soulager toutes.

Article 3 : Dans une pensée de préparation plus immédiate, nos prêtres s'appliqueront à l'étude de la langue arabe, du Coran, des usages et des mœurs des indigènes afin de pouvoir s'insinuer plus aisément dans leurs esprits ; d'être à même de leur montrer dans l'occasion, le coté faux et immoral de leurs croyances.

Article 4 : (Si l'occasion se présente d'elle-même, ou si l'on peut amener avec prudence l'occasion de parler de religion) seulement il faut procéder avec une grande mesure de ne pas heurter dès le début leurs préjugés, ne pas les fatiguer de questions, répondre avec empressement à celles qu'ils nous adressent, les écouter avec bonté ; prendre pour point de départ avec eux les dogmes communs entre eux et nous la création, la révélation, la loi mosaïque, la mission des prophètes, celle de Jésus-Christ ; exposer plutôt que discuter, répéter sans crainte et sous une forme brève sentencieuse, donner le nom d'allégorie, et trouver un sens spirituel aux récits bizarres (et) controversés du Coran, des légendes locales, etc.

Article 5 : Les petits enfants, espérance plus fondée de notre mission auprès des infidèles, seront l'objet d'une sollicitude encore plus maternelle on tâchera d'attirer les garçons par de petits moyens dans les écoles d'abord ; puis dans l'église, on leur prouvera qu'on les aime, mais en gardant extrême réserve. Quant aux petites filles on en confiera le soin exclusif aux religieuses ou aux maitresses d'école.
Les prêtres et sœurs recueilleront tous ceux qu'ils trouveront ; orphelins ou abandonnés pour nous les envoyer à nos frais à Alger ou nous les placerons dans des établissements charitables.
Les prêtres sont tous invités à faire partie de l'association pour la convertion des infidèles à leur paroisse.

Source : Pons Mge : La nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, Tunisie et Maroc depuis 1830 ; Tunis 1930 ; p. 221.

Lettre de Mgr. Lavigerie au Maréchal Niel, ministre de la guerre.

Paris, le 17 mai 1868

Monsieur le Maréchal ;

Veuillez me permettre d'exprimer à votre Excellence la surprise profonde ave laquelle je lis l'accusation inattendue dont je suis l'objet dans votre lettre du 5 mai à M. le Maréchal de Mac-Mahon.

Votre Excellence semble me présenter en effet dans cette dépêche, comme ayant demandé la suppression de la liberté de conscience pour les musulmans de l'Algérie.

Ma vie tout entière, mon caractère d'évêque protestaient d'avance, Monsieur le Maréchal contre une semblable accusation, mais puisque votre Excellence a cru devoir la rendre publique, elle me permettra de protester ici moi même, contre cette interprétation de mes actes et mes paroles.

Non Monsieur le ministre, mille fois non ; je ne veux à aucun degré porter atteinte à la liberté de la conscience à aucun degré je ne veux ni de la force ni de contrainte ni de la séduction pour amener les âmes à une foi dont la première condition est d'être libre.

Non je ne demande pas que l'on restreigne en Algérie, en quoi que ce soit, la liberté d'autrui, je demande simplement qu'on veuille bien respecter ma liberté, mes droits d'évêque dans l'exercice de la charité catholique et ce que je dis ici, Monsieur le ministre, je pratique précisément depuis près d'une année auprès de nos pauvres arabes ; aucun de ceux auxquels j'ai fourni des aliments, des vêtements de toute espèce n'a entendu de moi ou de ceux qui me représentaient une seule parole qui ressemblât, je ne dis pas à la contrainte, mais à un de ces honteux marchés où la conscience du pauvre s'achète par un morceau de pain.

Aucune des femmes veuves recueillies par moi n'a été baptisée ; quoi que plusieurs l'aient demandé déjà et cela parce que je craignais que leur demande ne fût intéressée ; je demande qu'il me soit permis comme cela est permis en Egypte, en Tunisie de conserver, d'ouvrir à mes frais pour nos pauvres arabes, des asiles où seront reçus les orphelins abandonnés de toutes les veuves, les vieillards, les malades, je demande à établir là où les indigènes l'auront sollicité des maisons de secours pour panser leurs plaies,

secourir leurs misères. Tout cela, je le demande sans protection de qui que ce soit ; à mes seuls risques et périls ; et dans les limites de la sagesse et de la prudence les plus somptueuses, espérant que le spectacle de la charité sera la prédication la plus éloquente pour rapprocher les cœurs encore si profondément divisés.

Il y a dix-huit siècles, Monsieur le ministre que l'Eglise exerce librement dans le monde le droit que je réclame ici pour elle ; celui de passer en faisant le bien, j'ose espérer qu'il ne lui sera pas contesté en Algérie et que les pénibles malentendus de ces derniers temps seront ainsi dissipés.

Source : Lavigerie Mgr. : **Oeuvres choisies ;** Paris ; 1884 ; tome 1, pages 197-199.

الملحق رقم 4

رسالة الكاردينال لافيجري الى المارشال نييل وزير الحرب باريس 17 ماي 1868 اسمحوا لي ان اعبر لفخامتكم عن المفاجأة الكبيرة التي سيطرت علي وأنا أقرأ التهمة غير المنتظرة التي في رسالتكم المؤرخة يوم 5 ماي الى الماريشال ماك ماهون .

ويبدوا أن فخامتكم تقدمني في هذه البرقية ، وكأني طلبت الغاء حرية الضمير بالنسبة لمسلمي الجزائر .

ان حياتي كلها ، وطبيعتي كأسقف تحتجان مسبقا ، يا سيادة الماريشال على مثل هذا الإتهام ، ولكن ما دامت فخامتكم قد رات نشرها على الناس ، فلتسمحوا لي بالإحتجاج ها هنا بنفسي على هذا التأويل لافعالي وأقوالي .

كلا سيادة الوزير وألف كلا ، اني لا أريد أبدا أن أمس بحرية الضمير على أي مستوى كان ، ولا أريد القوة ولا الإكراه ، ولا الإغواء من أجل دفع الناس الى معتقد تمثل الحرية فيه الشرط الأول .

كلا ، أنا لا أطلب ان تقيد في الجزائر حرية الأخرين باي وجه من الوجوه ، بل أطلب حرية احترام حقوقي كأسقف في ممارسة الرحمة الكاثولوكية وما أقوله ها هنا ، يا سيادة الوزير ، أمارسه على وجه التحديد منذ ما يقارب السنة في أوساط الفقراء العرب ، ولم يسمع واحد من الذين قدمت لهم الأغذية كلمة واحدة مني ، ومن الذين يمثلوني قد تشابه - ولن أقول .

الاكراه - بل تلك الصفقات المذلة حيث يشتري فيها ضمير الفقير بقطعة خبز ، ولا توجد امرأة واحدة من الأرامل اللائي اويتهن قد عمدت على الرغم من أن العديد قد طلبن ذلك ، لاني كنت أخشى تكون هناك نية وراء طلبهن هذا .

أطلب أن يسمح لي ، مثلما هو محصول و معمول في مصر وتونس أن أحتفظ بحقي في أن أفتح على حسابي الخاص من أجل فقرائنا العرب ملاجئ لإستقبال الأيتام الذين تهجرهن جميع الأرامل وكذلك الشيوخ و المرضى . و أطلب اقامة بيوت للمساعدة في الأماكن التي يرغب فيها الاهالي من أجل تضميد جراحهم في بؤسهم .

كل ذلك اطلبه دون حماية من أحد . و على ذمتني عهدي ، و في حدود الحكمة و الحذر الشديد ، آملا ان يكون مشهد الرحمة أبلغ وعظ و من أجل التأليف بين القلوب المرزقة ابلغ التمزق .

ان الكنيسة تمارس في العالم بكل حرية ومنذ ثمانية عشر قرنا من الزمان الحق الذي أطالب به من أجلها أي الحق في فعل الخير أتمنى الا يعترض عليها في هذا الحق في الجزائر وان تبدد جميع أشكال سوء التفاهم التي سادت في الفترة الأخيرة .

كاردينال لافيجري

الملحق رقم 5

يشرفني ان أشعر فخامتكم بوصول الرسالة التي شرفتموني بتوجيهها إليّ في الثاني والعشرين من الشهر الجاري حول موضوع برقيتي التي وجهتها في اليوم الثاني (2) الى سيادة الماريشال ماجنتا والمدرجة في صحيفة (المونيتور أوفيسيال) الممرن الرسمي .

والغاية من رسالتي لم تكن تتمثل في توجيه التهم لنواياكم ،بل لطمأنة السكان المسلمين في الجزائر ، الذين تسهل استثارتهم بمجرد اثارة المسائل الدينية بينهم .

أنا سعيد بملاحظتي ان الجدال الذي قام بين سيادة الحاكم العام للجزائر وفخامتكم يعود في منطلقه الى سوء تفاهم وليس الى خلاف في الراي حول جوهر المسائل التي تسببت فيه .

وبالفعل فقد أبدى الحاكم دائما وأبدا وده ، وتعاطفه لإنشاء مؤسسات استشفائية مخصصة لأبناء البلد في الفترة الأخيرة ، ولقد ساند بجميع الوسائل التي في حوزته مسعاكم هذا ، أما فيما يتعلق بمستقبل هؤلاء الأطفال ، فان تصريحاته يمكن أن تطمأنكم بالتمام ، ذلك أنه ما فتئ يؤمن بان المحاكم وحدها مدعوة الى الفصل في القضايا التي قد تنجم عن تظلمات العائلات او القبائل ، ثم أنكم تعترفون على غرار الحاكم العام أنه ينبغي أن تترك للسكان حرية الإرادة وتعلنون أن تفانيكم الأبوي سوف يظل حيال السكان الذين أنقذتهم مساعداتكم في حين أنهم مصرون على التمسك بمعتقداتهم الدينية .

ان هذه المشاعر المسيحية والتي عبرت عنها فخامتكم تعبيرا نبيلا

تلخص على وجه التحديد افكار حكومة الأمبرطور حيال ، سكان الجزائر وهي (أي المشاعر) تشير الى خط السلوك الذي ينبغي أن نتمسك به من أجل تحضير التقارب والإنصهار في يوم من الأيام بين الأجناس ، هذا الإنصهار الذي يمكن لأدنى تهور أن يفضي به الى إذكاء العداوة من جديد ، ثم أن مساعداتكم التي تعددت وعبرت عن قوتها في هذه الأزمة العصيبة التي تجتازها هذه المستعمرة لا يمكن سوى ان تقدم لنا يد المساعدة .

ثقوا ان الحكومة لم تنو ابدا تقليص حقوقكم كوجيل ديني بل لقد تركت لكم حرية التحرك من أجل أن توسعوا وتحسنوا الملاجئ حيث تحبون أن تقدموا للأطفال المهملين والأرامل والشيوخ مساعدات الرحمة المسيحية .

أما بخصوص الطلب الذي رفعتموه من أجل انشاء ملاجئ جديدة في جميع المناطق التي يرغب فيها السكان ، فان الحكومة على استعداد تام لكي تترك لكم الفرصة وتساعدكم على ذلك ، ولكن مثلما تعترفون بذلك ، ينبغي ان يسود الحذر التام ، والحكمة عملية انشاء مؤسسات هذه لمصلحة أمنها بالذات ، هذا الأمن الذي ضمانه من قبل الحاكم العام للجزائر ، الذي هو مسئول عن أمن الأشخاص ايا ما كانت رحابه صدركم وقلوبكم ، ولما كان الهدوء لعام للمستعمرة أحسن حكم على امكانية هذه المؤسسات فان هيئاتكم هذه سوف تخضع بطبيعة الحال للقوانين التي تنظم مثل هذه سواء في فرنسا أو في الجزائر .

وفي هذه الحدود ، ويمكن لكم أن تعتمدوا على مساعدة

الحاكم العام للجزائر ، وكذلك على مساعدة حكومة الامبرطور .

لن أختم هذه الرسالة بدون توجيه الشكر لفخامتكم على روح التصالح التي وضعتم بها حدا لجدال يؤسف له على جميع الأصعدة ويصعب فهمه ، ذلك لانه قام بين رجل له يد طولى على هذا البلد ، ورجل ديني لم يظهر الا تخوفا واحدا تحت ضغط اعماله الخيرية وهو الا يفسح دونه المجال واسعا لتقديم مساعداته .

تقبلوا سيدي تقديرنا السامي

الماريشال نييل وزير الحرية

المصدر : جريدة الأخبار 3 جوان 1868

Paris, le 25 mai 1868.

Monseigneur, j'ai l'honneur d'accuser réception à votre grandeur de la lettre qu'elle m'a fait l'honneur de m'écrire le 22 courant au sujet de ma dépêche du 2 à Monsieur le Maréchal de Magenta insérée au moniteur officiel de l'Algérie.

Le but de ma lettre Monseigneur était non d'inculper vos intentions ; mais de rassurer les populations musulmanes de l'Algérie trop faciles à alarmer dès qu'on agite chez elles les questions religieuses.

Je suis heureux de constater que le dissentiment qui s'est élevé entre Monsieur le gouverneur général de l'Algérie a pour point de départ un malentendu plutôt qu'une divergence d'opinion sur le fond même des questions qui l'ont motivé.

De tout temps en effet le gouverneur s'est montré sympathique à la création des établissements hospitaliers destinés aux enfants indigènes, dernièrement, il a secondé par tous les moyens en son pouvoir votre initiative ; et en ce qui touche l'avenir de ces enfants, ses déclarations peuvent vous rassurer complètement ; car il n'a cessé d'admettre que les tribunaux seuls seront appelés à trancher les questions que pourront faire naître les réclamations des familles ou tribus ; enfin Monseigneur vous reconnaissez comme le gouverneur général qu'il importe de laisser aux populations musulmanes de l'Algérie leur entière liberté de conscience et vous déclarez que votre dévouement paternel ne fera jamais défaut aux indigènes secourus par votre charité ; alors même qu'ils persisteraient dans leurs croyances religieuses.

Ces sentiments si chrétiens et si noblement exprimés par votre grandeur résument exactement la pensée du gouvernement de l'empereur à l'égard des indigènes de l'Algérie ; ils indiquent la ligne de conduite que nous devons tous tenir pour préparer le rapprochement, et un jour peut être la fusion des races que la moindre imprudence peut aujourd'hui encore ramener à l'hostilité ; et votre charité qui s'est multipliée et prouvé toute sa puissance dans la crise douloureuse que traverse la colonie, ne peut que nous venir en aide.

Croyez Monseigneur, que le gouvernement n'a jamais eu l'intention de restreinte vos droits d'évêque et que toute latitude vous

sera laissée pour étendre et améliorer les asiles où vous aimez à prodiguer aux enfants abandonnés, aux veuves et aux vieillards les secours de la charité chrétienne.

Quant à la demande que vous faites d'en fonder de nouveaux sur tous les points ou les indigènes le désireront ; le gouvernement est tout disposé à vous en laisser la faculté et vous seconder ; mais comme vous le reconnaissez vous même, une grande sagesse, une prudence extrême doivent présider à la création de ces établissements dans l'intérêt même de leur sécurité qui qu'elle que soit la générosité de votre pensée, Monseigneur, doit être garantie par le gouvernement général d'Algérie responsable de la sûreté des personnes comme la tranquilité générale de la colonie reste à ce double point de vue par la force des choses, le meilleur juge de la possibilité de ces fondations ; en conséquence, vos établissements seront naturellement soumis à leur autorisation préalable et aux conditions de leur existence, aux lois et aux réglements qui régissent ces institutions de même nature tant en France qu'en Algérie.

Dans ces limites, Monseigneur, vous pouvez compter sur le concours empressé du gouverneur général de l'Algérie, comme sur celui du gouvernement de l'empereur.

Je ne terminerai pas cette lettre sans remercier votre grandeur de l'esprit de conciliation avec lequel elle a mis fin à un dissentiment regréttable à tous les points de vue et vraiment difficile à comprendre car il s'était élevé entre un des hommes qui font le plus d'honneur à votre pays et un prélat qui sous la préoccupation de ses bonnes œuvres n'a manifesté qu'une crainte, c'est qu'on ne lui laissât pas un champ assez vaste pour l'exercice de la charité.

Agréez, Monseigneur, l'assurance de ma haute considération.

Le Maréchal, ministre de la Guerre : **Niel.**

Source : **Journal El-Akhbar,** le 3 juin 1868.

Lettre de Mgr. Pavy à M. d'Hautpoul, ministre de la Guerre.

Aix, le 23 septembre 1850

Monsieur le ministre,

Permettez-moi d'aborder sans détour une question d'une très haute importance ; jusqu'ici, je n'ai rien tenté de direct pour la nation arabe ; la prudence semblait me faire un devoir de cette réserve ; mais la prudence a ses limites et le droit de Dieu réclame de nous un dévouement qui, pour avoir été longtemps mûri dans le cœur, n'en sera que plus vif et plus fécond à son heure.

Dans mon intime conviction d'évêque, je suis obligé de faire tout ce qui dépendra de moi pour tenter l'œuvre immense de la conversion des arabes, mais dans ma conviction de français, je n'en crois pas moins qu'il faut tout essayer pour amener à la foi de l'Evangile des hommes qui lisent le Coran (tu poursuivras l'infidèle jusqu'à ce qu'il ait accepté le livre ou la tribut).

C'est là ce qui me met un obstacle invincible à toute assimilation ; dans cette pensée, Monsieur le ministre, j'ai traité avec le R.R.P.P. jésuites ; ils accepteraient de commencer sous ma direction immédiate et par conséquent sous ma responsabilité personnelle ce genre de la mission dans les tribus de la province de Constantine ; je n'ai pas besoin de vous dire quelles sont la sagesse, l'habileté, la générosité de ces saints religieux ; nul ordre, selon moi ne peut faire avec succès en ce genre ce dont ils sont capables ; seulement, ils me demandent trois choses Monsieur le ministre :

1) que les bureaux arabes ne mettent aucune opposition à leur communication avec les tribus ;
2) que les chefs militaires les voient de bon œil et les favorisent ;
3) qu'ils aient la bienveillance du gouvernement, une maison à Constantine ou non loin de là où ils puissent se réunir, se concerter, revenir, prendre de temps en temps un repos nécessaire ; et enfin un centre d'unité pour leur mission proprement dite seraient à la charge de la propagation de la foi.

J'ai trouvé ces conditions tout à fait raisonnables, Monsieur le ministre, et je n'hésite pas à vous les soumettre ; j'espère que vous voudrez prendre en considération une demande dont la réalisation

l'emporte si vivement à la gloire de Dieu, à la civilisation, à la consolidation de notre conquête et à l'honneur de la France.

Signé Louis-Antoine Augustin Pavy
Evêque d'Alger

Source : Mgr. Ribolet : **Un grand évêque, ou vingt ans de l'église d'Afrique sous l'administration de Mgr. Pavy, Alger, 1902, pages 107-108.**

La société prend le nom de la société des missionaires de Notre Dame d'Afrique ou missionnaires d'Alger pour les distinguer d'autres missionnaires d'Alger établis à Lyon ; le nom populaire de pères blancs devrait prévaloir en France...

e

Les missionnaires étant des apôtres prendront pour modèles les apôtres dans leur vie de sainteté, de mortification et de zèle (ils doivent, est-il écrit, se faire tout à tous pour gagner les âmes à Jésus-Christ et à son église et ne reculer devant la mort que lorsqu'il s'agit d'étendre le royaume de Dieu).

— L'admission dans la société, le noviciat, le scolasticat sont régis par des lois d'une sagesse pratique ; tout postulant doit avoir au moins l'âge de seize ans révolus et avoir terminé ses études classiques jusqu'à la philosophie ; son noviciat durera deux années entières durant lesquelles il fera d'autres études que celles des langues indigènes ; s'appliquant durant ce temps à se corriger de ses défauts et à se former aux vertus apostoliques que s'il est prêtre ; il pourra passer la seconde année d'épreuve dans une maison d'éducation de la société ou mission, que s'il ne l'est pas et s'il n'a point fait ses études écclésiatiques, il est appliqué pendant quatre ans à la philosophie et à la théologie sans le séminaire, c'est après deux ans d'épreuves qu'admis au serment par le supérieur général et au conseil le novice prend l'engagement sur les saints évangiles de se consacrer désormais et jusqu'à la mort à l'œuvre des missions d'Afrique...

— Une règle fondamentale est que dans aucun prétexte on ne peut être envoyé en mission points trois ensembles d'est une autre que dès qu'on installe un poste ; en y établisse une pharmacie et une école, **guérir** et **instruire, charité** et **vérité** ; c'est l'œuvre de l'Evangile.

— Il y a des règles pour les études des misisonnaires et scolastiques ; la première de ces règles prescrit de suivre en tout point les instructions et directions du Saint-siège (considérant la soumission absolue et dévouement au souverain pontife comme la première gloire et de caractère propre de la petite société), l'étude de langue Arabe, Berbère ou nègre à l'usage des missions est aussi l'objet de recommandations renouvelées.

— La règle donne heure par heure l'emploi habituel de la journée du missionnaire, elle commence à cinq heures et elle se termine à neuf ; l'intervalle en est rempli par des exercices successifs ; on prie, on travaille, on étudie, on converse, on se récrée dans le même esprit supérieur de la religion et de zèle. Quant à la vie matérielle, elle tendra à se rapprocher autant que possible de la vie simple et pauvre des indigènes de l'Afrique ; pauvre sera le logement, l'ameublement, le vêtement ; pauvre alimentation (car les missionnaires devront se souvenir qu'ils vivent d'aumônes et que leur pain leur est donné par les pauvres catholiques).

Pauvre aussi le coucher (hors cas de maladie le lit ne se composera que d'une natte sur les planches ou la terre nue ou d'une paillasse tant pour se rapprocher de l'usage des indigénes).

Source : Mrg. Baunard ; **Le Cardinal Lavigerie** ; Paris, 1898 ; tome 1, pages 457-459.

Les Algériens qui se sont christianisés vécurent une vie dure et difficile ; ils étaient souvent critiqués et insultés par leur propre entourage. Voici ci-après le témoignage de Fatma Aït Mansour Amrouche élevée et mariée par les Pères-Blancs.

"La première scène pénible fut occasionnée par notre religion, mon mari et moi devions aller à la messe le dimanche matin ; les Pères-Blancs avaient fait construire pour les ménageschrétiens de petits logements à proximité de la mission, ainsi les femmes converties pouvaient-elles pratiquer leur religion sans passer par le village.

Les coutumes de la petite kabylie défendaient aux femmes jeunes de sortir de la maison et de se montrer aux hommes ; ignorant tout cela, j'avais préparé les habits propres pour me rendre à la messe, ma belle-mère les vit étalés sur le dossier d'une chaise, elle sortit en coup de vent, alla chercher Taïdhelt qui avait autorité sur la maison ; Taïdhelt était douce et de caractère pondéré ; me montrant les vêtements préparés sur la chaise ; elle m'en demanda l'usage.

— Je vais à l'église dis-je, vous savez bien que nous sommes chrétiens ?

— Il ne convient pas qu'une femme de la famille Amrouche sorte en plein jour ; et soit vue par les gens du village, ce serait une honte ineffaçable, nous serions la risée de tout le monde, et notre famille est une famille puissante et honorable.

— Que faire alors ? répondis-je ; il faut pourtant que j'aille à l'église ; j'y suis forcée moi aussi.

— Il faut vous lever avant la première prière, et ne revenir qu'à la nuit afin que personne au village ne puisse dire qu'il vous a vue aller chez les roumis.

Nous dûmes obéir pendant des années ; nous nous levâmes avant l'aube par tous les temps et partîmes en cachette, les sœurs m'ouvraient, mère Madeleine fut supérieure ; elle me fit manger avec les pensionnaires qu'elle avait à l'époque.

Les jours où il me fallait rentrer plutôt pour une raison grave, maladie de l'enfant par exemple, nous passions par des chemins détournés à travers les champs pour atteindre la maison ; où je sentais sur moi des regards hostiles ; j'étais celle qui avaitn renié sa religion et envoûté le fils chéri)".

Source : Fatma Aït Mansour Amrouche : **Histoire de ma vie,** Alger, 1990, pages 105-106.

Ce fût au mois de novembre 1867 que le premier d'entre eux qu'arriva un petit garçon de dix ans à la mine intelligente, il était exténué.

— D'ou viens-tu, mon enfant ? Lui dis-je ?

— De la montagne ; loin, loin.

— Et tes parents ; où sont-ils ?

— Mon père est mort, ma mère est dans son gourbi. Et pourquoi l'as tu quittée ?

— Elle m'a dit ; il n'y a plus de pain ici, va-t'en dans les villages des chrétiens ; et je suis venu.

— Qu'as-tu fait pendant la route ?

— J'ai mangé de l'herbe le jour dans les champs ; et la nuit je me cachais dans les trous pour que les arabes ne me vissent pas, parce qu'on m'avait dit qu'ils tuaient les enfants pour les manger.

— Et maintenant ; où vas-tu ?

— Je ne sais pas.

— Veux-tu aller chez un marabou arabe ?

— Oh non ! quand je suis allé chez eux ils m'ont chassé et si je ne partais pas assez vite, ils appelaient les chiens pour me mordre.

— Veux-tu rester avec moi ?

— Oh oui ! je le veux.

— Et bien viens dans la maison de mes enfants ; je te traiterai, comme eux et tu t'appelleras comme moi, Charles.

Je le mis en effet et le jour même à Saint-Eugène au petit séminaire, il est devenu un charmant enfant plein d'intelligence, de bonté.

Charles Omar Ben Saïd, le premier des orphelins ; ainsi recueilli est aujourd'hui établi et marié ; il est propriétaire, il est chrétien et a épousé une chrétienne.

C'est lui qui m'a fait un jour cette réponse digne de finesse et du cœur arabe, que j'ai déjà rapporté quelque part je crois :

— Veux-tu aller retrouver ta mère ? lui demandai-je, après la famine.

— Oh ! non ! non ! je ne veux pas.

— Et pourquoi ?

— Parce que j'ai trouvé un père qui est meilleur que ma mère.

Source : Mgr. Lavigerie : **Œuvres choisies ;** Paris 1884, tome 1 pages 208-209.

الملحق رقم 10

Au village d'Imanseren près du Fort Napoléon, une femme nommée Hassenia était restée veuve avec cinq enfants, trois garçons et deux filles, en comblant cette femme de petites largesses, il esseya de l'amener à lui confier ses enfants ; l'un des garçons le jeune Mouhoub l'accompagna dans le voyage en France, entrepris pour faire des quêtes au profit des missions ; une des petites filles Aïchoucha fréquenta l'école des sœurs.

Le 25 janvier 1870, sous prétexte de leur faire des cadeaux ; le frère Lérondelle (jésuite) fit venir ses enfants à Fort Napoléon chez les sœurs de la doctrine chrétienne ; Aïchoucha fut habillée avec l'uniforme des pensionnaire de l'orphelinat ; une voiture fut amenée et le frère Lérondelle voulut y faire monter ; avec l'aide de la sœur supérieure les deux enfants ; ceux-ci résistèrent et un attroupement se forma ; le fils aîné de Hassenia nommé Mohand protesta de toutes ses forces contre l'enlèvement et le frère Lérondelle voyant que son entreprise échouait mit fin à cette scène en promettant qu'il emmenerait simplement les enfants sur la route de Tizi-Ouzou jusqu'à la rencontre du Père Vincent, en promenade de ce côté et que ce dernier les ramènerait chez leur mère à Imanseren ; c'est ce qui fut fait.

Toute ces tentatives de prosélytisme religieux n'avaient pas grande portée mais elles inquiétaient ces kabyles qui connaissaient d'autre part l'œuvre entreprise par l'Archevêque d'Alger ; et comme ils sont très ombrageux sur les questions de religion ; ces gens malintentionnés n'avaient pas manqué de leur faire entrevoir qu'ils ne jouiraient peut-être pas toujours de la liberté absolue qui leur avait été laissé en matière de culte ; et que nous ne chercherions par la persuassion ou autrement à les convertir à la religion catholique ; ce motif n'était pas le seul sans doute qui les poussait à s'affilier à l'ordre de Rahmania ; mais il y contribua dans une certaine mesure.

Source : Le colonel Robin : **L'insurrection de la grande kabylie en 1871 !** Paris, 1901 pages 31-32.

Le soutien absolu de l'Amiral de Gueydon à Mgr. Lavigerie.

...... le Cardinal expose ensuite comment l'Amiral sut arrêter, écraser la révolte (1871) et le parti qu'il tira de la victoire pour reprendre et assurer l'œuvre de la civilisation ; puis ajoute :

"Il n'a pas moins encouragé l'assimilation des indigènes ; je me rappelle non sans émotion que dès le début de son gouvernement, il a voulu venir un jour voir lui-même nos missionnaires de Maison-Carrée ; la démarche était délicate mais elle n'en montre que mieux son caractère et ses idées".

"Messieurs leur dit-il en quelques mots exquis de la simplicité, de vaillance et de sagesse ; il en est qui vous combattent ; mais moi en qualité de vieux marin français, je vous approuve et je vous loue à la condition que vous suivez les règles de réserve et de prudence que votre chef vous impose. Je vous approuve parce qu'en cherchant à rapprocher ces indigènes de nous par l'instruction des enfants, par la charité envers tous ; vous faites l'œuvre de la France ; vous le faites sans froisser les préjugés ; sans exciter les passions du fanatisme ; et en préparant l'avenir de la colonie ; la France ne fait plus assez d'hommes pour peupler l'Algérie ; il faut y supléer en francisant nos deux millions de berbères arabisés ; je le répète, si vous y mettez toujours la même prudence ; vous pouvez compter sur moi".

Source : Grussemmeyer (Mgr. A.C) : **Vingt-cinq années d'épiscopat en France et en Afrique ;** documents biographiques sur le Cardinal Lavigerie, archevêque de Carthage et d'Alger, primat d'Afrique à l'occasion de son jubilé épiscopal. Alger ; Jourdan 1888 ; tome 1 p. 177.

فهرس الأشكال والصور

البيلوغراضة

1 - وثائق من الارشيف الوطني بباريس

ف 80 1625

ف 80 1627

ف 80 1629

ف 80 1732

ف 80 1736

ف 80 1746

2 - المطبوعات

1 - الكتب - باللغة الفرنسية

Ageron Charles Robert : Les Algériens musulmans et la France 1870-1919, Paris 1968 ; tome 1.

Ageron Charles Robert : La politique coloniale au Maghreb, Paris, 1972.

Annan Louis : Le grand apôtre de l'Afrique au 19eme siècle, le Cardinal Lavigerie. Lyon 1899.

Anthony Philippe : Missions des Pères-Blancs, en Tunisie, Algérie, Kabylie, Sahara. Paris, 1931.

Assimilation des Arabes, par un ancien Curé de Laghouat, Paris, 1866.

Ardouine du Mazet : Etudes Algériennes, Paris, 1882.

Au capitaine le Baron Henri : Etudes sur le passé et l'avenir des kabyles ; Paris, 1860.

Les Arabes et l'occupation restreinte en Algérie, Alger, 1865.

Baillet Noël Bernard : Nécessité de la colonisation de l'Algérie, et le retour aux principes du christianisme, Paris, 1857.

Baudicour Louis : La colonisation de l'Algérie, Paris, 1856.

Baunard Mgr. : Le Cardinal Lavigerie ; Paris 1896 ; tome 1.

Bernoville Gatéran : Emilie de Vialar, Paris, 1953.

Bersange l'Abbé : Don François Régis ; procureur général de la Trappe à Rome, fondateur et premier Abbé de notre Dame de Staouéli ; Paris, 1885.

Berthézène (le Baron Pierre) : Dix-huit mois à Alger ; Montpelier, 1834.

Blanc (le Capitaine) : Récit d'un officier d'Afrique ; Tour, 1892.
Bournand François : son éminence, le Cardinal Lavigerie, Paris, 1893.
Burnichon Joseph : La compagnie de Jésus en France, Histoire d'un siècle, 1814-1941.
Burzet (l'Abbé) : Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1868 Alger, bastide, 1869.
Cabanis José : Charles X Roi ultra. Paris, 1972.
Carron (l'Abbé) : Voyage en Algérie. Charon marne ; 1859.
Castelli : La colonisation pacifique et la civilisation de l'Algérie par l'éducation sociale et religieuse. Paris, 1846.
Champeaubert (Ch.) : De la conversion des musulmans au christianisme, considérée comme moyen d'affermir la puissance française en Algérie. Alger, 1848.
Charmetant (l'Abbé) : les peuplades kabyles et les tribus nomades. Montréal, 1875.
Charveriat Ch. : Huit jours en kabylie, Paris, 1889.
Chollet (l'Abbé) : Notre Dame de la Trappe de Staouéli, Paris, 1904.
Clangeran Jean Jules : L'Algérie impression de voyage ; Paris, 1874.
Colleville (le Comte de) : Le Cardinal Lavigerie, Paris 1905.
Constans Mgr. : Quelques mois en Algérie, Nancy, 1892.
Commission d'Afrique de 1833, Paris, 1834.
Cormier Th. : Spécimen colonial de l'Algérie, Paris, 1847.
Cussac (le Père) : Un géant de l'apostolat, le Cardinal Lavigerie ; Paris, 1925.
Cuys Henri : Recherche sur la destruction du christianisme dans l'Afrique septentrionale ; Paris, 1865.
Daumas (le Général) : La Grande Kabylie ; Etudes historiques, Paris, 1847.
De Lamarque Jules : Colonies agricoles, Paris, 1850
Delaunay E. : Histoire du monastère de Staouéli, Limoge ; sans date.
Demonclos Xavier : lavigerie et le Saint siège ; Paris, 1965.
Demontés Victor : La colonisation militaire sous le général Bugeaud ; Alger, 1917.
De Saulière Henri : Esquisse sur la province d'Alger ; Paris, 1853.
Dominique L.C. : Un grand gouverneur de l'Algérie, l'Amiral de Geydon ; Alger, 1908.

Donop (le Général) : Lettres sur l'Algérie ; Paris, 1908.
Du Bausset : Etudes sur les Kabyles, sans date.
Dufaux G. : En Algérie ; sans date.
Duroselle J. Baptiste : les débuts du catholisme social en France ; Paris, 1952.
Duval Jules et Warnier : Les bureaux Arabes et colons ; Paris, 1869.
Dugas (le Père) : La Kabylie et le peuple kabyle, Paris, 1877.
Dupuch Antoine : L'Algérie chrétienne, romaine, française, Turin, 1847.
Emerit Marcel : Les Saints Simoniens en Algérie ; Paris, 1947.
Esquer Gabriel : La prise d'Alger ; Paris, 1923.
Fabiani Horace : Episode de la charité en Algérie ; Paris, 1860.
Fabre C. : Grande Kabylie légendes et souvenirs ; Paris, 1901.
Fournel Marc : Le christianisme et l'islamisme dans l'Afrique septentrionale ; Paris, 1886.
Garmier J.P. : Charles X le roi proscrit, Paris ; 1967.
Gautier F.E. : Un siècle de colonisation, 1830-1930.
Genty de Bussy : L'établissement des français dans la régence d'Alger ; Alger, 1833.
Germain Roger : La politique indigène du général Bugeaud ; Paris, 1955.
Godart (l'Abbé) : La nouvelle église d'Afrique ; Paris, 1858.
Grussenmeyer Mgr. : Vingt-cinq années d'épiscopat en France en Afrique ; document bibliographique sur le Cardinal Lavigerie ; Alger, 1882, 2 tomes.
Habart Michel : Histoire d'un parjure ; Paris, 1960.
Ideville (Comte d') : Le Maréchal Bugeaud d'aprés sa correspondance intime et ses documents inédits ; Paris, 1881.
Keller Emile : Le général de Lamoricière ; Paris, 1874.
Klein Félix : Le Cardinal Lavigerie, et ses œuvres en Afrique ; Paris, 1890.
Laforge Léon : Histoire complète du général Mac-Mahon, d'après ses documents originaux ; Paris, 1898.
Lamy A.T. : Recherches des causes de l'insurrection de 1871, les persécutions religieuses ; Alger, 1871.
Landman (l'Abbé) : Les fermes du petit Atlas ; Paris, 1841.
Landman (l'Abbé) : Appel à la France pour la colonisation de l'Algérie ; Paris, 1848.
Lavigerie (Cardinal) : L'armée et la mission de France en Afrique ; Alger, 1875.

Lavigerie (Cardinal) : Œuvres choisies, Paris ; 1884.
Lesourd Paul : Les Pères-Blancs du Cardinal Lavigerie ; Paris, 1935.
Lesourd Paul : L'œuvre scientifique, civilisatrice, ses missions ; Paris, 1931.
Letourneau, Hanoteau : La kabylie et les coutumes kabyles ; Paris, 1872.
Letournier Chanoine : La conquête religieuse de l'Algérie ; Paris, 1930.
Leynaud Augustin : Les apôtres de la résurrection de l'église d'Alger ; Alger, 1930.
martin Jean-Paul : La nonciature de Paris ; les affaires ecclésiastiques sous le règne de Louis-Philippe ; Paris, 1947.
Milliot (l'Abbé) : La civilisation chrétienne en Afrique ; Paris, 1877.
Montézon M.A. : De la compagnie de Jésus ; leur vérité sur l'Algérie ; Paris, 1851.
Mir Miskri (le Prince) : Discours sur l'installation du comité organisateur de la compagnie chrétienne pour la colonisation de l'Afrique du Nord ; Marseille, 1838.
Nettement Alfred : histoire de la conquête d'Alger ; Paris, 1856.
Nousci André : Enquête sur le niveau de vie de la population constantinoise ; Paris, 1954.
Pellissire de Raynaud : Les Annales Algériennes ; Alger, 1854, tome 1.
Picart (l'Abbé) : Une vierge française ; Emilie de Vialar ; fondatrice des religieuses de Saint Joseph de l'apparition ; Paris, 1924.
Pioneau (l'Abbé) : Vie de Mgr. Dupuch ; Bordeaux, 1866.
Pons Mgr. : La nouvelle église d'Algérie : d'Afrique ; Tunis, 1930.
Poujoulat J. : Voyage en Algérie, études africaines ; Paris, 1847.
Préville (Xavier de) : Un grand Français le Cardinal Lavigerie ; Paris, 1894.
Rastoul A. : Le Maréchal Randon, d'après ses mémoires et ses documents inédits ; Paris, 1890.
Riancy Louis : La situation religieuse en Algérie ; Paris, 1846.
Ribolet Mgr. : Un grand évêque, ou vingt ans de l'église d'Afrique sous l'administration de Mgr. Pavy ; Alger, 1902.
Ricard Mgr. : Le Cardinal Lavigerie Archevêque de Carthage et Alger ; Lille, 1893.
Rinn Louis : L'insurrection de 1871 en Algérie ; Alger, 1891.

Rosier J. : Souvenir de l'Algérie ; Paris, 1892.
Sidi Hamdan Ben Otman Khodja : Aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger ; Paris, 1833.
Suchet (l'Abbé) : Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie ; Tour, 1840.
Suchet (l'Abbé) : Le missionnaire en Algérie ; extrait de lettres de l'Abbé Suchet ; Alger, 1839.
Tiquet J. : Une expérience de petites colonisations, les colons arabes-chrétiens du Cardinal Lavigerie ; Maison-Carrée, 1936.
Turin Yvonne : Les affrontements culturels dans l'Algérie coloniale ; Paris, 1971.
Vanlandre René : Chez les Pères-Blancs ; Paris, 1929.
Vaysette Eugène : Sauvons les maronites par l'Algérie et pour l'Algérie ; Alger, 1860.
Veuillot Louis : Les Français en Algérie ; souvenirs d'un voyage fait en 1841 ; Tourname, 1853.
Verge Gabriel : La monographie du domaine de la Trappe de Staouéli ; Alger, 1930.
Xavier Yacono : La colonisation des plaines du Chélif ; Alger, 1955.

المقالات

Ageron Charles-Robert : Le problème de la conversion des musulmans, revue d'histoire moderne et contemporaine ; juin 1960.
Bibisco (le Prince Nicolas) : Les Kabyles du Djurdjura, R. des deux mondes ; 1er et 5 avril 1865, et 1er mars 1866.
Combaluzier M. : L'Algérie catholique française ; 1830-1838 ; R. d'histoire des missions, suite d'articles 1930-1931.
Dupuy : La lutte entre prélats et gouverneurs algériens de 1830-1870, R. socialiste, mars-avril 1956.
Emerit Marcel : L'état d'esprit des Musulmans d'Alger, 1847-1870 ; R.H.ML.C. avril-juin 1960.
Emerit Marcel : Le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le second empire, R. historique, janvier-mars 1960.
Emerit Marcel : La lutte entre les généraux et les prêtres au début de l'Algérie française ; extrait de la revue Africaine ; 1er et 2eme trimestre 1953.

Goyau Georges : Documents inédits sur le conflit entre Lavigerie et le Maréchal Mac-Mahon. R. d'histoire des missions ; 1er septembre 1925.
Goyau George : La charité française dans l'Algérie conquise ; revue des deux mondes ; 30 septembre 1930.
Klein Félix : Le prédécesseur du Cardinal Lavigerie ; Mgr. Pavy ; la question arabe en Algérie, le correspondant ; 15 juin 1902.
Klein Félix : Les villages arabes-chrétiens, le correspondant ; 25 avril 1800.
Lacombe Bernard : Le Cardinal Lavigerie ; le correspondant ; 25 avril 1909.
Masqueray Emile : Voyage en Kabylie ; Revue politique et littéraire ; 26 février 1878.
Mazé J. : Les principes d'idées missionnaires du Cardinal Lavigerie ; Revue d'histoire des missions, Septembre 1925.
Guiral Pierre : Marseille et l'Algérie ; Annales des facultés des lettres d'Aix en Provence ; 1956, numéro 15.
Rambaud Alfred : L'insurrection Algérienne en 1871 ; nouvelle revue ; 1er et 15 octobre et 1er novembre 1892.
Turin Yvonne : La commune d'Alger et ses écoles en 1871 ; un problème de laïcité coloniale. Revue d'histoire et civilisation du Maghreb, n° 8.
Devoulx Albert : Les édifices religieux de l'ancien Alger. Revue Africaine, n° 164, année 1868.
Aumerat Joseph-François : La propriété urbaine à Alger ; Revue Africaine, année 1898.
Yver Georges : Les maronites et l'Algérie ; Revue africaine 1920.

3 – الدوريات

El Akhbar : Avril, Juin, Mai, 1868.
Le courrier de l'Algérie : Mai, Juin 1868.
Le moniteur Algérien : Mai 1868.
L'Atlas : Novembre 1850 ; Janiver, Février 1851.
L'écho de Notre Dame d'Afrique ; Revue religieuse 1868-1871, 4 tomes
Mémoire de la congégation de la mission ; Paris 1864, 3 tomes.

4 - الكتب العامة (الفرنسية والعربية)

Lanessen Georges : les principes de colonisation ; Paris 1897.
Lecanuet R.P. : L'église de la France sous la 3ème république, Paris 1906.
Leflon Jean : Histoire de l'église ; depuis les origines à nos jours ; Paris 1951, tome 20.
Piclet Paul : Les missions catholiques françaises au 19ème siècle ; Paris 1925.

خالدي مصطفى وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، بيروت 1964 .

5 - المراجع بالعربية (كتب ومقالات)

بوشوشي الطاهر : تاريخ مسجد كتشاوه ، مجلة عدد 14 – 15 .

بوعزيز يحي : دور عائلتي المقراني والحداد في ثورة 1871 . الجزائر 1975 .

التيمي عبد الجليل : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816 – 1871 ، تونس 1972 .

انطباعات حول أهمية الدين في المشكلات الفرنسية بإفريقيا ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد الأول ، سنة 1975 .

دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس (1830 – 1881) ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد الثالث ، سنة 1975 .

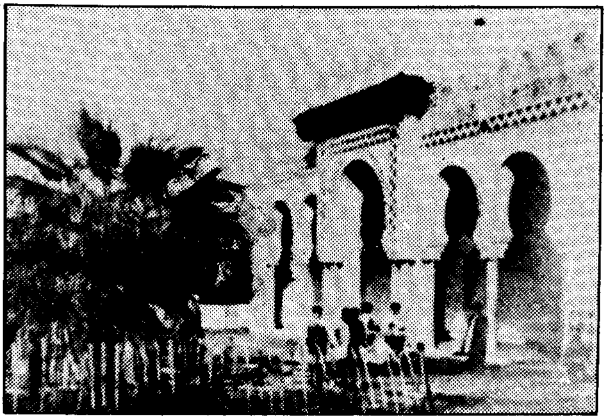
الجنجاني الحبيب : حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر ، مجلة الاصالة ، سبتمبر أكتوبر 1973 .

خوجة حمدان : المرآة ، تعريب وتعلق محمد بن عبد الكريم ، بيروت 1972 .

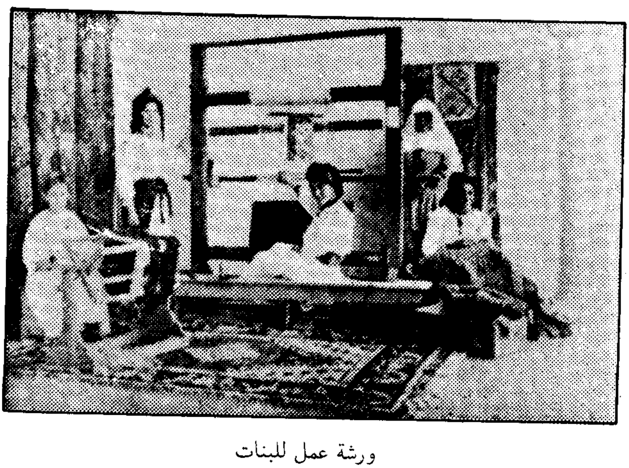
سعد الله ابو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية ، بيروت 1969 .

المفتي الجزائري المصري ابن العنابي ، مجلة الاصالة ، عدد 31 ، مارس 1976 .

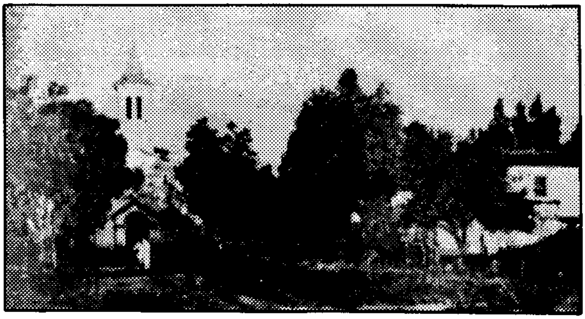
صور



ناحية القبائل
النظام الداخلي للتلاميذ بوادي عيسي
مدرسة ذكور



ورشة عمل للبنات



سانت مونيك - كنيسة وملحق لها



سانت مونيك - منظر عام : السكك الحديدية والطريق الوطني ، القرية ، وادي الشلف ، جبال الظهرة .



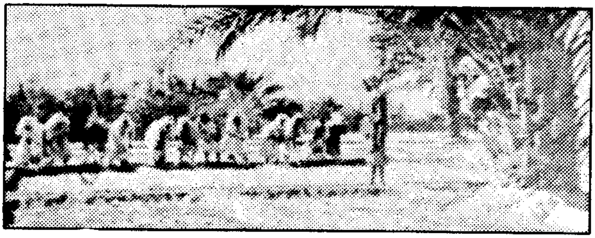
دار بسانت مونيك مبنية سنة 1875



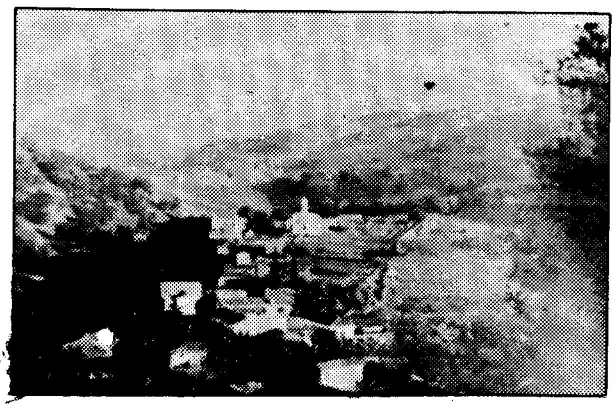
ناحية القبائل - جماعة من المسحيات بآيت واضو



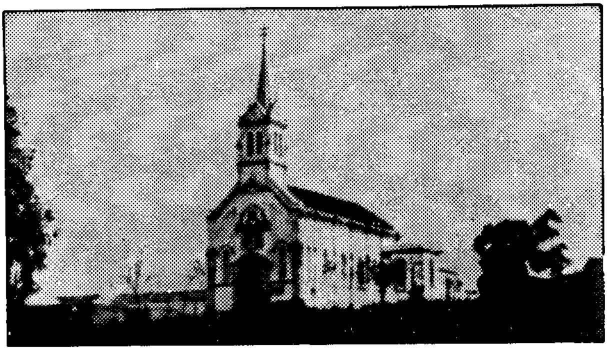
أم مسيحية وبنتها في هيئة تعبدية أولى



الصحراء ـ مقر الآيتام الذكور بالقليعة والأيتام في العمل بالأفواج .



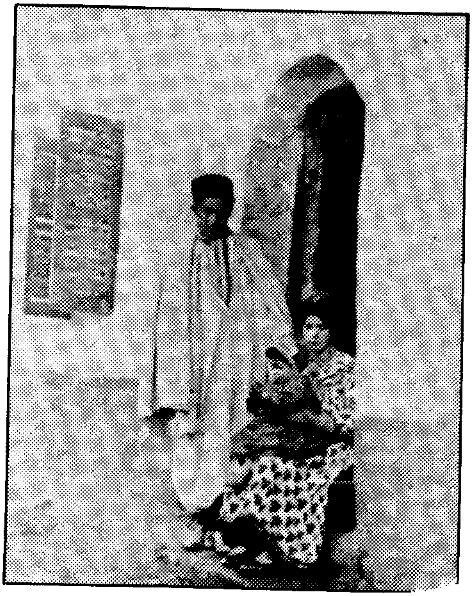
الصورة بالأسفل : خاصية القبائل – قرية بونوح (قبيلة أهل أيت اسماعيل)
- في الواجهة الأولى : منازل القرية ودار البريد للآباء البيض
- في الواجهة الثانية : على اليسار الأخوات البيض ، على اليمين الكنسية ، وفي رؤوس جبال جرجرة .



كنيسة وملحق لها



فتيان وفتيات المعمرين العرب المسيحين بقرية سان سبريان عن تيكي ص 184 .



اسرة مسيحية ببونوح



عائلة مسيحية بـ ـران (ميتلي)



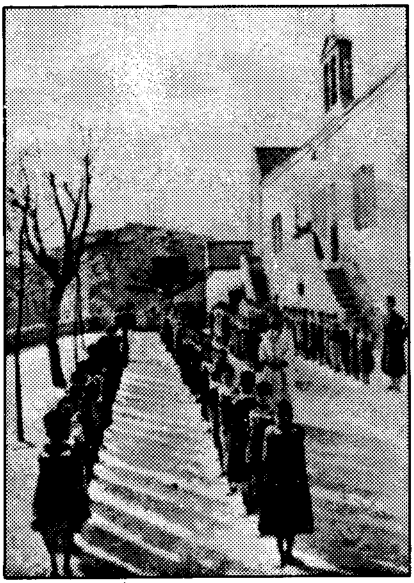
الكردينال لافيجري ورئيس مدينة الجزائر في زيارة
للأطفال الأيتام بمركز بن عكنون 1868



المقر الرئيسي للآباء البيض

Tiquet J. : Une expérience de petites colonisations ; les colons arabes chrétiens du Cardinal Lavigerie, Alger 1936, p. 183.

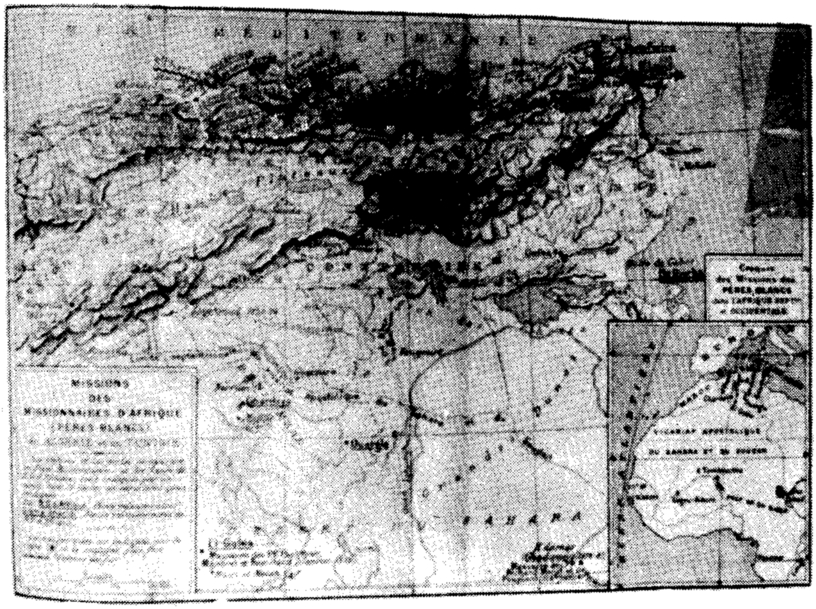




اهتم المبشرون من الآباء البيض بالتعليم في بلاد القبائل اعتقادا منهم انه وسيلة هامة للوصول الى التنصير .

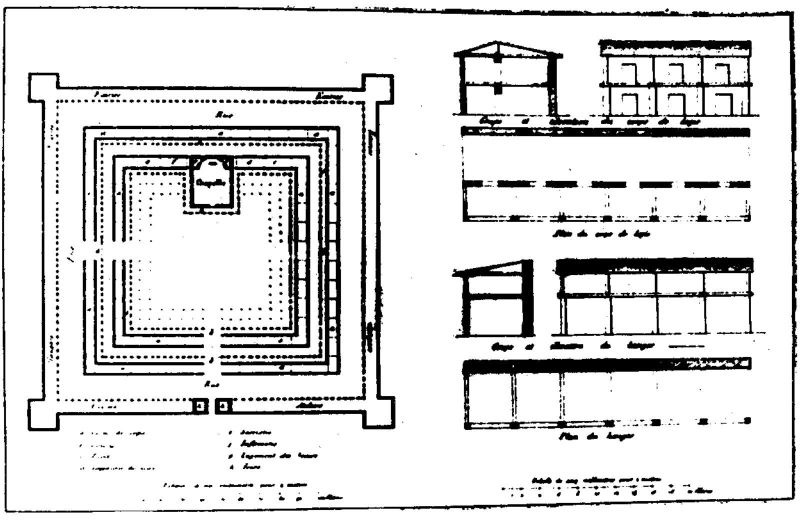
تمثل الصورة الأولى راهنة مع تلميذات مدرستها للشؤون المنزلية والصورة الثانية مدرسة بقرية آيت واضو .

Tiquet J. : Une expérience de petites colonisations ; les colons arabes chrétiens du Cardinal Lavigerie, Alger 1936, p. 187.



الارساليات التبشيرية للآباء البيض بالجزائر وتونس

Mgr. Baunard : Le Cardinal Lavigerie ; Paris 1896 ; T. I, p. 540.



تصميم عام للضيعة كما رآه لندمان في المستعمرات الفلاحية الدينية العسكرية .

L'Abbé Landman : Les fermes du petit Atlas : ou colonisation agricole militaire religieuse du Nord de l'Afrique ; Paris 1841 ; p. 193.

فهرس الاعلام

- ت -

- ج -

- د -

فهرس الاماكن

- و -

فهرس الموضوعات